

التعليق والإيضاح

على

تفسير الجلالين

٣

ح) عبد الرحمن بن ناصر البراك، ١٤٤٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك

التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين ٣. / عبد الرحمن بن ناصر

بن براك البراك - ط ١ - الرياض، ١٤٤٥ هـ

٤٠٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥ / ٢٥١٦٣

ردمك: ٥-١٣٣٤-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

حقوق الطبع محفوظة



المملكة العربية السعودية

الرياض

00966505112242

m@sh-albarrak.com

sh-albarrak.com

الجوال

البريد الإلكتروني

الموقع الرسمي

إِصْدَارَاتُ مُؤَسَّسَةِ وَقْفِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبِرَّاءِ (٥)

التَّعْلِيقُ وَالْإِضَاحُ

عَلَى

نَفْسِيرِ الْجَلِيلِ

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبِرَّاءِ

المُجَلَّدُ الثَّلَاثُ

المائة والأَنْعَامُ

مُؤَسَّسَةُ وَقْفِ الشَّيْخِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبِرَّاءِ





سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۝٢﴾ [المائدة].

يأمر الله عباده المؤمنين بإيفاء العقود، وهي الالتزامات التي بين العبد وربّه؛ كالنذر، والإحرام، والأيمان، وأعظمها عقدُ الإيمان بالله ورسوله، وهو ما تتضمنه الشهادتان^(١)، ومن الوفاء بهذا العقد الوفاء بجميع العقود، ومنها العقود التي تكون بين الناس؛ كالبيع والشراء والشركة والنكاح، ومنها العهود، ومن العهود بيعة الإمام.

ثم أخبر تعالى أنه أحلّ للمؤمنين بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم؛ أي: أحلّ أكلها، وحرّم على المُحرّم الصيد، ولهذا قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُجَلِّي الصَّيْدِ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ استثناء من إحلال بهيمة الأنعام، والمراد بـ﴿مَا يُتْلَىٰ﴾، ما يأتي في هذه السورة من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣].

ثم أخبر تعالى بأنه يحكم ما يريد؛ أي: بما يريد من الأحكام الكونية والشرعية، وفي هذه الآية ثلاثة عمومات؛ وذلك أن الله أمر جميع المؤمنين بالوفاء بجميع العقود، وأحلّ لهم جميع بهيمة الأنعام إلا ما استثنى.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/٨)، وزاد المسير (١/٥٠٥).

وقوله: ﴿عَيْرَ مِحْلٍ الصَّيْدِ﴾ منصوب على الحال من الضمير المجرور في قوله: (أحل لكم)^(١)، وهو استثناء آخر من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ يدل على تحريم الصيد على المُحْرِمِ، وحرْمٌ: جمع حرام؛ وهو كل من أحرَم بحج أو عمرة، وقد فصلَ تعالى حكم صيد المُحْرِمِ في آخر السورة^(٢). فتضمنت الآية: وجوب الوفاء بالعقود، وحلَّ بهيمة الأنعام، وتحريم ما سيُتلى في الآية الثالثة، وتحريم الصيد على المُحْرِمِ، وأن هذه الأحكام مرادة لله تعالى إرادة شرعية^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: من الأحكام الكونية والشرعية، حسب ما يقتضيه علمه وحكمته ورحمته؛ فالإرادة في الآية شاملة للإرادتين الكونية والشرعية.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يستحلُّوا شعائر الله بمخالفة أمر الله ونهيه، وشعائر الله: معالم دينه^(٤)، وهي المأمورات والمنهيات؛ كمناسك الحج، وهي أعماله التي أمر الله بها إجمالاً أو تفصيلاً، وبينها النبي ﷺ في حجة الوداع بأقواله وأفعاله، وقال: ﴿لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ﴾^(٥)، ومن ذلك جميع الفرائض والحلال والحرام.

وقوله: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا تُحِلُّوا الشهر الحرام بالقتال فيه، وقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]،

(١) وهذا قول الجمهور، وإليه ذهب الزمخشري وابن عطية. ينظر: الكشَّاف (٢/ ١٩١)، والمحرم الوجيز (٣/ ٨٤)، والدر المصون (٤/ ١٧٨).

(٢) تنظر: (ص ١٥٤).

(٣) ينظر في الفرق بين الإرادتين: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص ٤١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢١)، (٨/ ٢٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٢٩٧-٣١٠) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وهذا لفظ الطبراني في مسند الشاميين (٩٠٨).

والمراد بالشهر الحرام الأشهر الأربعة الحُرْم التي نهى الله عن ظلم النفس فيها بالمعاصي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهي ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، والرابع رجب، كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ^(١)، وعلى هذا فالمراد بالشهر الحرام في الآية الجنس الشامل للأربعة الأشهر^(٢). وقوله: ﴿وَلَا أَلْهَدَى﴾ أي: لا تُحِلُّوا الهدي، والمراد بالهدي: ما يُهدى إلى البيت من بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، فيساق من خارج الحرم ليذبح في الحرم تقرباً إلى الله بالنسك، ويُتصدَّق بلحمه على مساكين الحرم، وأصل الكلمة اسم مصدر من الإهداء^(٣)، سُمي به المُهدى نظير إطلاق المصدر على المفعول؛ كالخلق بمعنى المخلوق، والرد بمعنى المردود، وإحلال الهدي تعطيله أو ترك ما جاءت به السنة^(٤) من إشعاره^(٥) وتقليده^(٦)، أو صده عن بلوغ البيت أو نهبه أو تعريضه للتلف.

- (١) أخرجه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٢) وهو قول مقاتل وأبي حفص النسفي وابن العربي. ينظر: زاد المسير (١/٥٠٨)، والتيسير في التفسير لأبي حفص النسفي (٥/٢٩٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/١٩).
- (٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٨٣٩).
- (٤) منها ما أخرجه البخاري (١٦٩٦) - واللفظ له -، ومسلم (١٣٢١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «فَتَلْتُ قَلَانِدَ بَدَنِ النَّبِيِّ ﷺ بيدي، ثم قَلَدَهَا وأشعرها وأهداها، فما حُرِّمَ عليه شيء كان أُحِلَّ له». وينظر: السنن الكبير للبيهقي (١٠/٤٥٢) وما بعدها.
- (٥) وهو أن يشقَّ أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها، ويجعل ذلك لها علامة تُعرف بها أنها هدي. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٧٩).
- (٦) وهو أن يعلَّق في عنق الهدي نعلًا أو جلدة أو شبه ذلك علامة له. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/١٨٤).

وقوله: ﴿وَلَا أَلْقَيْدًا﴾ وهي المقلدات من الهدى، فعطفها على الهدى من عطف الخاص على العام^(١)، وقيل: المراد ما يتقلده بعض الناس من لحاء شجر الحرم أو حبال صوفٍ طلباً للأمان على عادة أهل الجاهلية، فلا يحل العدوان على هذه القلائد، ولا من تقلدها^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَاءِ آمِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ أي: قاصدين البيت الحرام في حج أو عمرة، من أمّ كذا إذا قصده^(٣). وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ قيل: يبتغون الربح بالتجارة، ورضواناً من الله، ولو كانوا مشركين؛ كما يدل لذلك سبب نزول الآية^(٤)، فلا تحلُّ الغارة على الحجاج والعُمَّار، ولو كانوا مشركين، وعلى هذا فالآية منسوخة بآية السيف، وهي قوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ وما بينهما اعتراض، وفي هذه الآية إباحة الصيد بعد التحلل من الإحرام، فهي إباحة بعد الحظر؛ كقوله: ﴿فَاعْتَزِلُوا الْنِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ أي: بسبب أن صدوكم عن المسجد الحرام ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ أي: على

(١) ينظر: الكشاف (٢/١٩٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣/٢٦) وما بعدها، وزاد المسير (١/٥٠٨).

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٣٩)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٨٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٨/٢٢)، وزاد المسير (١/٥٠٧).

(٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص ٣٥٩)، ولابن العربي (٢/١٩١).

أَنْ تَعْتَدُوا. وقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ أي: لِيُعِنَ بعضكم بعضاً على البرِّ؛ وهو كل عمل صالح، والتقوى؛ وهي ترك كل عمل سيئ، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو كل ما نهى الله عنه، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو تعدي الحدود، والتعدّي على الخلق. وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: خافوا الله وراقبوه، واتقوا عذابه بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه، واحذروا عقابه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

مدنية، وهي مائة وعشرون آية، أو اثنتان أو ثلاث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس. ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» الآية - فالاستثناء منقطع. ويجوز أن يكون مُتَّصِلاً، والتحريم لما عَرَضَ من الموت ونحوه- ﴿غَيْرَ مُجَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي: مُحْرَمُونَ. ونُصِبَ «غير» على الحال من ضمير «لكم». ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره، لا اعتراض عليه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: جمع شعيرة، أي: معالم دينه بالصيد في الإحرام، ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه، ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: ما أهدي إلى الحرم من النعم بالتعرض له، ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾: جمع قِلادة - وهي ما كان يتقلد به مَنْ يَنحر الهدْيَ لِيَأْمَنَ - أي: فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها، ﴿وَلَا تُحِلُّوا﴾: قاصدين ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بأن تقاتلوهم، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً﴾: رِزْقاً ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالتجارة، ﴿وَرِضْوَاناً﴾ منه بقصده بزعمهم - وهذا منسوخ بآية «براءة» - ﴿وَإِذَا

حَلَلْتُمْ ﴿ من الإِحْرَامِ ﴿ فاصْطَادُوا ﴾ : أمرٌ بإباحةٍ، ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ : يُكْسِبَنَّكُمْ ﴿ شَنَاَنُ ﴾ ، بفتح النون وسكونها: بُغْضُ ﴿ قَوْمٍ ﴾ ، لأجلِ ﴿ أَنْ صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ عليهم بالقتل وغيره، ﴿ وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ ﴾ فعلٌ ما أمرتم به، ﴿ والتَّقْوَى ﴾ بترك ما نُهيتم عنه، ﴿ ولا تَعَاوَنُوا ﴾ - فيه حذف إحدى التاءين في الأصل - ﴿ عَلَى الْإِثْمِ ﴾ : المعاصي ﴿ والعُدْوَانِ ﴾ التعدي في حدود الله، ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ﴾ : خافوا عِقَابَهُ بِأَنْ تُطِيعُوهُ . ﴿ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ لمن خالفه.

وقول المؤلف: (العهود...) إلى آخره: في هذا التفسير نظر^(١)؛ فإن العهود أخصُّ من العقود، فكل عهد عقد، وليس كل عقد عهد، فعقود التجارة كالبيع والإجارة لا تكاد تُسمى عهداً^(٢).

وقوله: (الإبل...) إلى آخره: هذا هو المعنى المعروف لـ «بهيمة الأنعام» عند الفقهاء^(٣) والمفسرين^(٤)، وهي المذكورة في سورة الأنعام: ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ... ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤] الآيتين.

وقوله: (تحريمه...) إلى آخره: بيانٌ للمراد بالموصول، وهو الآية الثالثة، وبيانٌ للحكم الذي تفيده الآية، وهو تحريم المذكورات فيها.

- (١) يقارن بما في: تفسير الطبري (٥/٨)، وابن كثير (٧/٢).
- (٢) تنظر فروق أخرى بين العقد والعهد في: الفروق اللغوية (ص ٥٧)، والحاوي الكبير (٤٦٣/١٥).
- (٣) ينظر على سبيل المثال: المجموع شرح المذهب (٣٢٠/٨)، والمغني (٤٥٦/٥).
- (٤) ينظر على سبيل المثال: تفسير الطبري (١٢/٨)، ومعاني القرآن للزجاج (١٤٠/٢)، والتفسير البسيط (٧/٢٢٠).

وقوله: (فالاستثناء منقطع): يريد قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يَتَلَبَّسُ عَلَيْكُمْ﴾،
والمُستثنى هو ما ذُكِرَ في الآية الثالثة من الميتة والدم ولحم الخنزير؛ لأنَّ الدم
ولحم الخنزير ليس من جنس المستثنى منه وهو بهيمة الأنعام^(١).

وقوله: (ويجوز أن يكون مُتَّصلاً...) إلى آخره: لأن الميتة والمنخقة وما
بعدها من بهيمة الأنعام عَرَّضَ لها التحريم بالموت، والأصل أنها حلال^(٢).
وقوله: (مُحْرَمُونَ): بيان لمعنى الحُرْم، وهو جمع حَرَام، ويقال للمُحْرَمِ
حَرَامٌ؛ لأنه يَحْرُمُ عليه بالإحرام ما لا يَحْرُمُ على غيره.

وقوله: (وَنُصِبَ «غَيْرَ»...) إلى آخره: يريد قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُجَلِّى﴾،
يقول: إنه منصوب على الحال، من الضمير المجرور في قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ
بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾، وهذا يَظْهَرُ معناه على قول مَنْ يرى أنَّ بهيمة الأنعام تشمل
الوحشي لأنه صيدٌ، فيَحْرُمُ على المُحْرَمِ؛ فيكون المعنى: أُحِلَّتْ لَكُمْ بهيمة
الأنعام إلا الوحشي فلا تُحْلَوْه وأنتم مُحْرَمُونَ، وسيأتي تفصيل هذا الحكم في
آخر السورة^(٣).

وقوله: (من التحليل وغيره...) إلى آخره: يريد أنَّ المعنى: أَنَّ الحُكْمَ لله،
يُحِلُّ ما يشاء وَيُحْرِمُ ما يشاء، وليس لأحد الاعتراض عليه.

وقوله: (جمع شعيرة...) إلى آخره: بيانٌ لمفرد شعائر؛ وهو شعيرة، وبيان
لمعنى الشعائر؛ وهي معالم دين الله من الفرائض، والمحرمات، والمناسك،
ومن الشعائر ما يَحْرُمُ على المُحْرَمِ، ومنه الصيد، ولهذا قال المؤلف: (بالصيد
في الإحرام) فإن الصيد في الإحرام من إحلال شعائر الله.

(١) واختاره الطبري كما في تفسيره (١٧/٨).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤١٥).

(٣) تنظر: (ص ١٥٤).

وقوله: (بالقتال فيه): بيّن أن القتال في الشهر الحرام من إحلاله الذي نهى الله عنه، فإن القتال لا يحل في الشهر الحرام.

وقوله: (ما أهدي إلى الحرّم من النعم): بيان للمراد بالهدى.

وقوله: (بالتعرض له): بيان لما يكون به استحلال الهدى؛ يريد: لا تتعرضوا للهدى بأي نوع من العدوان؛ فإن ذلك من إحلال ما حرم الله، وكل هذه المذكورات من حُرّمات الله يجب تعظيمها واحترامها باجتناب ما حرّم الله، والمعنى: لا تحلوا هذه المذكورات فإن لها حُرمة عند الله.

وقوله: (جمع قِلادة...) إلى آخره: جعل القلائد جمع قِلادة، وهو ما يتقلده بعض الناس من حبل أو لحاء شجرة ليأمن على عادة أهل الجاهلية، وهذا أحد القولين في تفسير القلائد، والثاني: أن قلائد جمع قليدة، وهو ما يُقلد من الهدى، فإن من السنة إشعار الهدى وتقليده ليُعلم أنه هدي فلا يُتعرض له.

وقوله: (تُحلُّوا): تقدير للفعل الذي يقتضيه العطف على ﴿لَا تُحِلُّوا﴾

شَعَائِرِ اللَّهِ ﴿

وقوله: (قاصدين): تفسير ﴿ءَامِنِينَ﴾، بيّن أنها اسم فاعل من آمٍ؛ بمعنى قَصَدَ، والمراد بهم الحجاج والعمّار.

وقوله: (بأن تقاتلوهم): بيان لما يكون به استحلال قاصدي البيت الحرام، وهو الغارة عليهم، وقتالهم.

وقوله: (رِزْقًا): بيان للمراد بالفضل المُبتغى، وهو الرزق بالتجارة؛ كما ذكر المؤلف.

وقوله: (منه...) إلى آخره: هذا على أن المراد الحجاج من المشركين، فكان لا يجوز أن يُعرض لهم بقتال لصدّهم عن المسجد الحرام، وقد نُسخ هذا

بآيتي براءة ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨].

وقوله: (من الإحرام): بيان لاتصال هذا الإذن بالصيد؛ بقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، فهو من الإباحة بعد الحظر، والصواب أنه يُرَدُّ الحكم لِمَا كان عليه قبل الحظر^(١).

وقوله: (أمرٌ بإباحة): بيان لما يفيدُه الأمر في هذا الموضع، وهو الإباحة. وقوله: (يُكْسِبَنَّكُمْ): جعله من جَرَمَهُ؛ أي: أكسبه، وعليه: فالفعل متعدي، والمصدر المؤوَّل ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ في موضع نصب مفعول به، وقيل: إنه من جَرَمَهُ على كذا؛ أي: حَمَلَهُ، وهذا أظهرُ في الدلالة على المعنى المراد، وعلى هذا فالمصدر المؤوَّل في موضع خفض بحرف مقدر؛ أي: على أن تعتدوا^(٢). وقوله: (بفتح النون...) إلى آخره: يشير إلى قراءتين في النون؛ الفتح والسكون^(٣)، ومعنى الشنآن البغض^(٤).

وقوله: (لأجل): بيان لعللة الاعتداء المنهي عنه، وهو الصَّد عن المسجد الحرام.

وقوله: (عليهم...) إلى آخره: بيان لأنواع الاعتداء المنهي عنه. وقوله: (ما أمرتم به): تفسير ﴿الْبَرِّ﴾ مع تقدير مضاف؛ فالمعنى: تعاونوا على فِعْلٍ ما أمرتم به.

(١) وهو قول الزركشي والشنقيطي. ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٣/٣٠٦)، ومذكرة

أصول الفقه على روضة الناظر للشنقيطي (ص ٣٠٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/٤٤)، وزاد المسير (١/٥٠٩).

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٣).

(٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٤٠)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٤٦٥).

وقوله: (بترك ما نهيتم عنه): بيان لما تحصل به التقوى، وهي ترك ما نهى الله ورسوله عنه.

وقوله: (فيه حذف إحدى التائين في الأصل): يبين أن أصل الفعل «تعاونوا»، فحذفت إحدى التائين تخفيفاً.

وقوله: (المعاصي): تفسير لـ ﴿الْإِثْمُ﴾؛ يريد أن الإثم إثم لجميع المعاصي.

وقوله: (التعدي في حدود الله): تفسير للعدوان، والمراد مجاوزة ما حده

الله؛ كمجاوزة المباح إلى الحرام، ومجاوزة السنة إلى البدعة.

وقوله: (خافوا عقابه بأن تُطيعوه): بيان لمعنى «اتقوا الله»؛ أي: خافوا

الله بفعل طاعته.

وقوله: (لمن خالفه): بيان لمستحق العقاب، وهو كل من خالف أمر الله.



وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَحُمُّ الْحَنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ [المائدة].

﴿حُرِّمَتْ﴾ أي: حرّم الله عليكم -أيها المؤمنون- ﴿الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها، وهي التي تموت حتف أنفها، ﴿وَالدَّمُ﴾ أي: الدم المسفوح فلا يحل أكله، ﴿وَحُمُّ الْحَنْزِيرِ﴾ وهو الحيوان المعروف، فإنه لا يحل أكله، ﴿وَالْمُنْخَفَةُ﴾ وهي التي تموت بالخنق بقصد أو بغير قصد؛ كالتي يلتف الحبل الذي تُربط به على رقبتها فتخنق، ﴿وَالْمَوْفُودَةُ﴾ وهي التي تموت بضر بها، أو رمي مُثْقَلٍ عليها، ﴿وَالْمُتَرَدِّيَّةُ﴾ وهي التي تموت بسقوطها من شاهق، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ وهي التي تموت بنطح بهيمة لها^(١)، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ وهي التي تموت بعدو السبع عليها فيشق بطنها، وقوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء يعود على الخمس المذكورة، والمراد: ما أدرك ذكاته، وفيه حياة، وقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ﴾ أي: وحرّم عليكم ما ذُبح على النُّصَبِ، وهي الأصنام المنصوبة، وقيل: حجارة منصوبة عند البيت يذبحون عندها لآلهتهم^(٢)، وقوله: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ وهي ثلاث قطع، كُتِبَ على إحداها إفعُل، والأخرى لا تفعل، والثالثة غُفْلٌ لم يُكْتَبَ عليها شيء^(٣). ومعنى الاستقسام طلب القسم الذي هو خير، فإذا هموا

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٤٠)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ١٤٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧٠/٨)، وزاد المسير (٥١٢/١).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (١٤٩/١٣)، وأحكام القرآن لابن العربي (٣١/٢).

بأمر استخرجوا واحدة من هذه الثلاث، فإن خرج افعل؛ مضوا في أمرهم، وإن خرج لا تفعل؛ رجعوا عما هموا به، وإن خرج الثالثة أعادوا التجربة، والاستقسام بها هو ما ذكر من طريقتهم، والمعنى: وحُرِّم عليكم الاستقسام بالأزلام. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ الإشارة إلى كل ما تقدم من المحرمات. وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ المراد باليوم يوم عرفة الذي وقف فيه النبي ﷺ بعرفة بحجة الوداع، ومعنى: ﴿يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي: يسوا من اضمحلال دين الإسلام، ويرتد المسلمون عنه، ويعودوا إلى الدين الذي كانوا عليه، وهو الشرك، فقد كان الكفار يطمعون في ذلك، وبظهور دين الإسلام، وانتشاره بكثرة الداخلين فيه انقطع رجاء الذين كفروا؛ فأيسوا مما كانوا يطمعون فيه، ولا بد أن يورثهم ذلك حنقاً على المسلمين، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وهذا اليوم هو اليوم الذي يبس فيه الذين كفروا من دين المسلمين، فإن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ عشية عرفة، وهو واقف على ناقته بعرفة كما ثبت في الصحيح عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم الجمعة»^(١)، وفي هذه الآية امتنان من الله على رسوله والمؤمنين بإكمال الدين، وهو إكمال شرائعه وأحكامه، وامتنَّ عليهم سبحانه بأن أتمَّ عليهم نعمته بهدائيتهم لهذا الدين الذي رضيهم له ديناً، وهي النعمة الكبرى التي ترجح بجميع النعم. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ أي: ألجأته ضرورة الجوع - وهو الممخمة - إلى الأكل من تلك المحرمات المذكورة في صدر الآية، ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أي:

(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) واللفظ له.

غير مائل إلى الإثم بالأكل من الحرام^(١)، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفور لمن أكل مضطراً حيماً به، إذ رخص له في الأكل عند الاضطرار، إذن فهذه الجملة متصلة في المعنى بقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾ وما بينهما اعتراض. وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾: يخبر تعالى أن الناس سألوا النبي ﷺ ماذا أحل لهم؛ أي: من الطعام، وذلك بعد ذكر المحرمات في أول الآية السابقة، فأمر الله نبيه أن يجيبهم، وذلك قوله: ﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ وهي كل طعام نافع لا ضرر فيه، وهي ضد الخبائث التي تقدم ذكر تحريمها^(٢)، كما قال تعالى في وصف نبيه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ولا يليق تفسير الطيبات بالحلال كما فعل بعض المفسرين، فإنه يؤوّل: قل أحل لكم الحلال، وهذا لا يليق في كلام الله، فإنه من قبيل تحصيل الحاصل، وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ أي: وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح، وعطف هذا على الطيبات من عطف الخاص على العام^(٣). والجوارح: ما يُصطاد به من الكلاب والطيور كالصقر والبازي. وقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من ضمير الفاعل في قوله: ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ أي: مقتنين الكلاب لتعليمهن الصيد، ولهذا قال تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ فتعليم الناس الكلاب الصيد برياضتهن على الإقدام والكف بالأمر والنهي. وجملة ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال مقدّرة، وقوله: ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ إخبار من الله بأن علم العباد برياضة الجوارح للصيد هو تعليم من الله بالإلهام والتجربة. وقوله: ﴿فَكُلُوا﴾ الفاء للتفريع، والأمر للإباحة. وقوله: ﴿مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: مما أمسكت الجوارح من أجلكم، وعلامة ذلك ألا تأكل منه، فإن أكل الجارح من الصيد فلا يحل؛

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٤١)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٠٧).

(٢) تنظر: (ص ١٥).

(٣) ينظر: الكشاف (٢/ ١٩٧)، وتفسير الألويسي (٣/ ٢٣٥).

لأنه أمسك على نفسه كما جاء في حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا أرسلت كلبك المعلم فقتل فكل، وإذا أكل فلا تأكل؛ فإنما أمسكه على نفسه»^(١).
 وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: عند إرسال الجارح، والأمر للوجوب، والتسمية عند إرسال الكلب شرط للحل؛ لقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل».

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ تذكير للعباد بأنهم محاسبون على ما يأتون ويذرون.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ أي: أكلها ﴿وَالدَّمُ﴾ أي: المسفوح كما في «الأنعام»، ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ بأن ذبح على اسم غيره، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: الميته خنقا، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: المقتولة ضربا، ﴿وَالْمُتْرَدِيَّةُ﴾: الساقطة من علو إلى أسفل فماتت، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: المقتولة بنطح أخرى لها، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ منه فمات، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿النُّصْبِ﴾: جمع نصاب - وهي الأصنام- ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾: تطلبوا القسم والحكم ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾: جمع زلم، بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام: قِدْحٌ بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل. وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام، وكانوا يحكمونها. فإن أمرتهم ائتمروا، وإن نهتهم انتهوا. ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾: خروج عن الطاعة. ونزل بعرفة عام حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أن ترتدوا عنه، بعد طمعهم في ذلك، لما رأوا من قوته. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾. اليوم أكملت لكم دينكم: أحكامه وفرائضه - فلم

(١) أخرجه البخاري (١٧٥) - واللفظ له -، ومسلم (١٩٢٩).

ينزل بعدها حلال ولا حرام- ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكماله، وقيل: بدُخول مكة آمينين. ﴿وَرَضِيتُ﴾: اخترتُ ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا. فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة إلى أكل شيء مما حُرِّمَ عليه فأكل، ﴿غَيْرَ مُتْجَانِفٍ﴾: مائل ﴿لِإِثْمٍ﴾: معصية، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل، ﴿رَحِيمٌ﴾ به في إياحتِه له، بخلاف المائل لِإِثْمٍ، أي: المُلتبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً، فلا يحلُّ له الأكل. ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا مُحَمَّد: ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الطعام؟ ﴿قُلْ: أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾: المُستلذَّاتُ، ﴿وَ﴾ صَيْدٌ ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾: الكواسِبِ من الكلاب والسباع والطيور، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: حال -من: كَلَّبْتُ الكلبَ بالتشديد: أرسلته على الصيد- ﴿تَعَلَّمُونَهُنَّ﴾: حال من ضمير «مكَلِّبِينَ» أي: تُؤدَّبونَهُنَّ ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من آداب الصيد. ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، وإن قتلته بأن لم يأكلن منه، بخلاف غير المُعلَّمة فلا يحلُّ صيدها -وعلامتها أن تسترسلَ إذا أرسلت، وتزجر إذا زُجرت، وتُمسكُ الصيدَ ولا تأكلَ منه. وأقلُّ ما يُعرف به ذلك ثلاثُ مرَّات. فان أكلنَّ منه فليس مِمَّا أَمْسَكْنَ على صاحبهنَّ فلا يحلُّ أكله، كما في حديث الصحيحين. وفيه أنَّ صيد السهم، إذا أرسل وذكُر اسم الله عليه، كصيد المُعلَّم من الجوارح - ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند إرساله، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ. إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

وقول المؤلف: (أي: أكلها): بيان لمتعلِّق التحريم، وهو الأكل.
وقوله: (أي: المسفوح...) إلى آخره: يبيِّن أن تحريم الدم في هذه الآية مقيد بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ

يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴿١٤٥﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فالمحرّم هو الدم

المسفوح؛ وهو السائل.

وقوله: (بأن ذُبِحَ على اسم غيره): بيان للمراد ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كالذي ذُكِرَ عند ذبحه اسم صنم أو وثن؛ كالعزى واللات.

وقوله: (المَيْتَةُ خَنْقًا): يريد الميته بسبب الخنق، وتقدم إيضاح ذلك في التفسير قريباً.

وقوله: (المقتولة ضرباً): يريد الميته بسبب الضرب، وتقدم إيضاحه كذلك. وقوله: (الساقطة...) إلى آخره: يريد الميته بسبب سقوطها من جبل ونحوه.

وقوله: (المقتولة بنطح أخرى لها): يريد أن النطيحة فعيلة بمعنى مفعولة، وهي التي ماتت بسبب أن نطحتها بهيمة أخرى.

وقوله: (منه فمات): يريد ما أكل السبع بعضه فمات.

وقوله: (أدرکتهم...) إلى آخره: يريد أن الاستثناء راجع إلى كل ما تقدم، فما أدرك وفيه حياة فإنه يُذَكَّى، ويحل.

وقوله: (اسم): يريد ما ذُبِح، وذُكِرَ اسم النُّصْبِ عليه عند ذبحه أو ذُبِحَ للنصب، وهي أصنامٌ منصوبةٌ حول الكعبة، وهذا في معنى ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ لكن عَطَفَهُ عليه من عطف الخاص على العام.

وقوله: (جمع نصاب): اعتباره الأصنام جمع نصاب ليس بظاهر، بل الأظهر أنه مفرد، ويُجمع على أنصاب كما في آخر السورة^(١).

(١) أي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ...﴾ [المائدة: ٩٠] الآية، وسيأتي تفسيرها في (ص ١٤٤).

وقوله: (وهي الأصنام): صحيح، فإن الأصنام أحجار منصوبة حول الكعبة، والمشركون يذبحون باسمها أو يذبحون لها، وكل هذا رجس من عمل الشيطان.

وقوله: (تطلبوا القسَم والحكم): يريد أن الاستقسام من طلب القسَم والحظ لا من القسَم؛ وهو اليمين.

وقوله: (جمع زلم...) إلى آخره: تفسير للأزلام التي كانوا يستقسمون بها؛ قيل: كانت ثلاثة يحملها كل واحد، مكتوب على أحدها افعَل، والثاني لا تفعل، والثالث مُهمل، وقيل: هي سبعة عند سادن الكعبة كما ذكر المؤلف^(١)، والأول هو المشهور^(٢)، وقد أبدل الله المسلمين بعبادة الجاهلية صلاة الاستخارة. وقوله: (خروج عن الطاعة): هذا هو المعنى الشرعي للفسق، وأصله في اللغة الخروج^(٣)؛ فالمعنى الشرعي أخص.

وقوله: (ونزل...) إلى آخره: فالمراد باليوم في الآية يوم عرفة. وقوله: (أن تردّوا...) إلى آخره: بيان لمتعلّق يأسيهم، وهو ارتداد المسلمين عن دينهم، وقد كانوا يطمعون في ذلك.

وقوله: (أحكامه وفرائضه...) إلى آخره: بيان للمراد بإكمال الدين.

وقوله: (بإكماله...) إلى آخره: بيان لما سمّت به النعمة.

وقوله: (اخترتُ): بيان لثمرة الرضا بالإسلام.

وقوله: (مراجعة...) إلى آخره: بيان لمتعلّق الرخصة في الأكل؛ وهي

الضرورة بسبب المجاعة.

وقوله: (مائل): مأخوذ من الجَنَف، وهو الميل.

(١) ينظر: سيرة ابن إسحاق (ص ٣٢)، وتفسير البغوي (٣/ ١١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٧٢-٧٦).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢)، ولسان العرب (١٠/ ٣٠٨).

وقوله: (معصية): لأن كل معصية إثم.
 وقوله: (له ما أكل): بيان لمتعلق المغفرة.
 وقوله: (به في إباحته له...) إلى آخره: بيان لما كانت به الرحمة، وبيان
 لمن لا يحل له الأكل، وهو المتلبس بالإثم؛ كقطع الطريق والبغي.
 وقوله: (يا محمد): بيان للمخاطب بالسؤال، وهو الرسول ﷺ.
 وقوله: (من الطعام؟): بيان للمسؤول عنه.
 وقوله: (المستلذات): تفسير ﴿الطَيِّبَاتُ﴾.
 وقوله: (صيد): تقدير المعطوف على ﴿الطَيِّبَاتُ﴾، وهو صيد الجوارح.
 وقوله: (الكوايسب...) إلى آخره: بناؤها أو مخلبها من الكلاب والسباع
 وجوارح الطير.

وقوله: (كَلَّبْتُ الكلب...) إلى آخره: بيان لمعنى ﴿مُكَلِّبِينَ﴾.
 وقوله: (حال من ضمير...) إلى آخره: بيان لموقع الجملة الإعرابية،
 ومعنى ﴿تَعَامُونَهُنَّ﴾ أي: تؤدّبون الكلاب حتى تستشلي^(١) إذا أرسلت، وتكفُّ
 إذا رجرت، وبهذا تكون معلّمة^(٢).

وقوله: (من آداب الصيد) أي: طرائق الصيد بالكلاب ونحوها.
 وقوله: (وإن قتلته...) إلى آخره: بيان لمحل إباحة الأكل، وذلك إذا لم
 يأكل الكلب من الصيد، فإن أكل الكلب من الصيد لم يحل الأكل منه؛ لأنه إنما
 أمسك على نفسه، ولم يمسك على صاحبه.
 وقوله: (عند إرساله): بيان لمحل التسمية على الصيد بالجراح.

(١) قال الأزهرى: «استشلى أي: أجاب؛ كأنه يدعو للصيد فيجيبه ويدعو على الصيد». الزاهر
 في غريب ألفاظ الشافعي (ص ٢٦٢)، وفي الإشلاء قولان: قال قوم: معناها دُعي؛ يقال:
 أشليت الكلب إذا دعوته، وقال آخرون: أشليته إذا أغريته بالصيد. ينظر: حلية الفقهاء
 (ص ٢٠٢).

(٢) ينظر: الأم (٣/ ٥٩٢)، وتفسير الطبري (٨/ ١٠٨) وما بعدها، و(٨/ ١٢٠).

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

المراد باليوم اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤]، وذكر حل الطيبات ليعطف عليه ما بعده^(١). وقوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾ والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى، وطعامهم هي ذبائحهم عند جمهور المفسرين^(٢)، وعامة الفقهاء^(٣)، وهو من قبيل العام الذي أريد به الخصوص، وهذا التفسير هو المناسب لموضوع الآيات؛ فقد قال في أول آية: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، وفي الآية الثالثة قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ذِيحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ [المائدة: ٣]، وفي الآية الثالثة ذكر حل صيد الجوارح، والصواب أن كل من يدين باليهودية والنصرانية من بني إسرائيل أو غيرهم فإنه داخل في عموم ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾^(٤). وقوله: ﴿وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾ معناه: يحل لنا أن نطعمهم من طعامنا؛ أي: من ذبائحنا، وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعني: وأحل لكم نكاح المحصنات من المؤمنات. وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: وأحل لكم نكاح المحصنات من نساء أهل الكتاب.

(١) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٢٦٩)، وزاد المسير (١/ ٥١٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ١٢٩)، وزاد المسير (١/ ٥١٧-٥١٨).

(٣) ينظر: الاستذكار (٥/ ٢٨٢)، والمغني (١٣/ ٢٩٣).

(٤) ينظر: العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية (٢/ ٢١٢)، والمغني (١٣/ ٢٢٨).

واختلف في المراد بالمحصنات في الموضوعين؛ ف قيل هنا: الحرائر، وقيل: العفائف^(١)، والصواب أن المراد: الحرائر العفائف^(٢)؛ فلا يحل نكاح الفاجرات، ولا يحل للأحرار نكاح الإماء المؤمنات إلا بشرطين: عدم طول^(٣) الحرّة، وخوف العنت، كما في آية النساء: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: ٢٥]، ولا يحل لهم نكاح إماء أهل الكتاب بحال من الأحوال؛ لفقد شرط الإيمان المذكور في قوله تعالى: ﴿مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]. وقوله: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهرهن^(٤)، فلا يحل نكاح المحصنات إلا بإتائهن أجورهن بدفعه إليهن أو إلى أوليائهن أو بالإرادة الجازمة بذلك. وقوله: ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أي: محصنين أنفسهم عن الحرام بترك الزنا مسافحة أو باتخاذ الأخدان. وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: بما يجب الإيمان به، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله^(٥) ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ أي: بطل عمله؛ لأن الله لا يقبل مع الكفر عمل، ومن حبط عمله فقد خسر خسراناً مبيئاً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾.

﴿الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ المُسْتَلَذَّاتِ، ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: ذبائح اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ﴾: حلال ﴿لَكُمْ﴾، و﴿طَعَامُكُمْ﴾ إيّاهم ﴿حِلٌّ لَهُمْ﴾، والمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، والمُحْصَنَاتُ: الحرائر ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ حِلٌّ لَكُمْ أن تنكحوهن، ﴿إِذَا

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣٩/٨) وما بعدها، وزاد المسير (٥١٩/١).

(٢) قاله مجاهد في رواية، والشعبي والسدي. ينظر: تفسير الطبري (٨/١٤٢-١٤٥)، وزاد المسير (٥١٩/١).

(٣) أي: عدم السعة. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٢٤).

(٤) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ٨٣)، ونزهة الأعين النواظر (ص ١١٣).

(٥) ينظر: التفسير البسيط (٧/٢٧٤)، وتفسير السعدي (ص ٢٢١).

أَتَيْمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴿١﴾: مُهْرَهُنَّ، ﴿مُحْصِنِينَ﴾: مُتَزَوِّجِينَ، ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: مُعْلِنِينَ بِالزَّوْنِيِّ بَهْنٍ، ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: مِنْهُنَّ تُسَرُّونَ بِالزَّوْنِيِّ بَهْنٍ، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ أَي: يَرْتَدُّ ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ الصَّالِحِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَا يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا يُثَابَ عَلَيْهِ، ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ.

وقول المؤلف: (المُستلذات): تفسير الطيبات، وهذا تفسيرٌ قاصرٌ؛ فإن من المستلذات ما ليس بطيب كالخمر.

وقوله: (أي: ذبائح اليهود والنصارى): هذا هو المعروف عند المفسرين والفقهاء أن المراد بالطعام الذبائح.

وقوله: (إياهم) أي: الذين أوتوا الكتاب، فإنه يحل للمسلمين أن يُطعموهم، وإذا حلَّ للمسلمين أن يطعموهم فهو حلال لهم.

وقوله: (الحرائرُ): هذا أشهر التفسيرين للمحصنات، وقيل: العفائف، والصواب أن المحصنات تشملهما.

وقوله: (أن تنكحوهنَّ): بيان للحكم ومتعلقه، وهو حل نكاح المحصنات.

وقوله: (مهورهنَّ): بيان للمراد بالأجور، وهي المهور.

وقوله: (متزوجين) أي: محصنين أنفسهم عن الحرام بالزواج.

وقوله: (معلنين بالزنى بهنَّ): يريد غير مجاهرين بالزنا.

وقوله: (منهنَّ...) إلى آخره: يريد ولا مستسريين بالزنا، وهو اتخاذ الأخدان.

وقوله: (أي: يرتد) أي: عن الدين، ومن كفر بعد إيمانه فهو مرتد.

وقوله: (الصالح... إلى آخره): بيان للعمل الحابط للردة.

وقوله: (إذا مات عليه): هذا شرطٌ لحبوط العمل، وحصول الخسران، ودليله قوله تعالى: ﴿فِيمَتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثْلَ الْذِي وَانْتَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة].

يأمر الله عباده المؤمنين إذا قاموا إلى الصلاة أن يغسلوا وجوههم وأيديهم إلى المرافق ويمسحوا برؤوسهم وأرجلهم إلى الكعبين، وهذه صفة الوضوء للصلاة، وهو مع الحدث واجب؛ لقوله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»^(١)، والوضوء من غير حدث مستحب، فلا يجب الوضوء لكل صلاة إلا على من أحدث، وقد كان النبي ﷺ أول الأمر يتوضأ لكل صلاة، ثم نُسَخ ذلك فكان يصلي الصلوات بوضوء واحد^(٢)، وكما دل القرآن على صفة الوضوء؛ دلت السنة مع مزيد من البيان؛ كالمضمضة والاستنشاق، وعدد الغسلات، ومسح جميع الرأس من مقدمه إلى مؤخره كما في حديث عبد الله بن زيد^(٣). وقد اختلف العلماء في مقدار ما يُمسح من الرأس، وكيف يمسح، وتباينت أقوالهم في ذلك^(٤)، والسنة هي الفيصل، فلا اعتبار بما يخالفها،

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٤) - واللفظ له -، ومسلم (٢٢٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) لما رواه مسلم (١٧٧)، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه: أن النبي ﷺ صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد، ومسح على خفيه؛ فقال له عمر: لقد صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه، قال: «عمداً صنعته يا عمر». وينظر: شرح معاني الآثار (٤١/١)، ورسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار (ص ٢١٤).

(٣) وهو عبد الله بن زيد بن عاصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديثه في البخاري (١٨٦)، ومسلم (٢٣٥).

(٤) ينظر: المغني (١/١٧٥)، (١/١٧٧).

وأحسن ما قيل: أن الباء للإصاق لا للتبعيض^(١). وقد تنوعت السنّة في صفة مسح الرأس، ومقدار ما يُمسح منه مع العمامة وبدونها^(٢)، فينبغي مراعاة هذا التنوع، فدل القرآن على فروض الوضوء، ودلت السنّة على فروضه وسننه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ على قراءة النصب^(٣) معطوف على ﴿فَاعْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ ففرض الرجلين الغسل بدلالة القرآن والسنة، وأمّا على قراءة الرجلين بالخفض^(٤)؛ ففرض الرجلين المسح عطفًا على الرؤوس^(٥)، وقد بينت السنّة محلّ ذلك؛ وهو حال لبس الخفين، فقد كان النبي ﷺ يغسل رجله، فإن لبس خفين مسح عليهما^(٦)، فدلّت القراءتان مع بيان السنّة على الحكمين الغسل والمسح. وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي: اغتسلوا^(٧)؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣] أي: لا تقربوا الصلاة وأنتم جُنُب حتى تغتسلوا، وللجنابة سببان: الجماع وإن لم يكن معه إنزال، وإنزال الماء يقظة أو منامًا. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ﴾ أي: يضركم استعمال الماء؛ أي: فتيّموا صعيدًا طيبًا. وقوله: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: من كان على سفر، وأحدث حدثًا أصغر بالمجيء من الغائط، أو

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٦٤/٢)، والبيان في إعراب القرآن (١/٤٢٢).

(٢) ينظر: السنن الكبير للبيهقي (١/١٧٦)، (١/١٧٨)، (١/١٨٠)، (١/١٨٥)، (١/١٨٦)، وزاد المعاد (١/٢١٢-٢١٣).

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر، وعاصم في رواية حفص، والكسائي ويعقوب. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٤).

(٤) وهي قراءة أبي جعفر وأبي عمرو وابن كثير، وعاصم في رواية أبي بكر، وحمزة وخلف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٤).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٥١-٥٤).

(٦) صرّح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر. ينظر: نظم المتناثر (٣٢).

(٧) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ٣١٨)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٤٢٠).

أكبر بملامسة النساء، وهو كناية عن الجماع^(١)، ثم لم يجد ماء بعد البحث؛ ففرَّضه التيمم؛ لقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾، فدلَّت الآية على أن للتيمم سبعين: التضرر باستعمال الماء مع المرض، وعدم الماء.

وقوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: اقصدوا وجه الأرض بضربها باليدين ثم مسح الوجه واليدين؛ كما بين النبي ﷺ صفة التيمم لعمر بن ياسر فإنه قال: إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا، فضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح بهما وجهه وكفيه^(٢)، فدلَّت الآية على الطهارتين الصغرى والكبرى، والطهارة بالماء وبالتيمم، وأن التيمم يجزئ عن الماء في الطهارة الكبرى والصغرى عند عدم الماء أو الضرر باستعماله^(٣). وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بيان لحكمته مما شرع لعباده ورحمته بهم لرفع الحرج؛ كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ ففيما شرع من أنواع الطهارة طهارة ظاهرة وباطنة، ونعمة تامة، وذلك يستوجب الشكر من العباد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا بِهِ﴾، هذا أمر آخر للمؤمنين بأن يذكروا نعمة الله عليهم؛ أي: نعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، ومنها ما تقدم بيانه من أحكام الطهارة والصلاة، ويذكروا الميثاق الذي واثقهم الله به، وهو عقد الإيمان الموجب لامثال أوامر الله، واجتناب مناهيه. وقوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا ما أمرتنا به

(١) وهو قول علي وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واختاره الطبري. ينظر: تفسير الطبري (٦٣/٧)، (٧٣/٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧)، ومسلم (٣٦٨) بنحوه.

(٣) مذهب عمر وابن مسعود أن التيمم لا يُجزئ عن الماء للجنب، ورؤي أنهما رجعا عن ذلك. ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٦٨٥)، وعبد الرزاق (٩١٥)، وفتح الباري لابن رجب (٢٨٣/٢).

سَمَاعِ انْقِيَادِ وَاسْتِجَابَةِ، وَأَطْعِنَا أَمْرَكَ وَأَمْرَ رَسُولِكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَتِلْكَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مَا وَصَى اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَمِنْهُ مَا تَقَدَّمَ فِي آيَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تَأْكِيدٌ لِلأَمْرِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ الإِيمَانَ بَعَلَّمَهُ تَعَالَى بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ النِّيَّاتِ، وَالخَوَاطِرِ مِنَ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّقْوَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا طَلَبًا لِمَرْضَى اللَّهِ، وَاجْتِنَابًا لِمَسَاخِطِهِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا قُمْتُمْ﴾ أَي: أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾، وَأَنْتُمْ مُحَدِّثُونَ، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أَي: مَعَهَا كَمَا بَيَّنَّتْهُ السُّنَّةُ، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ -الباء: لِلإِلْصَاقِ أَي: أَلْصِقُوا الْمَسْحَ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِسَالَةِ مَاءٍ. وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ، فَيَكْفِي أَقْلَ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ. وَهُوَ مَسْحُ بَعْضِ شَعْرَةٍ. وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ - ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾، بِالنَّصَبِ عَطْفًا عَلَى «أَيْدِيكُمْ»، وَبِالْجَرِّ عَلَى الْجَوَارِ، ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أَي: مَعَهَا كَمَا بَيَّنَّتْهُ السُّنَّةُ - وَهُمَا الْعِظْمَانِ النَّاتِيَانِ فِي كُلِّ رِجْلٍ عِنْدَ مَفْصِلِ السَّاقِ وَالْقَدَمِ. وَالْفَصْلُ بَيْنَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ الْمَغْسُولَةِ بِالرَّأْسِ الْمَمْسُوحِ يَفِيدُ وَجُوبَ التَّرْتِيبِ فِي طَهَارَةِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ. وَيُؤْخَذُ مِنَ السُّنَّةِ وَجُوبَ النِّيَّةِ فِيهِ، كغَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: فَاغْتَسَلُوا. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مَرَضًا يَضُرُّهُ الْمَاءُ، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أَي: مُسَافِرِينَ، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أَي: أَحَدٌ، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ - سَبَقَ مِثْلُهُ فِي آيَةِ «النِّسَاءِ» - ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ بَعْدَ طَلْبِهِ، ﴿فَتَيْمَّمُوا﴾: اقْصِدُوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تُرَابًا طَاهِرًا، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مَعَ الْمِرْفَقَيْنِ ﴿مِنْهُ﴾ بِضَرْبَتَيْنِ. وَالباء: لِلإِلْصَاقِ. وَبَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّ الْمُرَادَ اسْتِيعَابَ الْعُضْوَيْنِ بِالْمَسْحِ. ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾ فِي الدِّينِ ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾: ضَيْقٍ، بِمَا

فرض عليكم من الوضوء والغسل والتميم، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب، ﴿وَلِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعْمَهُ. ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام، ﴿وَمِيثَاقَهُ﴾ عهده ﴿الَّذِي وَاتَّقَمَ بِهِ﴾: عاهدكم عليه، ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي حين بايعتموه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، في كل ما تأمر به وتنهى عنه، مما تحب وتكره، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القلوب، فغيره أولى.

وقول المؤلف: (أي: أردتم القيام): صُرف الفعل إلى الإرادة لأن المأمور به من غسل الوجه وما بعده إنما يكون عند إرادة القيام إلى الصلاة لا حال القيام للصلاة^(١).

وقوله: (وأنتم مُحَدِّثُونَ): لأن الوضوء لا يجب إلا على المُحَدِّث. وقوله: (أي: معها^(٢)...) إلى آخره: لأن المرافق داخلة فيما يجب غسله من اليدين^(٣).

وقوله: (الباء: للإلصاق...) إلى آخره: بيان لنوع الباء، وفسر الإلصاق بأنه إلصاق الماء دون إسالة للماء، وبهذا يكون مسحًا لا غسلًا^(٤)، وأما قوله

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٥٢/٢)، والتفسير البسيط (٢٧٦/٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٥٣/٢)، والتفسير البسيط (٢٧٩-٢٨٠/٧).

(٣) ينظر: الاستذكار (١٢٨-١٢٩)، والمغني (١٧٢/١).

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٦٤/٢).

يجزئ مسح بعض شعره، ونسبه للشافعي^(١)؛ فلا ريب أنه خلاف السنة المعلومة من هديه ﷺ في الوضوء^(٢).

وقوله: (بالنصب...) إلى آخره: يشير إلى القراءتين في «أرجلكم»، ويبين وجه الإعراب فيهما^(٣)؛ فقراءة النصب عطف على «أيديكم»؛ بل على «وجوهكم»، وقراءة الجر يقول المؤلف: على المجاورة؛ يريد مجاورة الرؤوس فإنها منخفضة بالباء^(٤)، والأظهر أن الخفض على العطف على الرؤوس لا للمجاورة كما قال المؤلف^(٥).

وقوله: (أي: معهما...) إلى آخره: لبيان أن الكعيبين داخلان في المغسول كما تقدم في المرافق، وهذا الحكم مما دلت عليه السنة في صفة الوضوء^(٦)، ثم فسّر المؤلف الكعيبين بأنهما العظام الناتئان في أسفل الساق عند مفصل القدم، وهذا هو الصواب في المراد بالكعيبين^(٧)، خلافاً لمن زعم أنهما العظام

(١) ينظر: الأم (٥٦/٢).

(٢) منها ما رواه مسلم (٢٤٦) عن نعيم بن عبد الله المجرى قال: «رأيت أبا هريرة يتوضأ، فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ».

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٤٢٢/١)، والدر المصون (٢١٠/٤) وما بعدها.

(٤) ولشيخنا فتوى محررة منشورة في الموقع الرسمي عن مسألة «الخفض على الجوار في كلام الله تعالى»، وبيّن أنه موجود في اللغة وفي القرآن. وينظر: معاني القرآن للأخفش (٢٧٧/١)، والتبيان في إعراب القرآن (٤٢٢/١-٤٢٤)، وأضواء البيان (١١/٢-١٧).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٥٣/٢)، والدر المصون (٢١٥/٤).

(٦) تقدّم قريباً حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم (٢٤٦).

(٧) قال الشافعي: «ولم أسمع مخالفاً في أن الكعيبين اللذين ذكر الله عزَّ وَجَلَّ في الوضوء: الكعبان الناتئان، وهما مجمع مفصل الساق والقدم». الأم (٥٩/٢)، وينظر: صحيح ابن خزيمة (٨١/١).

الناتئان في ظهر القدمين^(١).

وقوله: (فاغتسلوا): بيان للمراد بالتطهر، وهو الاغتسال كما في الآية الأخرى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣].

وقوله: (يضره الماء): بيان للمرض الذي يُباح به التيمم.

وقوله: (أي: مُسافِرِينَ): لأن هذا هو المناسب لخطاب الجماعة.

وقوله: (أي: أَحَدٌ): بيان لما يفيدُه ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايَةِ﴾ وهو الحدث الأصغر.

وقوله: (سبق...) إلى آخره: يريد أن القول في هذه الآية كالقول في سورة النساء^(٢)، فإما أن يُراد بالملامسة اللمس باليد، وإما أن يراد به الجماع فيفيد التيمم للحدث الأكبر.

وقوله: (بعد طلبه): لأنه لا يُقال: لم يجد، إلا مَنْ طلب.

وقوله: (اقصدوا): يفيد اعتبار النية في التيمم، وضرب الأرض باليدين.

وقوله: (تُرَابًا طَاهِرًا): لأن الصعيد ما تصاعد على وجه الأرض^(٣)، ومنه

التراب، ولا بد أن يكون طاهرًا فلا يجوز التيمم بالتراب النجس، كما لا يجوز الوضوء بالماء النجس.

وقوله: (مع المرفقين): جعل التيمم كالوضوء، وهذا أحد القولين في

المسألة^(٤)، والصحيح أنه لا يشرع إلا مسح الكفين كما فعل النبي ﷺ في تعليمه لعمار^(٥).

(١) خالف في ذلك الروافض، ونُسب ذلك لبعض العلماء، ووجه بتوجيهات. ينظر: منهاج

السنة (١١٧/٤)، وتفسير ابن كثير (٥٩/٣)، وفتح الباري (٢٩٣/١)، (٤٠٣/٣).

(٢) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين لشيخنا (٤١٦/٢).

(٣) ينظر: العين (٢٩٠/١)، ومقاييس اللغة (٢٨٧/٣).

(٤) ينظر: الاستذكار (٣١٠-٣١٣)، والمجموع شرح المذهب (٢٤٣-٢٤٥).

(٥) ينظر: المغني (٣٣١/١)، وكشّاف القناع (٤١٢/١). وحديث عمار تقدّم تخريجه.

وقوله: (بضربتين...) إلى آخره: هذا قول كثير من العلماء^(١)، والصحيح أن التيمم بضربة واحدة كما في حديث عمّار^(٢)، وقوله: الباء للإلصاق؛ يريد أنها كالباء في ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ تقتضي ممسوحًا به.

وقوله: (وَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ أَنَّ الْمُرَادَ اسْتِيعَابَ الْعُضْوَيْنِ بِالْمَسْحِ): يريد الوجه والكفين، والدليل حديث عمّار.

وقوله: (في الدين): بيان لمتعلّق الحرج المنفي.

وقوله: (ضيق...) إلى آخره: يبين أن المراد نفي الحرج عن هذه الأحكام في الطهارة.

وقوله: (من الأحداث والذنوب): يبين أن الطهارة المرادة لله تشمل الطهارة الحسية والمعنوية.

وقوله: (بالإسلام...) إلى آخره: يبين أن المراد بالنعمة نعمة الإسلام، وتامها بشرع الأحكام.

وقوله: (نعمة): بيان لمتعلّق الشكر وسببه.

وقوله: (بالإسلام): بيان للنعمة التي أمر الله بذكرها؛ وهي التوفيق للإسلام.

وقوله: (عهده): تفسير الميثاق، وهو العهد المؤكّد^(٣).

وقوله: (عاهدكم عليه): يبين أن ذلك الميثاق بين العبد وربّه، وهو الشهادتان.

وقوله: (للنبيّ حين بايعتموه): بيان للمخاطب؛ لقولهم: ﴿سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا﴾ وهو النبيّ ﷺ.

وقوله: (في كلّ ما تأمر به...) إلى آخره: بيان لعموم السمع والطاعة.

(١) ينظر: الاستذكار (١/٣١٠-٣١٣)، والمجموع شرح المذهب (٢/٢٤٣-٢٤٣).

(٢) ينظر: المغني (١/٣٢٠)، وكشّاف القناع (١/٤٢١).

(٣) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٤٥٤)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٨٥٣).

وقوله: (في ميثاقه أن تنقضوه): بيان لمتعلق التقوى، والصواب أن الآية أعمُّ من ذلك^(١).

وقوله: (بما في القلوب...) إلى آخره: بيان للمراد بذات الصدور، والقلوب في الصدور؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ تَعَمَّى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].



(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٦٢).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

[المائدة].

يأمر الله عباده المؤمنين أن يكثرُوا القيام لله دعوةً إلى الله، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر ونصرًا لدين الله، ونصرًا للمظلوم، وإعانة على كل ما يرضي الله وأن يشهدوا بالعدل، ثم نهى عن أن يحملهم بغض قوم على عدم العدل فيهم، وأمر بالعدل لأنه أقرب إلى التقوى ثم أمر بتقوى الله التي هي جماع الخير كله، وأكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، ثم رغب في الإيمان والعمل الصالح بوعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، ثم حذر من أعمال الكفار ومصيرهم وهو الجحيم، ثم أمر المؤمنين أن يذكروا نعمة الله عليهم بحفظ نبيهم ممن هم بقتله فأبطل الله كيده وأخزاه، وختمت هذه الوصايا بالوصية بتقوى الله والتوكل عليه؛ فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوَّامِينَ﴾: قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنكم ﴿شَنَاَنُ﴾: بغض ﴿قَوْمٍ﴾ أي: الكفار ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فتناولوا منهم لعداوتهم. ﴿أَعْدِلُوا﴾ في العدو والولي - ﴿هُوَ﴾ أي: العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ واتَّقُوا الله. إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، فيجازيكم به. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾

الصَّالِحَاتِ ﴿ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾ لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿، هو الجنة، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ هُمْ قَوْمٌ ﴿ - هُمْ قُرَيْشٌ - ﴿ أَنْ يَبْسُطُوا ﴾: يَمْدُوا ﴿ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ لِيَفْتِكُوا بِكُمْ، ﴿ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقول المؤلف: (قائمين): تفسير ﴿ قَوَّامِينَ ﴾ بقائمين قاصر؛ فإنه بما ذكر ترك ما تدل عليه صيغة المبالغة.
 وقوله: (بحقوقه): بيان لمتعلق القيام، وهي حقوق الله بل وحقوق العباد مع الإخلاص في ذلك كله.
 وقوله: (بالعدل): بيان لمعنى «القسط»، وهذا هو التفسير المشهور في اللغة^(١)، وفي تفسير القرآن^(٢).
 وقوله: (يحملنكم): تفسير لـ ﴿ يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾^(٣)؛ المعنى: لا يكون البغض سبباً باعثاً على ترك العدل.
 وقوله: (بُغْضُ): بيان لمعنى «الشنآن» وهو البغض، فالشنآن من أسماء البغض^(٤).
 وقوله: (أي: الكفار): بيان للقوم المبعوضين.

(١) ينظر على سبيل المثال: الصحاح (١١٥٢/٣)، ولسان العرب (٣٧٧/٧)، وتاج العروس (٢٤/٢٠).

(٢) ينظر على سبيل المثال: معاني القرآن للزجاج (١٥٥/٢)، وتفسير ابن كثير (٦٢/٣)، والتحرير والتنوير (١٣٥/٦).

(٣) وتقدم في (ص ١٣)، وقد فسرها في الموضوع الأول بـ «يُكْسِبَنَّكُمْ» فجعله من جَرَمَهُ؛ أي: أكسبه، واختار شيخنا حَفِظَهُ اللَّهُ في الموضوعين أنها من «حَمَلَهُ»، وقال: «هذا أظهر في الدلالة على المعنى المراد».

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٤٦٥).

وقوله: (فتنالوا منهم لعداوتهم): يريد أنكم تتركون العدل لتصيبوا من العدو.

وقوله: (في العدو والولي): بيان لعموم الأمر بالعدل.
وقوله: (أي: العدل): بيان لمرجع الضمير المنفصل، وهو العدل المفهوم من الأمر.

وقوله: (فيُجازيكم به): بيان لأثر خبرة الله بأعمال العباد.
وقوله: (وعدداً حسناً): لأن الوعد يكون بالخير، وهو الوعد الحسن؛ كوعده تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات المغفرة والأجر العظيم، ويكون بالشر، وهو الوعد السيئ كوعده للكفار النار والعذاب الأليم.

وقوله: (هو الجنة): بيان للمراد بالأجر العظيم؛ فبالمغفرة ينجو العبد من النار، وبالأجر العظيم يفوز بالجنة، وذلك الفوز العظيم.
وقوله: (هُم قُرَيْشٌ): بيان للمراد بالقوم، وفي هذا التفسير نظر^(١)؛ لأنه خلاف ما ورد في سبب نزول الآية^(٢).

وقوله: (يَمْدُوا): تفسير لبسط اليد، ومعلوم أن مَنْ مَدَّ يده ليفعل بها فقد بسطها.

وقوله: (لِيَفْتِكُوا بِكُمْ): بيان للغرض من بسط الأيدي.
وقوله: (وعصمكم...) إلى آخره: يبين أن كف يد المعتدي من عصمة الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].



(١) ولعل المؤلف صادر عن تفسير ابن أبي زَمِين (٢/ ١٤)؛ فقد أورد عن الحسن: «كان رسول الله ﷺ ببطن نخل محاصراً غطفان، وهو متقلد سيفه، فجاءه رجل كانت قريش قد بعثته ليفتك برسول الله...». وينظر: تفسير العز بن عبد السلام (١/ ٣٧٤)، والبحر المحيط (١٩٧/٤).

(٢) ينظر: أسباب النزول (ص ١٩٢)، ولباب النقول (ص ٩٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٤﴾﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

يخبر تعالى أنه أخذ من بني إسرائيل ميثاقهم؛ أي: عهدهم المؤكد على الإيمان بالله ورسله، وبعث منهم اثني عشر نقيباً بعدد الأسباط^(١)، والنقيب هو المعرف بعشيرته^(٢)، وقال الله لهم: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بالحفظ والنصر والتأييد^(٣). وقوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هذا هو موجب الميثاق، وهو العمل بهذه الشرائع، ووعدهم على القيام بذلك تكفير السيئات، ودخول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار. وقوله: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ أي: نقض الميثاق، ولم يعمل بما يوجبه ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قد

(١) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الأسباط: بنو يعقوب، كانوا اثني عشر رجلاً، كل واحد منهم ولد سبطاً أمة من الناس»؛ فالأسباط من بني إسرائيل كالقبايل من العرب. ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧ - ٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٥٧/٢)، وتاج العروس (٢٩٦-٢٩٧).

(٣) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخنا (ص ١٣٤).

ضل عن طريق الحق، واستحق الوعيد الشديد على ذلك؛ كما ذكر في الآية التالية. وقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ - أي: فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم - إلى قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ فأخبر تعالى أنه عاقبهم بخمس عقوبات: اللعن؛ وهو الطرد عن رحمة الله^(١)، وقسوة القلوب، والخذلان حتى حَرَّفُوا الْكَلِمَ عن مواضعه، ونسوا بعض ما ذكروا به، ولم تزل الخيانة ديدنهم، والمعنيون بهذا الذم والوعيد هم اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، فكم نقضوا من عهد عقدوه مع النبي ﷺ، وكم من خيانة دبروها فاستحقوا بذلك ما جرى عليهم من قتل وجلاء. وقوله: ﴿فَأَعَفُّ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾ هذا الحكم قَبْلَ الأمر بقتالهم المذكور في سورة براءة، وهو قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة]^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ خبر عن النصارى وأخذ الميثاق منهم بعد الخبر عن اليهود، وأنهم تَرَكُوا بعض ما ذكروا به في الإنجيل؛ فَعُوَقِبُوا بِإِغْرَاءِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ حَالَةَ مَسْتَمِرَّةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وكذلك فَعِلَ بِالْيَهُودِ كَمَا سَيَأْتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]^(٣). وقوله: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المراد: النصارى، وفيه وعيد

(١) ينظر: لسان العرب (٣٨٨/١٣).

(٢) الأكثرون على نسخها بأية السيف، وذهب ابن جرير إلى أنه يجوز أن يعفو عنهم في غدره فعلوها ما لم يصيبوا حرباً، ولم يمتنعوا من أداء الجزية؛ فلا يتوجه النسخ. ينظر: تفسير الطبري (٢٥٦/٨)، ونواسخ القرآن (ص ١٣١).

(٣) تنظر: (ص ١١٧).

لهم فإنهم ينبؤون بما صنعوا من نسيان ما ذكروا به، وغلوهم في المسيح وأمه، وعبادتهم الصليب، ينبئهم بما صنعوا من ذلك، ويجزيهم به.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١﴾ بِمَا يُذَكِّرَ بَعْدُ، ﴿٢﴾ وَبَعَثْنَا ﴿٣﴾ فِيهِ
النفثات عن الغيبة- أقمنا ﴿٤﴾ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴿٥﴾، من كل سِبْطٍ نَقِيبٌ،
يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقةً عليهم، ﴿٦﴾ وَقَالَ ﴿٧﴾ لَهُمْ ﴿٨﴾ اللَّهُ:
إِنِّي مَعَكُمْ ﴿٩﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ. ﴿١٠﴾ لَئِنْ ﴿١١﴾: لَأْمُ قَسَمٍ ﴿١٢﴾ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ
الزَّكَاةَ، وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْهُمْ ﴿١٣﴾: نصرتموهم، ﴿١٤﴾ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا ﴿١٥﴾ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، ﴿١٦﴾ لَأَكْفُرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿١٧﴾ الْمِيثَاقِ ﴿١٨﴾ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ
سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٩﴾: أخطأ طريق الحق. والسواء في الأصل: الوسط. فنقضوا
الميثاق. قال تعالى: ﴿٢٠﴾ فَبِمَا نَقَضْتُمْ ﴿٢١﴾ - ما: زائدة- ﴿٢٢﴾ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴿٢٣﴾:
أبعدناهم عن رحمتنا، ﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴿٢٥﴾ لا تَلِينَ لِقَبُولِ الْإِيمَانِ،
﴿٢٦﴾ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴿٢٧﴾ الَّذِي فِي التَّوْرَةِ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِ ﴿٢٨﴾ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴿٢٩﴾
التي وضعه الله عليها، أي: يُبدّلونه، ﴿٣٠﴾ وَنَسُوا ﴿٣١﴾: تركوا ﴿٣٢﴾ حَظًّا ﴿٣٣﴾: نصيبًا
﴿٣٤﴾ مِمَّا ذُكِّرُوا ﴿٣٥﴾: أمروا ﴿٣٦﴾ بِهِ ﴿٣٧﴾ فِي التَّوْرَةِ، مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ، ﴿٣٨﴾ وَلَا تَزَالُ ﴿٣٩﴾
- خِطَابَ لِلنَّبِيِّ - ﴿٤٠﴾ تَطَّلَعُ ﴿٤١﴾: تَظْهَرُ ﴿٤٢﴾ عَلَى خَائِنَةٍ ﴿٤٣﴾ أَي: خِيَانَةِ ﴿٤٤﴾ مِنْهُمْ ﴿٤٥﴾،
بنقض العهد وغيره، ﴿٤٦﴾ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴿٤٧﴾ مِمَّنْ أَسْلَمَ. ﴿٤٨﴾ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ.
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٩﴾. وهذا منسوخ بآية السيف. ﴿٥٠﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا:
إِنَّا نَصَارَى ﴿٥١﴾. متعلق بقوله ﴿٥٢﴾ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴿٥٣﴾ كَمَا أَخَذْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
اليهود، ﴿٥٤﴾ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿٥٥﴾ فِي الْإِنْجِيلِ مِنَ الْإِيمَانِ وَغَيْرِهِ، وَنَقَضُوا
الميثاق، ﴿٥٦﴾ فَأَغْرَيْنَا ﴿٥٧﴾: أَوْعْنَا ﴿٥٨﴾ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٥٩﴾،

بتفرّقهم واختلاف أهوائهم، فكلُّ فرقة تُكفِّرُ الأخرى، ﴿وَسَوْفَ يَنْبَهُمْ
اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، فيُجازيهم عليه.

وقول المؤلف: (بما يُذكَرُ بعدُ): يريد قوله تعالى: ﴿لَيْنٌ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ
وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ...﴾ الآية.

وقوله: (فيه التفات...) إلى آخره: يريد أن الإسناد في الجملة الأولى إلى
الاسم الظاهر، وفي الجملة الثانية إلى ضمير الجمع الدال على التعظيم، وهذا
يسمى التفات^(١) في علم البلاغة^(٢).

وقوله: (من كلِّ سبب...) إلى آخره: بيان أن عدد النقباء بعدد الأسباب،
وبيان لعمل النقيب.

وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين بقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ وهم النقباء.
وقوله: (بالعون والنصر): بيان لمقتضى المعية.
وقوله: (لأمِّ قسم): بيان لمعنى اللام في قوله: ﴿لَيْنٌ﴾ وهو أنها
موطئة للقسم^(٣).

وقوله: (نصرتموهم): تفسير لـ «عزّرتموهم»^(٤).

وقوله: (بالإنفاق في سبيله): تفسير للقرض الحسن.

(١) ولشيخنا تعليق في جواز استعمال مصطلح الالتفات وغيره من المصطلحات البلاغية في
كلام الله، ولا يلزم من ذكر هذه المصطلحات إضافة أفعالها إلى الله، بل تجعل هذه
المصطلحات من أوصاف الألفاظ ودلالاتها. ينظر: نصوص وتعليقات (ص ٨١).

(٢) ينظر: عروس الأفراح (١/ ٢٧٢).

(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٤١٦)، والدر المصون (٤/ ٢٢٠).

(٤) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٣٣٢)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب
(٢٢٢).

وقوله: (الميثاق): بيان لمرجع اسم الإشارة.
 وقوله: (أخطأ...) إلى آخره: بيان لمعنى الضلال عن سواء السبيل ثم
 فسّر السواء بالوسط^(١)، ويبيّن أن بني إسرائيل قد نقضوا الميثاق.
 وقوله: (ما: زائدة): يريد أنها ليست اسماً، ولا حرفاً من الحروف ذات
 المعاني، والنحاة يسمون «ما» في مثل هذه الآية زائدة^(٢)، والأولى أن يقال:
 صلة^(٣)، ومن العجب أن المؤلف ذكر حكم «ما» ولم يذكر معنى الباء التي
 للسببية^(٤)، وذلك أهم في فهم المعنى.
 وقوله: (أبعدناهم عن رحمتنا): تفسير ﴿لَعَنَّاَهُمْ﴾ لأن اللعن الإبعاد عن
 رحمة الله.

وقوله: (لا تلين لقبول الإيمان): تفسير لقسوة القلوب.
 وقوله: (الذي في التوراة...) إلى آخره: بيان لمتعلق التحريف، وهو
 بعض مواضع في التوراة.
 وقوله: (التي وضعه...) إلى آخره: يبين أن التحريف صرف للكلام عن
 معانيه التي أرادها الله منه.
 وقوله: (تركوا): هذا أحد معاني النسيان^(٥)، وهو المناسب هنا كما
 ذكر المؤلف.

وقوله: (نصيياً): تفسير الحظ.
 وقوله: (أمروا): فسر التذكير بالأمر؛ لأن الأمر تذكير بما يجب على العبد.

-
- (١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٤١)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٤٤٠).
 (٢) ينظر: المقتضب (٤٨/١)، وحروف المعاني (ص ٥٤).
 (٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤١٧/٢).
 (٤) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤١٧/٢).
 (٥) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ٤٥١)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٥٧٩).

وقوله: (في التوراة...) إلى آخره: بيان لما أمروا به في التوراة، وهو اتباع

محمد ﷺ.

وقوله: (خطاب للنبي): بيان للمخاطب في قوله: «لا تزال» وهو الرسول ﷺ.

وقوله: (تَظْهَرُ): يريد تَعَلَّمَ.

وقوله: (أَي: خِيَانَةٌ): تفسير للخائنة بالخيانة، وهذا يدل على أن في

الكلام مجازًا، ومبالغة في وصفهم بالخيانة.

وقوله: (بنقض العهد، وغيره): يبين أن نقض العهد داخل في الخيانة.

وقوله: (مِمَّنْ أَسْلَمَ): بيان للمراد بالقليل المستثنى من فعل الخيانة منهم.

وقوله: (هذا منسوخ بآية السيف): يبين أن الأمر بالعفو عنهم والصفح

قبل الأمر بقتالهم.

وقوله: (متعلق بقوله): يريد أن الجار والمجرور من ﴿الَّذِينَ﴾ متعلق

بفعل ﴿أَخَذْنَا﴾.

وقوله: (كَمَا أَخَذْنَا...) إلى آخره: يبين أن المراد الإخبار عن أخذ الميثاق

من النصارى كما أخذ من اليهود، وكلهم نقضوا.

وقوله: (في الإنجيل...) إلى آخره: يبين أن الذي ذكروا به، ونسوه، وأنهم

كاليهود نسوا خطأ مما ذكروا به، ونقضوا الميثاق.

وقوله: (أَوْعْنَا): تفسير لـ «أغرينا»، والأولى أن يقول: معناه أغريناهم

بعداوة بعضهم لبعض والتباغض فيما بينهم^(١)، ففي الكلام نوع مجاز، ويشهد

لقول المؤلف قوله تعالى في اليهود: ﴿وَالْقِيَانَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله: (بتفرقهم...) إلى آخره: بيان لأثر العداوة والبغضاء فيما بينهم،

وهو التفرق وتكفير بعضهم بعضًا.

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٦/١٤٧).

وقوله: (في الآخرة): بيان لوقت تَنبِئْتَهُمْ، وهو يوم القيامة.
وقوله: (فِيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ): يبين أن المراد من تَنبِئْتَهُمْ بما صنعوا: مجازاتهم.



وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ [المائدة].

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هذا خطاب من الله لأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى الذين تقدّم ذكرهم، وسيأتي التصريح بهم، والمراد بالكتاب التوراة والإنجيل. وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ امتنان من الله بإرسال الرسول محمد ﷺ. وقوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: لبيّن لكم، ويُحتمل أن تكون الجملة حال مقدّرة؛ بمعنى: جاءكم في حال أنه سيبيّن لكم^(١)، والمراد بما يخفونه: ما يكتُمونه من الأحكام، وصفة النبي ﷺ ووجوب اتباعه عليهم؛ فيخبرهم ﷺ بكثير مما أخفوه، ويُعرض عن كثير على وجه العفو والمسامحة، وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ جملة مؤكّدة؛ لقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ وعلى هذا

(١) والثاني هو المذكور في غالب كتب الإعراب. ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/٢٢٢)، والبيان في إعراب القرآن (١/٤٢٨)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٤٦١).

فالنور هو الرسول، ﴿وَكُتِبَ مُبِينٌ﴾ هو القرآن^(١)، ومعنى ﴿مُبِينٌ﴾ أي: واضح المعاني، ومبين لأهل الكتاب وغيرهم ما اختلفوا فيه؛ فهو البرهان على صدق من جاء به، وحجة الله على الناس كلهم، وقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ أي: يهدي بالقرآن من اتبع رضوان الله يهديهم سُبُل السلام؛ أي: طُرُق الحق الذي به السلامة والنجاة من غضب الله وعذابه^(٢)، ويخرجهم بالقرآن من الظلمات - ظلمات الجهل والكفر والغفلة - إلى نور العلم والإيمان والتذكر، وذلك بإذنه تعالى أي: بمشيئته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: يهديهم الله إلى الطريق القويم، وهو دين الإسلام. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا حكم من الله على النصارى بالكفر؛ لقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، فجعلوا المسيح إلهًا، وزعموا أنه ابن الله، فجمعوا بين الشرك ونسبة الولد إلى الله، فكان كفرهم بسببين، فردَّ الله عليهم بأن له ملك السموات والأرض فمن فيهما عبده، فالمسيح وأمه عبدان لله عابدان له وحده فلو أراد أن يهلكهما ومن في الأرض جميعًا؛ فلا أحد يقدر على منعه، ولا النجاة من الهلاك ثم أخبر أنه الخالق لما يشاء، والقادر على كل شيء فلا شيء يعجزه، ولا أحد يقدر على ردِّ ما أَرَادَهُ بالعباد.

ثم أخبر تعالى عن زعم اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وهذا إعجاب منهم بأنفسهم، وفخر على غيرهم؛ كقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: ١١١]، وقولهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا﴾

(١) ذكره الطبري ولم يذكر غيره، ونسب الواحدي لقتادة تفسير النور بالرسول، وقيل: النور: الإسلام، ولعل هذا من اختلاف التنوع، وقيل غير ذلك في تفسير «النور»، و«الكتاب المبين». ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٦٤)، والبحر المحيط (٤/ ٢٠٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٣٣)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٦٨).

[البقرة: ١٣٥]، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: لا فضل لكم على غيركم من البشر، يغفر لمن يشاء منكم ومن غيركم ويعذب من يشاء، ثم أخبر أنه له ملك السموات والأرض وما بينهما؛ فمشيئته نافذة في العباد، وإليه مصيرهم يوم المعاد، وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطاب لليهود والنصارى مخبراً لهم أنهم قد جاءهم رسول، وهو محمد ﷺ يبين لهم على فترة من الرسل؛ أي: في فترة من الرسل^(١)، وهي مدة ما بين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَعَثَ مُحَمَّدٌ ﷺ، والمشهور أن الفترة ست مئة سنة^(٢). وقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ أي: لا تقولوا^(٣) ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ أي: فلا حجة لكم، ولا عذر لكم عن اتباعه، وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تهديد لمن أبى اتباع هذا الرسول.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ مُحَمَّدٌ، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾: تكتُمون، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: التوراة والإنجيل، كآية الرجم وصفته، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ من ذلك فلا يُبَيِّنُهُ، إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي، ﴿وَكِتَابٌ﴾: قرآن ﴿مُبِينٌ﴾: بين ظاهر، ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ﴾ من أتبع رضوانه، ﴿بأن آمن، ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طرق السلامة، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: دين الإسلام. ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهاً. وهم اليعقوبية، فرقة من النصارى.

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٢١/٣)، وشرح ألفية ابن مالك للشاطبي (٣/٦٥١).

(٢) ينظر: زاد المسير (١/٥٣١)، وتفسير ابن كثير (٣/٧٠).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٣٠٣)، وتفسير الطبري (٨/٢٧٥).

﴿قُلْ: فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أن يدفع ﴿مِنْ﴾ عذاب ﴿اللَّهِ شَيْئًا﴾، إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً؟ أي: لا أحد يملك ذلك -ولو كان المسيح إلهًا لقدّر عليه- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا. يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ أي: كلّ منهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي: كأبنائه في القرب والمنزلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ﴾. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، إن صدقتم في ذلك؟ ولا يُعَذِّبُ الأبُّ ولده ولا الحبيبُ حبيبه، وقد عذّبكم. فأنتم كاذبون. ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ جَمَلَةٌ مِّنْ خَلْقٍ﴾ من البشر، لكم مالهم وعليكم ما عليهم، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: المرجع. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين، ﴿عَلَى فِتْرَةٍ﴾: انقطاع ﴿مِنَ الرَّسُولِ﴾ -إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومُدَّة ذلك خمسُمائة وتسع وستون سنة- ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ إذا عذبتهم: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ﴾: زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾. فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ، فلا عذر لكم إذا. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه تعذيبكم، إن لم تتبّعوه.

وقول المؤلف: (اليهود والنصارى): بيان للمراد ب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾. وقوله: (محمد): بيان للمراد بالرسول. وقوله: (تكتمون): تفسير ﴿مُخْفُونَ﴾، لأنّ بالكتمان يكون الإخفاء. وقوله: (التسوراة...) إلى آخره: بيان للمراد بالكتاب؛ فالتوراة لليهود، والإنجيل للنصارى.

وقوله: (من ذلك...) إلى آخره: يريد أن الرسول لا يبين كثيراً مما كانوا يكتُمونه إلا أن يكون في بيانه مصلحة؛ فإنه يترك بيانه؛ لأن في بيانه فضيحة له.
وقوله: (هو النبي) أي: النور، سمى الله رسوله نوراً؛ لأنه يهدي إلى الصراط المستقيم.

وقوله: (قرآن): بيان للمراد بالكتاب.

وقوله: (بين ظاهر): هذا أحد التفسيرين لـ ﴿مُبِينٌ﴾، وقيل معناه: مبين^(١).

وقوله: (أي: بالكتاب): بيان لمرجع الضمير المجرور بالباء.

وقوله: (بأن آمن): تفسير لمن اتبع رضوان الله؛ لأنه لا يتبع رضوان الله إلا من آمن.

وقوله: (طرق السلامة): تفسير لـ ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾؛ وهي الأعمال الصالحة.

وقوله: (الكفر): تفسير ﴿الظُّلْمَاتِ﴾؛ لأن الكفر كله ظلمات لا نور فيه بحال من الأحوال.

وقوله: (الإيمان): تفسير ﴿النُّورِ﴾، والإيمان نور في نفسه، وسببه نور العلم، وجزاؤه نور يسعى بين أيدي المؤمنين وأيمانهم.

وقوله: (بإرادته): تفسير الإذن، وهي إرادته الكونية والشرعية.

وقوله: (دين الإسلام): بيان للمراد بالصراط المستقيم، وهو المذكور في سورة الفاتحة^(٢).

(١) ينظر: تفسير الثعلبي (١١/٢٣٩).

(٢) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١/٢٧).

وقوله: (حيث جعلوه...) إلى آخره: بيان لسبب كفرهم، وخصّ بذلك اليعقوبية^(١) من النصارى، والظاهر أن الكفر والشرك يعمهم.
وقوله: (أن يدفع): بيان للمقصود من ذكر الملك، وهو دفع الإهلاك
عمن أراد الله به.

وقوله: (عذاب): يريد أن قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على تقدير مضاف محذوف؛
أي: من عذاب الله شيئاً^(٢).

وقوله: (أي: لا أحد...) إلى آخره: بيان لمعنى الاستفهام، وهو النفي^(٣)،
ويدخل في ذلك المسيح فإنه لا يقدر أن يدفع عن نفسه ولا عن أمه ولا غيرها
ما أراد الله به.

وقوله: (شاء): تقييد للقدرة بالمشيئة، ومفهومه أن ما لم يشأه لا يقدر
عليه، وهذا باطل؛ لأنه تعالى قدير على كل شيء شاءه أو لم يشأه^(٤).

وقوله: (كلّ منهم): يريد أن كل طائفة قالت ذلك مستقلة، ومعنى ذلك
أن اليهود قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾، والنصارى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ
وَأَحِبُّوهُ﴾^(٥).

(١) اليعقوبية: هم أصحاب يعقوب البرذعاني وكان راهباً بالقسطنطينية، وقالوا بالأقانيم الثلاثة،
إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودمًا؛ فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده، بل
هو هو! وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين،
وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين. ينظر: الفصل (٤٨/١)، والملل والنحل (٣٠/٢).

(٢) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ص ٣١٣)، وزاد المسير (١/٥٣٠).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٤/٢١٠).

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص ٦٣).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٣/١٣٤).

وقوله: (أي: كأبنائه...) إلى آخره: بيان للمراد بالبُنة المزعومة، وأنها بنوة منزلة لا بنوة ولادة^(١).

وقوله: (لهم يا مُحَمَّد): بيان للمخاطب بالأمر.
وقوله: (إن صدقتم...) إلى آخره: يبين أن ما أُجيبوا به مبني على تقدير صدقهم، ومعلوم أن الأب لا يعذب بنيه، والحيب لا يعذب حبيبه، وإذا ثبت أن الله عذبهم بطل قولهم، وظهر كذبهم.

وقوله: (جملة): يريد أن قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ باطل، فإنه لا فضل لهم على سائر البشر؛ فإنهم من جملة مَنْ خلق الله، وهم كسائر البشر.
وقوله: (من البشر...) إلى آخره: بيان لما في «مَنْ» من الإبهام، وبيان لحكمهم مع سائر البشر فيما يجب من الأعمال، ويستحق من الجزاء.
وقوله: (المغفرة له): بيان لمعمول المشيئة.

وقوله: (تعذيبه...) إلى آخره: بيان لمفعول ﴿يَشَاءُ﴾، ومعنى الكلام أن الله يفعل ما يشاء، ولا اعتراض عليه؛ لأنه حكيم في تدبيره لا يُسأل عما يفعل.
وقوله: (المَرَجع): تفسير ﴿الْمَصِيرُ﴾؛ لأن الناس يرجعون إلى الله يوم القيامة؛ فينبئهم بما عملوا ويجزئهم، وكل الأمور راجعة إليه سبحانه، فهو مبتدؤها، وإليه منتهاها؛ قال تعالى: ﴿وَالِىَ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿الْآ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

وقوله: (مُحَمَّد): بيان للمراد بالرسول.

وقوله: (شرائع الدين): بيان لمتعلق ما بيّنه الرسول.

وقوله: (انقطاع): بيان لمعنى الفترة.

(١) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٣١٥)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٣).

وقوله: (إذ لم يكن... إلى آخره: بيان لحقيقة الفترة، ومدتها؛ قال: (خمسمائة وتسع وستون سنة)، والمشهور أنها ست مئة وعشرون سنة^(١).
 وقوله: (لا): يبين أن المعنى يقتضي تقدير «لا» فإن المراد: لئلا تقولوا.
 وقوله: (إذا عُدّتم): بيان لوقت قولهم: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾.
 وقوله: (زائدة): يريد أنه ليس لها معنى إلا التأكيد^(٢).
 وقوله: (فلا عذر لكم إذا): بيان لمعنى الكلام ومقصوده، فإذا كان قد جاءهم بشير ونذير فلا حجة لهم.
 وقوله: (ومنه تعذبيكم... إلى آخره: يريد أن الآية فيها تهديد لمن لم يتبع الرسول.



(١) ولا منافاة بين ما ذكره شيخنا **حَفِظَهُ اللهُ** في التفسير أن المشهور هو ست مئة سنة. قال ابن كثير: «والمشهور هو الأول: وهو أنه ست مئة سنة. ومنهم من يقول: ست مئة وعشرون سنة. ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ست مئة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مئة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين» تفسير ابن كثير (٣/ ٧٠).
 (٢) ينظر: الدر المصون (٤/ ٢٣١)، وإعراب القرآن وبيانه (٢/ ٤٤٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ يَنْقُورُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكروا عَلَيْهِمُ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَنْدَخِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ أي: اذكروا حين قال موسى لقومه ﴿يَنْقُورُ أَذْكُرُوا﴾ أي: تذكروا نعمة الله عليكم؛ أي: نِعْمَةً^(١)، ومنها أن جعل فيكم أنبياء؛ أي: ورسلاً؛ كموسى وهارون ويوسف من قبل، وداود وسليمان. وقوله: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ أي: كالمملوك، بأن جعل لكل واحد مسكناً ومركوباً وخادماً^(٢). وقوله: ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ بأن فضلكم على العالمين؛ أي: عالمي زمانهم^(٣)، كما قال تعالى: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة]^(٤)، وهذا التذكير بنعم الله تمهيد لأمرهم بدخول القرية المقدسة، فإن النعم تستوجب الشكر، وأعظم الشكر الطاعة. وقوله تعالى عن موسى: ﴿يَنْقُورُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أي:

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٧٦/٨)، والمححر الوجيز (١٣٦/٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٧٦-٢٨١)، وزاد المسير (٥٣١/١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٨٣-٢٨٤)، وابن كثير (٧٤/٣).

(٤) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١١٧/١).

المطهرة^(١)، واختلف المفسرون في المراد بالأرض المقدسة؛ فقيل: الطور وما حوله، وقيل: أريحا، وقيل: بيت المقدس، وقيل: الشام كله^(٢)، وأقرب هذه الأقوال ما قاله ابن عباس ومجاهد أنه الطور وما حوله^(٣)، كما يشهد له قوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١٢]، واختار ابن جرير أن كل هذه الأقوال محتملة، فيشملها ما بين الفرات وعريش مصر؛ قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «والقول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرَك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك ... غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر لإجماع العلماء على ذلك» انتهى بتصرف^(٤).

وقوله: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: سبق في كتاب القدر الأول أنها تكون لكم^(٥)، وقوله: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوْا عَلَيَّ أَدْبَارِكُمْ﴾ أي: لا تجبنوا ولا تحجموا عن دخول القرية بقتال أهلها؛ فإنكم إن فعلتم ذلك انقلبتم أي: رجعتم بالخسران، وقوله: ﴿قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ أي: قال بنو إسرائيل لموسى معتذرين عن دخول الأرض المقدسة بأن فيها قوماً جبارين؛ أي: أقوياء ظالمين، لا طاقة لنا بهم، ويقال لأولئك القوم العمالقة، وكانوا طوال الأجسام، وذكر المفسرون هاهنا أخباراً إسرائيلية^(٦) عن أولئك القوم، منها ما لا يصح؛

-
- (١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٦٦٠)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ١٤٩).
 (٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٨٤)، وزاد المسير (١/ ٥٣٢).
 (٣) أخرجه الطبري في التفسير (٨/ ٢٨٤-٢٨٥).
 (٤) تفسير الطبري (٨/ ٢٨٦).
 (٥) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٨٦)، والمححر الوجيز (٣/ ١٣٨).
 (٦) ينظر على سبيل المثال: تفسير الطبري (٨/ ٢٨٩-٢٩٢)، وزاد المسير (١/ ٥٣٣)، والدر المثلث (٣/ ٨٤).

كما ذكروا من طول عُوج^(١) بن عُتْق^(٢)، وقولهم: ﴿وَأَنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا نَادِيهِمْ﴾ أدل دليل على جنهم وجهلهم. وقوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ ذكرت تسميتهما في بعض الإسرائيليات^(٣)؛ فقيل: إنهما يشوع بن نون، وكالف بن يافنا^(٤). وقوله: ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون الله^(٥)؛ لأن القراءة الصحيحة بفتح الياء^(٦)؛ قال ابن جرير: لا تحل القراءة بخلافها^(٧). وقوله: ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي: بالتوفيق لطاعته وطاعة نبيه ورسوله موسى، والصواب أنهما رجلان صالحان من بني إسرائيل ناصحا بني إسرائيل باقتحام باب القرية لقتال الجبارين، وأنهم إذا فعلوا ذلك غلبوا الجبارين بتأييد الله ونصره. وقوله: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي: اقتحموا باب القرية. وقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكروا عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا اقتحمتم باب القرية فسينهزمون أمامكم، ويشعرون بقوتكم. وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: اعتمدوا على الله في النصر على العدو لا على قوتكم فهذا ما يقتضيه الإيمان الصادق. وقوله: ﴿قَالُوا﴾

- (١) خبر عوج بن عتق ساقه بطوله الثعلبي في تفسيره (١١/ ٢٣٠) عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَعَّظْنَا مُنْهَمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]. وهو من وضع زنادقة أهل الكتاب، الذي قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسول وأتباعهم. ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٧٦)، والمنار المنيف (ص ٧٠-٧١)، والحاوي للفتاوي (٢/ ٤٠٩).
- (٢) وقيل اسمه: عُوج بن عُوق. ينظر: تاج العروس (٦/ ١٢٧)، (٢٦/ ٢٢٨).
- (٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٩٣)، والتفسير البسيط (٧/ ٣٢٦).
- (٤) وفي ضبط الاسمين اختلاف في بعض الحروف. ينظر: حاشية الطبري - تحقيق شاكر - (١٠/ ١١٣)، (١٠/ ١٧٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٦٦٤)، وسفر العدد الإصحاح (١٤).
- (٥) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٩٦-٢٩٧)، وابن كثير (٣/ ٧٦).
- (٦) والقراءة الشاذة: «يخافون»، ورؤى ذلك عن مجاهد وسعيد بن جبير، ونسبها ابن خالويه أيضًا لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ينظر: مختصر في شواذ القرآن (ص ٣٨)، والمحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات (١/ ٢٠٨).
- (٧) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٩٩).

يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿١٤﴾ وفي هذا من الدلالة على جنهم وعصيانهم واستخفافهم بنبيهم بل برب العالمين ما لا يخفى. وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ هذه شكوى من موسى إلى ربه عجزه وخذلان بني إسرائيل له، ويسأل ربه أن يحكم بينه وبين القوم الفاسقين، وهم العصاة من بني إسرائيل. وقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي قال الله لموسى: «إنها محرمة عليهم» أي: إن القرية محرمة عليهم أن يدخلوها تائهيين في الأرض أربعين سنة. وقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: لا تحزن على أولئك العصاة المتمردين.

﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي: منكم ﴿أَنْبِيَاءً، وَجَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا﴾ أصحاب خدَمٍ وَحَشَمٍ، ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك. ﴿يَا قَوْمِ، ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: المُطَهَّرَةَ، ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أمركم بدخولها -وهي الشام- ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾: تنهزوا خوف العدو، ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ في سعيكم. ﴿قَالُوا: يَا مُوسَىٰ، إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا عادٍ طَوَالًا ذَوِي قُوَّةٍ، ﴿وَأِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا. فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ لها. ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ، مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله -وهما يوشع وكالب، من النُّبِيَاءِ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ مُوسَىٰ فِي كَشْفِ أَحْوَالِ الْجَبَابِرَةِ- ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة، فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى، بخلاف بقية النُّبِيَاءِ فَأَفْشَوْهُ فَجَبَنُوا: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: باب القرية ولا تخشوهم، فإنهم أجساد بلا قلوب -﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾. قالوا ذلك تيقنًا بنصر الله وإنجاز وعده- ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا، إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا: يَا مُوسَى، إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا. فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ هم. ﴿إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال. ﴿قَالَ﴾ مُوسَى حِينَئِذٍ: ﴿رَبِّ، إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي﴾ و﴿إِلَّا أَخِي﴾، وَلَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا فَأَجْبِرْهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ. ﴿فَأَفْرُقْ﴾: فَافْصِلْ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُ: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أَي: الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أَنْ يَدْخُلُوهَا ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً، يَتِيهُونَ﴾: يَتَحَيَّرُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾. وَهِيَ تَسْعَةُ فَرَاسِخَ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ. ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: تَحْزَنُ ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. رُوي أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ اللَّيْلَ جَادِينَ، فَإِذَا أَصْبَحُوا إِذَا هُمْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ابْتَدَؤُوا مِنْهُ. وَيَسِيرُونَ النَّهَارَ كَذَلِكَ، حَتَّى انْقَرَضُوا كُلَّهُمْ إِلَّا مَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْعَشْرِينَ. قِيلَ: وَكَانُوا سِتِّمِائَةَ أَلْفٍ. وَمَاتَ هَارُونَ وَمُوسَى فِي التَّيِّهِ وَكَانَ رَحْمَةً لَّهُمَا وَعَذَابًا لِأَوْلِيائِهِمْ. وَسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحِجْرٍ، فَأَذْنَاهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ^(١). وَنَبِيُّ يُوشَعَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَأَمْرٌ بِقِتَالِ الْجَبَّارِينَ، فَسَارَ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ وَقَاتَلَهُمْ، وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَوَقَفَتْ لَهُ الشَّمْسُ سَاعَةً حَتَّى فَرَّغَ مِنْ قِتَالِهِمْ. وَرَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ حَدِيثًا «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ، إِلَّا لِيُوشَعَ لِيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

وقول المؤلف: (اذكُرْ): بيان للعامل في الظرف.

وقوله: (أَي: منكم): بيان لما يستلزمه معنى الجملة.

وقوله: (أَصْحَابَ خَدَمٍ وَحَشَمٍ): بيان لمن يستحق اسم الملك.

وقوله: (من المن...): إلى آخره: بيان للمراد بما أوتوا.

وقوله: (المُطَهَّرَةُ): بيان لمعنى مقدسة.

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: (أمركم بدخولها - وهي الشام-) : فسّر الكتابة بالأمر^(١)، وفي هذا التفسير نظر؛ فإنه لو كان كما قال لقال: «كتبها الله عليكم».

وقوله: (تنهزموا): بيان لمعنى الارتداد على الأدبار.

وقوله: (في سعيكم): بيان لمتعلّق الخسران.

وقوله: (من بقايا عاد...) إلى آخره: هذا من الإسرائيليات^(٢)، وهو مردود؛ لقوله تعالى في عاد: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة].

وقوله: (لها) أي: القرية.

وقوله: (لهم) أي: لبني إسرائيل.

وقوله: (مخالفة أمر الله...) إلى آخره: بيان للمخوف، ومخالفة أمر الله مما يخاف لأنه معصية، والمعصية سبب العذاب.

وقوله: (يوشع وكالب) اسما الرجلين، وتسميتهما وعدّهما من النقباء الذين بعثهم موسى؛ لكشف حال الجبارين من الإسرائيليات.

وقوله: (بالعصمة...) إلى آخره: وهذا كالذي قبله من الإسرائيليات^(٣) التي لا تُصدّق ولا تُكذّب.

وقوله: (باب القرية...) إلى آخره: بيان للمراد بالباب، وتحقير للجبارين، وفي هذا تشجيع لبني إسرائيل.

وقوله: (قالا ذلك...) إلى آخره: بيان لسبب جزم الرجلين بالغلبة لبني إسرائيل.

وقوله: (هم): بيان للمقاتلين، وهم الجبارون.

(١) وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - في رواية - والسدي وقتادة. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٨٧)،

والتفسير البسيط (٧/ ٣٢٣)، وزاد المسير (١/ ٥٣٢).

(٢) ينظر: الوجيز (ص ٣١٥)، وتفسير القرطبي (٦/ ١٢٦).

(٣) ينظر: تفسير الثعلبي (١١/ ٢٥٦).

وقوله: (عن القتال): تفسير للقعود بالتخلف عن الجهاد.

وقوله: (مُوسَى حِينْتُدْ): بيان لفاعل ﴿قَالَ رَبِّ﴾، وهو موسى.

وقوله: (إِلَّا): يبين أن المعطوف مستثنى.

وقوله: (وَلَا أَمْلِكُ...): إلى آخره: يريد أنه لا يملك من أمر بني إسرائيل شيئاً لذا لا يستطيع إجبارهم على قتال الجبارين.

وقوله: (فَافْصِلْ): تفسير ﴿فَأَفْرُقْ﴾ يريد موسى أن يفصل الله بينه وبين أولئك العصاة، إما بإهلاكهم، وإما بالنصر عليهم.

وقوله: (لَهُ): بيان للمخاطب في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾.

وقوله: (الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ): لأنها الأرض التي أمروا بدخولها.

وقوله: (أَنْ يَدْخُلُوهَا): بيان للمحرّم عليهم، وهو دخول القرية.

وقوله: (يَتَحَيَّرُونَ): تفسير لـ ﴿يَتِيهُونَ﴾ فلا يهتدون إلى القرية^(١).

وقوله: (وَهِيَ تِسْعَةُ فَرَاسِخَ): بيان لمساحتها عرضاً، وقيل: إن طولها ثلاثون فرسخاً^(٢)، وينتج من ضرب تسعة في ثلاثين: مئتان وسبعون فرسخاً، والفرسخ ثلاثة أميال^(٣) - فتُضرب في مئتين وسبعين فينتج ثمان مئة وعشرة ميلاً، والمعروف أن الفرسخ خمسة «كيلو»^(٤) فتُضرب في مئتين وسبعين فينتج ألف وثلاث مئة وخمسين «كيلو» هذه مساحة أرض التِّيّه، وهي فيما يقال صحراء سيناء^(٥).

وقوله: (تَحْزَنُ): يبيّن أن معنى الأسى الحزن.

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٥٠٦)، والمفردات في غريب القرآن (ص ١٦٩).

(٢) ينظر: زاد المسير (١/ ٥٣٥).

(٣) ينظر: لسان العرب (٣/ ٤٤).

(٤) ينظر: المقادير الشرعية والأحكام الفقهية المتعلقة بها (ص ٢٦٢).

(٥) ينظر: التفسير الحديث لدروزة محمد عزت (٩/ ٩٠).

وقوله: (رُوي...) إلى آخره: هذا الكلام أنواع، منه ما هو مشهور، وهو موت موسى وهارون في التيه^(١)، ومنه ما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة؛ كقصة يوشع بن نون في حبس الشمس له حتى فُتح له، ودخل القرية كما ذكر المؤلف^(٢)، ومنها ما هو من الإسرائيليات؛ كصفة تنقلهم في أرض التيه^(٣).



(١) ينظر: تفسير الثعلبي (١١/٢٦٠) وما بعدها، والرازي (١١/٣٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (٨٣١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٢٣٦): «انفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط البخاري». وينظر: الصحيحة (٢٠٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/٣٠٩-٣١٠)، والثعلبي (١١/٢٥٨).

وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيَّتَنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ [المائدة].

يأمر الله نبيه أن يقرأ على الناس قصة ابني آدم اللذين حسدا أحدهما الآخر فقتله، وذلك أن كلا منهما قرب قرباناً يتقرب به إلى الله، فتقبل الله من أحدهما ولم يتقبل من الآخر؛ فحسده من أجل ذلك، وقال: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ فرد عليه المحسود؛ قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وهم كل من اتقى الله في عمله فأخلص فيه لله، واتبع فيه أمر الله^(١)، وقال أيضاً للذي هدده بالقتل: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ أي: ترجع بإثم قتلي، وإثم ذنوبك

(١) قال شيخنا حَفِظَهُ اللَّهُ: «ومن الخطأ في فهم الآية: ظن بعض الناس أن المراد أن الله لا يتقبل إلا من تقى فاعل للمأمورات، تارك للمعاصي؛ وهذا يؤول إلى قول المعتزلة. والصواب في الآية: أن الله لا يتقبل إلا ممن اتقى الله في عمله ذلك؛ بأن أتى به على الوجه المشروع؛ خالصاً صواباً، ولم يأت بما يبطله، والله أعلم» التعليقات على المسائل العقديّة في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ص ١١٢)، وينظر: منهاج السنة (٦/٢١٦-٢١٧)، والإيمان الأوسط (ص ٣٤٦-٣٤٩)، ومجموع الفتاوى (١٠/٣٢٢).

من قبل، وهذا قول أكثر المفسرين، واختاره ابن جرير^(١). وقوله: ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ هذا تخويف من هاييل لأخيه لعله يكف عن قتله؛ فإن القتل بغير حق ظلم، وسبب لدخول النار فإنها جزاء الظالمين. ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ أي: سوّلت له نفسه، وزيّنت قتله فقتله^(٢)؛ أي: قتل قابيل هاييل^(٣) فحقّق ما توعدّ به أخاه في قوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾. وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: صار من الخاسرين باستحقاق العذاب. وقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ أي: أرسل الله غرابًا ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يحفر في الأرض ليدفن غرابًا آخر^(٤)، وذلك لإرشاد قابيل إلى ما يفعل بأخيه، فإنه لما قتله تحيّر فيما يفعل بأخيه، فدله الله بما فعل الغراب فانتبه، ولذا قال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ فأفعل بأخي كما فعل الغراب بأن أحفر له وأدفنه ﴿فَأَوْرِي سَوْءَةَ أَخِي﴾ أي: أستر بدنه الميت^(٥). وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ التَّاسِئِينَ﴾ أي: ندم على قتل أخيه^(٦)، وعلى

(١) وهو قول ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٣٠)، (٨/ ٣٣٢)، وزاد المسير (١/ ٥٣٧).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٥٣١)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص ٢١٠).

(٣) سيأتي قريباً أن اسمي ابني آدم، عُلم من بعض أخبار بني إسرائيل.

(٤) تفسير البحث بالحفر هو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد، واختاره الطبري؛ قال مجاهد: «بعث الله غراباً حتى حفر لآخر إلى جنبه ميت، وابن آدم القاتل ينظر إليه، ثم بحث عليه حتى غيبه»، وأصل كلمة: «بحث» يدل على إثارة الشيء. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٤١-٣٤٢)، (٨/ ٣٤٥)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٠٤).

(٥) وهو قول الطبري والثعلبي وابن عاشور. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٤٥)، والثعلبي (١١/ ٢٧٨)، والتحرير والتنوير (٦/ ١٧٣).

(٦) وهو قول الطبري وابن عاشور، واستظهره أبو حيان. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٤٦)، والبحر المحيط (٤/ ٢٣٦)، والتحرير والتنوير (٦/ ١٧٤).

أنه لم يواره من أول الأمر^(١).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلْ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: بسبب قتل ابن آدم أخاه ظلماً، فاسم الإشارة راجع إلى ما تضمنه نبأ ابني آدم من قتل أحدهما للآخر، وهو أول من سنَّ القتل، وهو عظيم عند الله؛ من أجل ذلك كُتِبَ على بني إسرائيل تحريم القتل ظلماً، وهو ما كان بغير سبب يبيحه، وذكر من ذلك سببين: قتل نفسٍ بغير حقٍّ، والفساد في الأرض، وعظّم ذلك فشبهه قتل نفسٍ واحدة بقتل الناس جميعاً؛ تقييحاً للقتل ظلماً، وتنفيراً عنه؛ كما يدل على عِظَمِ إثم القاتل ظلماً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فيه ترغيب عظيم في الكف عن القتل، وإنقاذ من تعرّض لسبب من أسباب الهلاك؛ كغرق وحرق، ولا يلزم من هذا التشبيه ترهيباً وترغيباً أن يكون حكم المشبه حكم المشبه به من كل وجه^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: قد أرسلنا لبني إسرائيل رسلاً، ومعهم البيّنات فلم يؤمنوا بهم بل كذبوا فريقاً منهم، وقتلوا فريقاً، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة]، وهذا هو إسرافهم المذكور في هذه الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.

﴿واتل﴾ - يا مُحَمَّد - ﴿عليهم﴾: على قومك ﴿نبأ﴾: خبر ﴿ابني آدم﴾ هايبِل وقابيل، ﴿بالحق﴾: مُتعلّق بـ«اتل»، ﴿إذ قرّبا قرباناً﴾ إلى الله

(١) وذكر هذا ابن الجوزي، وهو لازم قول من قال: «على حملة والتطواف به»، وهو قول الكثير من المفسرين. ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٣٤٥)، وزاد المسير (١/ ٥٣٩).

(٢) ينظر: الجواب الكافي (ص ٣٣٧).

- وهو كبش لهاييل وزرع لقابيل - ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هاييل، بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه، ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخِرِ﴾ وهو قابيل. فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم. ﴿قَالَ لَهُ: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾. قال: لم؟ قال: لتقبَّلُ قربانك دُونِي. ﴿قَالَ: إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ: ﴿لَأَمْ قَسَمَ﴾ بَسَطَ: ﴿مَدَدَتْ﴾ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي، مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فِي قَتْلِكَ. ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾: تَرْجِعَ ﴿بِإِثْمِي﴾: بِإِثْمِ قَتْلِي، ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الَّذِي ارْتَكَبْتَهُ مِنْ قَبْلُ، ﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَبُوءَ بِإِثْمِكَ إِذَا قَتَلْتِكَ، فَأَكُونَ مِنْهُمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لَهُ نَفْسَهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ﴾ فَصَارَ ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بِقَتْلِهِ - وَلَمْ يَدْرِ مَا يَصْنَعُ بِهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلَ مَيِّتٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ - ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾: يَنْبِشُ التَّرَابَ بِمَنْقَارِهِ وَبِرِجْلَيْهِ، وَيُثِيرُهُ عَلَى غُرَابٍ مَيِّتٍ مَعَهُ حَتَّى وَارَاهُ، ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي﴾ يَسْتُرُ ﴿سَوْءَةَ﴾: جِيْفَةَ ﴿أَخِيهِ؟ قَالَ: يَا وَيَلَتَا، أَعَجَزْتُ﴾ عَنِ ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ، فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي؟ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ عَلَى حَمَلِهِ، وَحَفَرَ لَهُ وَوَارَاهُ. ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الَّذِي فَعَلَهُ قَابِيلُ، ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾ أَي: الشَّانَ ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: قَتَلَهَا، ﴿أَوْ﴾ بِغَيْرِ ﴿فَسَادٍ﴾ أَتَاهُ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ كُفْرٍ أَوْ زِنَى أَوْ قَطَعَ طَرِيقَ وَنَحْوِهِ، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، بِأَنْ امْتَنَعَ مِنْ قَتْلِهَا، ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ حَيْثُ انْتَهَاكَ حُرْمَتِهَا وَصَوْنُهَا. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أَي: بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿رُسُلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الْمُعْجِزَاتِ، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: مَجَاوِزُونَ الْحَدَّ بِالْكَفْرِ وَالْقَتْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وقول المؤلف: (يا مُحَمَّد): بيان للمخاطَب.
 وقوله: (على قومك): بيان للمراد بالضمير المجرور.
 وقوله: (خبر): تفسير نبأ، ولكن النبأ أخص من الخبر، فإنه الخبر الذي له شأن^(١).

وقوله: (هابيل وقايل): بيان لاسمَي ابني آدم، وهو مما عَلِم من بعض أخبار بني إسرائيل^(٢)، فلم يسمَيَا في القرآن ولا في السنّة.
 وقوله: (متعلّق ب«اتل»): الباء للملابسة؛ المعنى: اتل على قومك تلاوة مشتملة على الحق؛ أي: الصدق^(٣).

وقوله: (إلى الله...) إلى آخره: أي تقرب كل من ابني آدم إلى الله بشيء مما يُتقرب به من نُسك أو صدقة، وتعيين ما تقربا به - كما ذكر المؤلف - هو من الإسرائيليات^(٤).

وقوله: (وهو هابيل...)، (وهو قاييل...) إلى آخره: تعيين من تُقبّل منه، ومن لم يُتقبّل، وما ذُكر بعده هو من الإسرائيليات كذلك^(٥).

وقوله: (له): بيان للمهدّد بالقتل؛ وهو هابيل.
 وقوله: (قال: لِمَ؟...) إلى آخره: هو من الإسرائيليات^(٦).
 وقوله: (لام قسم): يريد اللام في قوله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ﴾.

-
- (١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٧٨٨)، والفروق اللغوية (ص ٤١).
 (٢) ينظر: تفسير الطبري (٣١٧/٨) وما بعدها، والثعلبي (٢٧٠/١١).
 (٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤٢٩/٢)، والكشاف (٢٢٤/٢).
 (٤) ينظر: تفسير الطبري (٣١٧/٨)، والثعلبي (٢٧٤/١١).
 (٥) ينظر: تفسير الطبري (٣٢٤-٣٢٠/٨)، والثعلبي (٢٧٥-٢٧٤/١١).
 (٦) ينظر: تفسير ابن أبي زَمِين (٢٢/٢)، والتلخيص في تفسير القرآن العزيز للكواشي (٣٠/٢).

وقوله: (مددت): تفسير ﴿بَسَطَتْ﴾، وبَسَطُ اليد يُطَلَقُ على بَسَطِ الكف، ومدُّ اليد، والمراد هنا: مدُّ اليد للقتل.

وقوله: (في قتلك) أي: في شأن قتلك، فإن ذلك يمنعني أن أبسط يدي إليك لقتلك.

وقوله: (ترجع): تفسير ﴿تَبَوَّأَ﴾، و«باء» كـ «آب»^(١)، والرجوع بالإثم سبب الخيبة والخسران.

وقوله: (بإثم قتلي): فإن قَتَلَ المعصوم بغير حق من أعظم الآثام المستوجبة لعقاب الله؛ كما يدل له قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا...﴾ [النساء: ٩٣] الآية.

وقوله: (الذي ارتكبته من قبل): يريد أن القاتل يبوء بإثم ذنوبه التي ارتكبها قبل قتل أخيه، فيجمع على نفسه إثم القتل وإثم ذنوبه قبل ذلك. وقوله: (ولا أريد...) إلى آخره: بيان لمراد المقتول في كفه عن قتل أخيه الذي هدده بالقتل.

وقوله: (قال تعالى): يريد أن يبين أن قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ كلام مستأنف من كلام الله، ليس من تنمة كلام ابن آدم الذي قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبَوَّأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ...﴾ إلى آخره: بل ينتهي عند قوله: ﴿فَتَكُونَنَّ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾^(٢).

وقوله: (زينت): تفسير لَطَوَّعَتْ؛ فالمعنى: زينت له نفسه.

وقوله: (فصار): تفسير ﴿فَأَصْبَحَ﴾.

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٤٢)، ومقاييس اللغة (١/١٥٢)، (١/٣١٢).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/١٦٨٣)، والمحرر الوجيز (٣/١٤٧).

وقوله: (بقتله...) إلى آخره: بيان لسبب الخسران، وبيان لحال القاتل بعد قتل أخيه، وبعضه مفهوم من القرآن، وبعضه من الإسرائيليات؛ كقوله: (فحملة على ظهره)^(١).

وقوله: (يَبُشُّ التُّرَابَ...) إلى آخره: بيان لمعنى بحث الغراب في الأرض، والغرض من ذلك، وفي بعض الكلام ما هو من الإسرائيليات؛ كقوله: (ويُثِيرُهُ عَلَى غُرَابٍ مَيِّتٍ مَعَهُ حَتَّى وَاوَاهُ)^(٢).

وقوله: (يَسْتُرُ): تفسير ﴿يُورِي﴾.

وقوله: (جِيْفَةً): تفسير ﴿سَوْءَةً﴾، والجيفة هي الجسم الميت، وسماه سوءة لأن جسم الميت مما يشتمز الإنسان من النظر إليه، ولا سيما مع التغير. وقوله: (عن): بيان لحرف التعديّة الداخل على المصدر المؤول.

وقوله: (على حملة...) إلى آخره: أي على حمل أخيه الميت قبل أن يعرف ما يفعل به، ولا بد أنه فعل به ما فعل الغراب فعلم أنه حفر له فدفنه. وقوله: (الذي فعله قابيل): وهو قتل أخيه ظلمًا، وهذا بيان لمرجع الإشارة في قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾.

وقوله: (أي: الشأن): يبين أن الضمير بعد «أن» ضمير الشأن.

وقوله: (قتلها) أي: لا قصاصًا بنفس قتلها الجاني.

وقوله: (بغير): تقديره ﴿ذَلِكَ﴾ مراعاة للمعطوف عليه ﴿بِعَيْرِ نَفْسٍ﴾ أو بغير فساد.

وقوله: (أتاه) أي: فعله، ومن الفساد ما يبيح دم فاعله.

وقوله: (من كُفِّر...) إلى آخره: أمثلة للفساد الذي يبيح قتل فاعله.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٤٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٤١-٣٤٢)، والدر المثور (٣/ ٦٢).

وقوله: (بأن امتنع من قتلها) أي: مَنْ كَفَّ عن قتل أحد فقد سلِّمَت حياته فكأنه أحياه.

وقوله: (قال ابن عباس...) إلى آخره: في قول ابن عباس بيان لوجه الشبه بين مَنْ قتل نفسًا، ومَنْ قتل الناس جميعًا، ومَنْ أحيَا نفسًا فكأنما أحيَا الناس جميعًا، فوجه الشبه في القتل التحريم، ووجه الشبه في الإحياء هو صون النفس عن القتل بالكف عنه، فهذا معنى قول ابن عباس: (من حيثُ انتهاكُ حُرْمَتِهَا وصونُهَا)^(١).

وقوله: (بني إسرائيل): بيان لمرجع الضمير.

وقوله: (المُعْجِزَات): تفسير «البيئات»^(٢).

وقوله: (مجاوزون...) إلى آخره: بيان لمعنى الإسراف أنه مجاوزة الحد بالكفر والقتل، وغير ذلك.



(١) ينظر: المحرر الوجيز (٣/١٥٢)، وتفسير ابن كثير (٣/٩٢).

(٢) اللفظ الشرعي هو البراهين والآيات والبيئات. ينظر: النبوات (١/٢١٥)، (٢/٨٢٨)، والجواب الصحيح (٥/٤١٢-٤١٩)، والتعليق والبيان على الدين الحق للشيخ عبد الرحمن بن حماد العمر رَحِمَهُ اللهُ لشيخنا (ص٦٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة].

يخبر تعالى أن جزاء المحاربين لله ورسوله الساعين في الأرض بالفساد أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو يُنْفَوْا من الأرض، ومع ذلك لهم خزي في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار، و«أو» في الآية؛ قيل: لتخيير الإمام، فيفعل بهم الإمام ما يرى فيه المصلحة، وقيل: للتنويع فإن قُتِلُوا قُتِلُوا، وإن أخذوا المال صُلبوا وقُطِّعت أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ من خلاف، وإن أخافوا السبيل ولم يُقَتَّلُوا ولم يأخذوا المال؛ شُرِّدُوا، فلا يُتركون يستقرون في مكان^(١)، وتسمى هذه العقوبة عند الفقهاء حدَّ الحِرَابَةِ^(٢)، ويختلفون فيما يَصْدُقُ عليه هذا الاسم «الحِرَابَةُ» الموجب لهذا الحد^(٣). وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهِمْ﴾ هذا استثناء ممن تقدَّم ذكر جزائهم، وهم المحاربون المفسدون في الأرض، فمن تاب منهم قبل القدرة عليه؛ أي: قبل القبض عليه؛ فإن العقوبة تسقط عنه، لكن يُعاقب كما يعاقب غيره بحسب جنائته، فلا يتحتم قتله إن قتل، ولا يُصَلَّب، ولا تُقَطَّع أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ من خلاف، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقد ثبت في الروايات الصحيحة أنها نزلت في العُرَيْنِينَ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ فَمَرَّضُوا فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٧٣-٣٨٣)، والقرطبي (٦/ ١٥١).

(٢) ينظر على سبيل المثال: الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٢/ ٨٥٠)، والتبصرة للحمي (١٣/ ٦١٣٥).

(٣) ينظر: المغني (١٢/ ٤٧٤)، والحاوي الكبير (١٣/ ٣٦٠).

ﷺ أن يخرجوا إلى إبل الصدقة، ويشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا، وسوّ لهم الشيطان فقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في طلبهم، فجيء بهم، وقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسُمِلت أعينهم، وتُرِكوا في الحرّة يستغيثون فلا يُسَقون حتى ماتوا^(١)، فأخذ من هذا حد الحرابة، ويُعرفون عند الفقهاء بقطع الطريق^(٢)، وهذه أشد عقوبة عُوقب بها مجرم في عهد النبي ﷺ، جزاء وفاقاً، فأنزل الله هذه الآيات في شأنهم.

ونزل في العرنيين، لما قدموا المدينة وهم مرضى، فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِمُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق، ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى، ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾. أو: لترتيب الأحوال. فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط. قاله ابن عباس، وعليه الشافعي. وأصح قوله أن الصلب ثلاثاً بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويُلحَق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره. ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾: ذل ﴿في الدنيا، ولَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، هو عذاب النار، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والقطاع، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. عبّر بذلك دون «فلا تحذوهم» ليُفيد

(١) أخرجه البخاري (١٥٠١)، (٦٨٠٤)، ومسلم (١٦٧١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقيل في سبب نزولها غير ذلك. ينظر: أسباب النزول (ص ١٦٤).

(٢) ينظر: المغني (٤٧٣/١٢)، والحاوي الكبير (٣٥٢/١٣).

أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدودُ الله - تعالى - دُونَ حُقُوقِ الْأَدَمِيِّينَ. كذا
 ظهرَ لي، ولم أرَ مَنْ تَعَرَّضَ له. والله أعلم. فإذا قَتَلَ وأخَذَ المَالَ يُقْتَلُ ويُقَطَعُ
 ولا يُصَلَبُ - وهو أصحُّ قولِي الشافعيّ - ولا تُفِيدُ توبته بعد القُدرة عليه
 شيئاً. وهو أصحُّ قوليه أيضاً.

وقول المؤلف: (بمُحاربة المُسلمين): تفسير لمحاربة الله ورسوله؛ لأن
 مَنْ حارب المُسلمين فقد حارب الله ورسوله؛ لأن الله ورسوله ولي المؤمنين،
 ومَنْ حارب أولياء الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله.

وقوله: (بقطع الطريق): تفسير للفساد في الأرض، وقَطَعَ الطريق
 بالتعرض للمارة بقتلهم لأخذ أموالهم، فيؤدي ذلك إلى قطع الطريق، فلا يمر
 به أحد خوفاً من أولئك المجرمين.

وقوله: (أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى): بيان لمعنى ﴿مَنْ

خِلَافٍ﴾^(١).

وقوله: (أو: لترتيب الأحوال...) إلى آخره: قيل في معنى ترتيب الأحوال
 تقسيم أنواع العقوبة على أنواع الجرائم، فقوله: ﴿أَنْ يَقْتُلُوا﴾ لِمَنْ قَتَلَ ﴿أَوْ
 يُصَلِّبُوا﴾ لِمَنْ قَتَلَ وأخَذَ المَالَ ﴿أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ لِمَنْ
 أخذ المال؛ فَمَنْ قَتَلَ قَتِلَ، وَمَنْ قَتَلَ وأخَذَ المَالَ قُتِلَ وَصُلِبَ، وَمَنْ أخذ المَالَ
 قُطِعَت أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَمَنْ أخاف السبيل نُفِيَ مِنَ الأَرْضِ فلا
 يأوي إلى مكان يأمنُ فيه، وفي معنى النفي الحبس^(٢).

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٢١٤)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٩٥).

(٢) ينظر: الحاوي الكبير (١٣/ ٣٥٥)، والمغني (١٢/ ٤٨٢).

وقوله: (الجزاء المذكور): بيان لمرجع الإشارة، وهو الجزء المفصل في الآية السابقة.

وقوله: (ذُلٌّ): تفسير الخزي، ولو قال: فضيحة؛ كان أولى^(١).

وقوله: (هو عذاب النار): تفسير العذاب العظيم.

وقوله: (من المحاربين والقطّاع): يريد قطّاع الطريق، وقطاع الطريق هم المحاربون، فعطفهم على المحاربين من عطف الشيء على نوعه.

وقوله: (لهم ما أتوه): بيان لمتعلق المغفرة.

وقوله: (بهم): بيان لمتعلق الرحمة.

وقوله: (عَبَّرَ بذلك...) إلى آخره: يريد بيان الحكمة من ذكر المغفرة والرحمة دون التصريح بإسقاط هذه العقوبات، وذلك للدلالة على أنه لا يسقط عن التائب قبل القدرة عليه إلا ما كان لله فلا تسقط حقوق العباد، فيُعاقب بحسب جانيته كغيره؛ فَمَنْ قَتَلَ لا يتحتم قتله بل أمره إلى أولياء المقتول، ومن قتل وأخذ المال لم يصلب، وإن أخذوا المال لم تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف لكن يؤخذ منهم ما أخذوا من المال، وكل هذه الأحكام هي مقتضى الاسمين الكريمين الغفور الرحيم.

وقوله: (فإذا قتل...) إلى آخره: بيان لصفة العمل بهذه الأحكام، ومنها

الصلب، وذكر أن اختيار الشافعي عدم الصلب بعد التوبة قبل القدرة عليه^(٢).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٧٠)، والتفسير البسيط (٧/٣٥٩).

(٢) قال الصاوي: «والحاصل عند الشافعي: أنه إذا قتل وتاب، فإن عفا الولي سقط القتل وإلا فيقتل فقط، وأما إن كان أخذ المال وتاب، فإنه يؤخذ منه المال ولا يُقطع، خلافاً لما ذكره المفسر من أنه إذا قتل وأخذ المال ثم تاب فإنه يُجمع له بين القتل والقطع، وإنما المنفي عنه الصلب، وما ذكرناه من المعتمد عند الشافعي يوافق مالك». حاشية الصاوي (١/٢٦٥).



وقوله: (ويُقطع): خطأ، فإنه إذا قُتل لم يكن محللاً للقطع^(١)، وذكر أن التوبة بعد القدرة لا تفيده شيئاً، قال: وهو اختيار الشافعي^(٢).



(١) قال الصاوي في حاشيته (١/٢٦٥): «هذا سبق قلم والمناسب حذف قوله: (ويقطع)».

(٢) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (١٢/٥٠٩).

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة].

يأمر الله عباده المؤمنين أن يتقوه، ويطلبوا الوسيلة إليه؛ وهي العمل الصالح^(١)، وأن يجاهدوا في سبيل الله، وأن ذلك سبب الفلاح. ثم هدد تعالى الكافرين بأنه لو كان لأحدهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل الله منه وله عذابٌ أليم. ثم أخبر عن أهل النار أنهم يريدون الخروج منها، وما هم بخارجين ولهم عذابٌ مقيم، نعوذ بالله من عذابه، ونسأله رحمته التي كتبها للمتقين. ثم ذكر تعالى حدَّ السارقِ والسارقة؛ وهو قطع أيديهما من مفصل الكف من اليد اليمنى^(٢)، وهو جزاؤهما بما كسبا، وعقوبة من الله لهما على معصيتهما، والسرقة: أخذ المال من حرزه على وجه الخفية^(٣).
وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تنبيهٌ على أن ما شرعه من حد السرقة هو مقتضى عزته وحكمته، ثم أخبر تعالى أنه يتوب على من تاب من ظلمه نفسه

(١) ينظر: تفسير الطبري (٤٠٣/٨)، وابن كثير (١٠٣/٣).

(٢) نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، منهم الجصاص وابن هبيرة وابن القطن.
ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٧٠/٤)، واختلاف الأئمة العلماء (٢٨٣/٢)، والإقناع في مسائل الإجماع (٢٦٢/٢).

(٣) ينظر: لسان العرب (١٥٦/١٠).

بالسرقة أو غيرها. وقوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أي: استقام على توبته، ومن ذلك ردُّ ما أخذ من أموال الناس إليهم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: كثير المغفرة واسع الرحمة، ومن ذلك أنه يتوب على من تاب، ثم ذكَّر تعالى بعلم نبيِّه، وكل مؤمن بعموم ملكه تعالى، وتصرفه في ملكه بما يشاء مع كمال القدرة، ومن ذلك أنه يعذب مَنْ يشاء، ويغفر لمن يشاء، والله على كل شيء قدير.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللَّهَ﴾: خافوا عقابه بأن تُطيعوه، ﴿وَابْتَغُوا﴾: اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: ما يُقربكم إليه من طاعته، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإِعلاء دينه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾: تفوزون. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثَبَتَ ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، يُرِيدُونَ﴾: يتمنوه ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ، وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم. ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ «أُل» فيهما موصولة مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو ﴿فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يمين كل منهما من الكوع -وبَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّ الَّذِي يُقْطَعُ فِيهِ رُبْعُ دِينَارٍ فَصَاعِدًا، وَأَنَّهُ إِنْ عَادَ قُطِعَتْ رِجْلُهُ الْيُسْرَى مِنْ مَفْصِلِ الْقَدَمِ، ثُمَّ الْيَدُ الْيُسْرَى ثُمَّ الرَّجْلُ الْيُمْنَى، وَبَعْدَ ذَلِكَ يُعَزَّرُ- ﴿جَزَاءً﴾: نصبٌ على المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا، نَكَالًا﴾: عُقُوبَةٌ لَهُمَا ﴿مِنَ اللَّهِ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره، ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه. ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾: رَجَعَ عن السرقة، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. في التعبير بهذا ما تقدّم، فلا يَسْقُطُ بتوبته حقُّ الآدميِّ من القطع، وردَّ المال. نَعَمْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّهُ إِنْ عَفَا عَنْهُ، قَبْلَ الرَّفْعِ إِلَى الْإِمَامِ، سَقَطَ الْقَطْعُ. وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ -الاستفهام فيه للتقرير- ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ

مُلْكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ تَعَذِّبُهُ، ﴿٢﴾ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٣﴾
المَغْفِرَةَ لَهُ، ﴿٤﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾، ومنه التعذيب والمغفرة؟

وقول المؤلف: (خافوا): بيان لمعنى التقوى؛ فتقوى الله: خوف الله، ولزوم طاعته فعلاً للمأمور، وتركاً للمحذور.

وقوله: (اطلبوا): تفسير «ابتغوا»، فابتغاء الشيء طلبه^(١).

وقوله: (ما يُقَرِّبُكُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ): تفسير ﴿الْوَسِيلَةَ﴾؛ وهي الأعمال الصالحة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

وقوله: (لإِعْلَاءِ دِينِهِ): بيان للسبب الذي يكون به الجهاد في سبيل الله، كما قال ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

وقوله: (تفوزون): تفسير الفلاح، فإن الفلاح هو الظفر بالمطلوب، والنجاة من المرهوب^(٣)، وهذا هو الفوز حقاً، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أي: الفوز العظيم.

وقوله: (تَبَّتْ) أي: تحقق لكافر مُلْكُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، ومثله معه. وقوله: (يَتَمَنَّونَ): تفسير ﴿يُرِيدُونَ﴾، فسّر الإرادة بالتمني؛ لأنَّ خروجهم مستحيل.

وقوله: (دائم): يعني عذابهم لا يفنى ولا يخفف، ولا يموتون، ولا يخرجون من النار، فصار العذاب دائماً مقيماً لا يتحول.

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٦٤٤).

وقوله: («أل»...) إلى آخره: يريد «أل» الداخلة على السارق والساارقة اسم موصول متضمن لمعنى الشرط؛ فلذا اقترن الجواب بالفاء، وهذا يرجع إلى قاعدة عند النحويين؛ وهي أن «أل» الداخلة على الوصل اسم موصول؛ كالذي والتي^(١)، ومعنى الآية: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا^(٢).

وقوله: (يمين... إلى آخره: بيان لما يُقَطع من اليدين؛ وهي الأيمان^(٣)، من مفصل الكف، وبيان لنصاب السرقة؛ وهو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ربع دينار من الذهب^(٤)، والأصل في ذلك ما جاءت به السنة، وهو قول الرسول ﷺ: «لا قطع إلا في ربع دينار»^(٥).

وقوله: (نصب على المصدر): بيان لإعراب جزاء، وأنه مصدر مؤكّد لمضمون الجملة السابقة.

وقوله: (عقوبة لهما): بيان لحكمة القطع؛ وهي العقوبة على الذنب. وقوله: (غالب على أمره): تفسير ﴿عَزِيزٌ﴾ بما أراد فعله، ولا غالب له. وقوله: (في خلقه) أي: ذو حكمة في خلقه فيما يقضي به عليهم قدرًا وشرعًا.

وقوله: (رجع عن السرقة): هو معنى ﴿تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ والمراد: أنه رجع نادمًا عازمًا على ألا يعود رادًّا لما سرق إلى صاحبه.

(١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (١/٢٠٠).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٣٥)، والدر المصون (٤/٢٥٨).

(٣) نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، منهم الجصاص وابن حزم وابن القطان. ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/٦٢)، ومراتب الإجماع (ص ٢٢١)، والإقناع في مسائل الإجماع (٢/٢٦٢١).

(٤) ينظر: الحاوي الكبير (١٣/٢٦٦)، والمغني (١٢/٤١٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦٧٨٩)، ومسلم (١٦٨٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنحوه، وهذا لفظ ابن حبان (٤٤٦٥).

وقوله: (عمله): بيان لمفعول «أصلح»، والمراد: استقام بلزوم الطاعة.
 وقوله: (في التعبير بهذا...) إلى آخره: يريد ذكر الغفور الرحيم يدل على
 أن ما يسقط بالتوبة هو حق الله، وأما حقوق العباد فلا تسقط بالتوبة، فلا بد من
 ردّ المال، وإذا عفا المسروق منه عن السارق قبل الرفع سقط القطع؛ قال
 المؤلف: (وهو مذهب الشافعي)^(١).

وقوله: (الاستفهام فيه للتقرير) أي: قد علمت.

وقوله: (تعذيبه): بيان مفعول يشاء.

وقوله: (المغفرة له): بيان لمفعول يشاء.

وقوله: (ومنه التعذيب والمغفرة؟): بيان لتعلُّق القدرة بالتعذيب والمغفرة،
 وبهذا تظهر مناسبة تذييل الآية بذكر عموم القدرة.



(١) ينظر: الحاوي الكبير (٢٦٨/١٣). والنجم الوهاج في شرح المنهاج (١٨٩/٩).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَفْقَهُونَ إِنْ أُوتِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تَأْتُوهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِك لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسَّحْتِ إِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرَّكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخَشَوْا وَلَا تَتَّبِعُوا بِنَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة].

يُسلِّي الله نبيه، فينهاه عن الحزن من مسارعة اليهود والمنافقين في الكفر. وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون. وقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: من اليهود فريق يصدِّقون بالكذب، وينقلونه لقوم آخرين من الكفار الذين لا يحضرون عند النبي ﷺ، وذلك قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يعني: يحرفون ألفاظ التوراة في حكم رجم الزاني المحصن، ويقول بعضهم لبعض: اتوا محمداً فسلوه فإن أفتاكم بغير الرجم فاقبلوا، وإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوا، وهو معنى ﴿إِن أُوتِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تَأْتُوهُ فَأَحْذَرُوا﴾، ويوضح ذلك ما ورد في سبب

نزول هذه الآيات من الروايات في قصة اليهوديين الزانين^(١)، ومن ذلك ما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟»، فقالوا نفضحهم ويُجلدون فأتوا بالتوراة فنشروها فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما، قال عبد الله: فرأيت الرجل يَجْنَأُ^(٢) على المرأة يقيها الحجارة^(٣).

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبي هريرة قال: زنا رجل من اليهود وامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي، فإنه نبي بُعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله، قال: فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، ما ترى في رجل وامرأة منهم زنيا؟ فقال: «أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما تجدون في التوراة على من زنا إذا أُحصن؟» قالوا: يُحَمَّم -أي: يسود وجهه^(٤)- ويُجلد، ويركب حماراً وجهه إلى قفاه؛ فقال رجل منهم: اللهم إذ نشدتنا فإننا نجد في التوراة الرجم، فقال النبي ﷺ: «فإني أحكم بما في التوراة»، فأمر بهما فرُجما^(٥).

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ١٩٥)، ولباب النقول (ص ٩٦).

(٢) أي يميل ويعطف. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣١٠). وهذه اللفظة رويت على أوجه في الصحيحين، ورواية: «يجنأ» هي المشهورة الراجحة. ينظر: مشارق الأنوار (١٥٦/١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٥) -والسياق له-، ومسلم (١٦٩٩).

(٤) ينظر: النهاية (١/ ٤٤٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٤٥٠) بنحوه. قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٣/ ١٨٤): «فيه رجل من مُزينة، وهو مجهول»، وقال الألباني: «وهذا سند مجهول لجهالة الرجل المزني. لكن الحديث له شاهد من حديث البراء بن عازب...». وحديث البراء رضي الله عنه الذي ذكره الألباني في صحيح مسلم (١٧٠٠). ينظر: إرواء الغليل (٢٦٩٥).

وفي هذا الحديث بيان لمعنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِمُحَرِّفَاتٍ الْأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض إن أفتاكم محمدٌ بهذا، وهو ما تصالحووا عليه في حد الزاني، ﴿فَخُذُوهُ﴾ أي: فاقبلوا؛ وقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تُوْتُوهُ فَأَحْذَرُوا﴾ أي: إن أفتاكم محمدٌ بالرجم فلا تقبلوا.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ أي: إضلاله^(١) ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فلا تقدر على هدايته. وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: من أراد الله فتنته لم يرد الله أن يطهر قلبه، ومن لم يطهر الله قلبه من الكفر والشرك فيصير مشركاً أو كافراً، ولهذا قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: يصدّقون بالكذب^(٢) ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وهو الرشا - وذلك من أقبح المحرمات - وأكل المال بالباطل^(٣). وقوله: ﴿فَإِن جَاءُوكَ﴾ أي: يتحاكمون إليك ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وفي هذا تخيير للنبي ﷺ إذا ترفع إليه أهل الكتاب أن يحكم بينهم أو أن يعرض عنهم فلا ينظر في قضيتهم. قال الله: ﴿وَإِن حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل^(٤)، وهو ما شرعه الله في كتابه. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ترغيب في الحكم بشرع الله. وقوله تعالى: ﴿وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ﴾ هذا استفهام تعجب من ترك حكمهم بكتابهم الذي هم مطالبون بالحكم به، وما فيه هو حكم الله ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾؛ أي:

(١) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن (ص ١٨١)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٤٧٩).

(٢) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٢٦١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٢٨)، وزاد المسير (١/ ٥٥٠).

(٤) تنظر: (ص ٣٦).

يعرضون عن الحكم بكتابهم ثم يأتون إليك لتحكم بينهم، وهم لا يؤمنون بك، وقد دلت الروايات في سبب نزول الآيات أنهم لم يحكموا الرسول في قضية الزانيين طلباً للحق بل طمعاً أن يحكم بغير حكم التوراة في حد الزاني المحصن، وهو الرجم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ لا بكتابهم ولا بالقرآن.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ بعدما ذمَّ الله اليهود بإعراضهم عن الحكم بما في التوراة ذكر تعالى فضل التوراة بأنها منزلة من عند الله، وفيها هدى إلى الطريق الأقوم، وفيها نور يحصل به الاستبصار والفرقان بين الحق والباطل، وأنه أنزلها ليحكم بها أنبياء بني إسرائيل موسى ومن بعده. وقوله: ﴿الَّذِينَ أَسْمَوْا﴾ ثناء على الأنبياء بالإسلام الذي هو دين الله، وهو دين الرسل كلهم من نوح إلى محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود، واللام للاختصاص^(١). ﴿وَالرَّيْبِيِّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ أي: ويحكم بها الربانيون؛ وهم العلماء الفقهاء العاملون المعلمون، والأخبار: العلماء^(٢)، وعطفهم على «الربانيون» من عطف العام على الخاص. وقوله: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: يحكمون بالتوراة كالأنبياء بسبب ما أمرهم الله بحفظه من علم التوراة والحكم به، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي: على ما استُحْفِظُوا شهداء؛ أي: رقباء أمناء حتى لا يدخله تبديل أو تحريف^(٣). وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾ أمر لعلماء اليهود بطريق الالتفات^(٤)، ويعمُّ المسلمين في الحكم والمعنى، فنهى عن خشية الناس في

(١) ينظر: البحر المحيط (٤/٢٦٧)، والدر المصون (٤/٢٧٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥/٥٢٦)، (٨/٤٥١)، وزاد المسير (١/٢٩٨)، (١/٥٥١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص ٢٦٢).

(٤) تنظر: (ص ٤١).

بيان حكم الله، وأمر بخشيته سبحانه، ثم نهى تعالى عن أخذ عوض - وهو الرشا - على كتمان حكم التوراة بالزانيين، والاعتياض به عن العمل بآيات الله. وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِحُكْمِ اللَّهِ الْمُنزَلِ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ كالتوراة والقرآن ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: الكافرون بالله أو الكافرون بما أنزل الله، وهذا الكفر يحتمل أن يكون الكفر الأكبر المُخرج عن الملة، ويحتمل أن يكون كُفْرًا دون كفر كما قال ابن عباس: «كُفْرًا دون كفر»^(١)، ثم الواقع منه ما هو من الأول؛ كوضع قانون بدلاً من الشريعة^(٢)، ومنه ما هو من الثاني؛ كالحكم في قضية معينة يعلم الحاكم أن ما حكم به خلاف الشريعة مع اعتقاد تحريم ذلك؛ أي: من غير استحلال^(٣). وقول ابن عباس: «كُفْرٌ دون كفر» محمولٌ على مثل هذه الصورة، ومثل هذا التفصيل يقال في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] في الآيتين التاليتين.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، لَا يَحْزُنْكَ﴾ ﴿صُنْعُ﴾ ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: يقعون فيه بسُرعة، أي: يُظهِرُونَهُ إِذَا وَجَدُوا فُرْصَةً، ﴿مِنْ﴾: للبيان ﴿الَّذِينَ قَالُوا: آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ مَتَلَعًا﴾ ﴿بِقَالِهِمْ﴾، ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾. وهم المنافقون. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ ﴿قَوْمٌ﴾ ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افتتره أحبارهم سَمَاعٌ قَبُولٌ، ﴿سَمَاعُونَ﴾ ﴿مِنْكَ﴾ ﴿لِقَوْمٍ﴾: لأجل قوم ﴿آخِرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ - وهم أهل خيبر، زنى فيهم مُحْصَنَانِ

(١) أخرجه الحاكم (٣٢١٩) - ومن طريقه البيهقي في السنن (١٥٩٥١) - وقال الحاكم: «هذا

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وجاء بالفاظ أخرى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعطاء وطاوس. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٦٤ - ٤٦٦)، والصحيحة (٢٥٥٢).

(٢) ينظر: جواب في الإيمان ونواقضه لشيخنا (ص ٣٠ - ٣١).

(٣) ينظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٨٤).

فكرهوا رجمهما، فبعثوا قريظة ليسألوا النبي عن حكمهما - ﴿يُحَرِّفُونَ
 الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم، ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله
 عليها أي: يبدلونه، ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الحُكْمَ
 المحرّف، أي: الجلد، أي: أفتاكم به محمد ﴿فخذوه﴾: فاقبلوه، ﴿وإن لم
 تؤتوه﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فاحذروا﴾ أن تقبلوه. ﴿ومن يرد الله فتنة﴾
 إضلاله ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ في دفعها. ﴿أولئك الذين لم يرد الله
 أن يطهر قلوبهم﴾ من الكفر - ولو أَرَادَهُ لكان - ﴿لهم في الدنيا خزي﴾: ذل
 بالفضيحة والحزبة، ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

هم ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ - بضمّ الحاء وسكونها -
 أي: الحرام كالرّشا. ﴿فإن جاؤوك﴾ لتحكم بينهم ﴿فاحكم بينهم﴾، أو
 أَعْرَضَ عَنْهُمْ - هذا التخيير منسوخ بقوله «وأن احكم بينهم» الآية، فيجب
 الحكم بينهم إذا ترفعوا إلينا. وهو أصحّ قولي الشافعيّ. فلو ترفعوا إلينا مع
 مُسلم وجب إجماعاً - ﴿وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً! وإن حكمت﴾
 بينهم ﴿فاحكم بينهم بالقسط﴾: بالعدل. ﴿إن الله يحبّ المُقسطين﴾:
 العادلين في الحكم، أي: يُشبههم. ﴿وكيف يحكمونك، وعندهم التوراة فيها
 حكم الله﴾ بالرجم - استفهام تعجيب - أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق
 بل ما هو أهون عليهم، ﴿ثم يتولّون﴾: يُعرضون عن حكمك بالرجم
 الموافق لكتابهم، ﴿من بعد ذلك﴾ التحكيم؟ ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾.
 ﴿إنّا أنزلنا التوراة، فيها هدى﴾ من الضلالة، ﴿ونور﴾: بيان للأحكام،
 ﴿يحكم بها النبيون﴾ من بني إسرائيل ﴿الذين أسلموا﴾: انقادوا لله،
 ﴿للذين هادوا، والرّبايون﴾: العلماء منهم ﴿والأحبار﴾: الفقهاء ﴿بما﴾
 أي: بسبب الذي ﴿استحفظوا﴾: استودعوه أي: استَحَفَظَهُمَ اللهُ إِيَّاهُ ﴿من
 كتاب الله﴾ أن يبدلوه، ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ أنه حقّ. ﴿فلا تخشوا

النَّاسَ ﴿١﴾ - أيها اليهود- في إظهار ما عندكم من نعتِ مُحَمَّدٍ والرجمِ وغيرهما، ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ في كتمانِه، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به.

وقول المؤلف: (صُنِعُ) أي: فعل، وهو تقديرٌ لفاعلِ الفعلِ المضارع؛ أي: لا يحزنك فعل هؤلاء الذين يسارعون في الكفر. وقوله: (يقعون فيه بسُرعة...) إلى آخره: معناه يبادرون إلى إظهار الكفر الذي كانوا يخفونه متى وجدوا لذلك فرصة.

وقوله: (البيان): يريد (من) بيانية؛ أي: مبيّنة للمبهم في الموصول. وقوله: (بالستهم): بيان لمعنى ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾. وقوله: (متعلق بـ«قالوا»): يريد أن الجار والمجرور ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿قَالُوا﴾.

وقوله: (وهم المنافقون): لأن هذه صفة المنافقين، يُظهرون الإيمان بالستهم، وقلوبهم خالية من الإيمان.

وقوله: (قومٌ): تقدير مبتدأ خبره الجار والمجرور ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وعلى هذا فالجملة مستأنفة، ويحتمل أن الجار والمجرور معطوف على ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا أَمَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، فعلى قول المؤلف ﴿مِنَ﴾ تبعيضية، وعلى أن الجار والمجرور معطوف فـ ﴿مِنَ﴾ بيانية كالتي قبلها^(١).

وقوله: (الذي افترته...) إلى آخره: بيان للمراد بالكذب في الآية، وبيان لنوع السماع.

(١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٤٤٠)، والدر المصون (٤/ ٢٦٧).

وقوله: (منك): يريد أنهم يسمعون الكلام منك لينقلوه إلى قوم آخرين من الكافرين.

وقوله: (لأجل قوم): يريد أن سماعهم كلام النبي يريدون نقله إلى شياطينهم، وهم رؤوسهم، فهم يتجسسون على النبي خدمةً لساداتهم وكبرائهم، و﴿سَمَّعُونَ﴾ في الموضوعين صفة للمنافقين واليهود. وقوله: (من اليهود): يريد أن المنافقين وفريقًا من اليهود يتجسسون لفريق آخرين من اليهود.

وقوله: (وهم أهل خير...): إلى آخره: بيان للمراد بالقوم الآخرين الذين لم يأتوا النبي، يدل لذلك قصة الزانين من اليهود، وأنها كانا من يهود خير^(١). وقوله: (الذي في التوراة...): إلى آخره: بيان للمراد بالكلم الذي يحرفونه، وأنه الكلم الذي في التوراة المتعلق بحد الزاني المحصن، وهو الرجم. وقوله: (التي وضعها الله عليها): بيان لصفة تحريف الكلم، وأنه تبديل الكلمات، وهذا تحريف اللفظ، وقد يحرفون معناه بتفسيره بما يخالف ظاهره، وهذا من تحريف المعنى^(٢).

وقوله: (لمن أرسلوهم): بيان للمخاطبين بقولهم: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ...﴾ إلى آخره.

وقوله: (الحكم المحرف...): إلى آخره: بيان للمراد باسم الإشارة، وهذا القول من اليهود مثال لمن لا يريد في سؤاله معرفة الحق، فلا يقبل إلا ما وافق هواه.

وقوله: (فاقبلوه) أي: اقبلوا ما يفتيكم به محمد إن أفتاكم بالجلد.

(١) ينظر: تفسير الثعلبي (١١/٣٣٣)، والتفسير البسيط (٧/٣٧٨).

(٢) تنظر أقسام التحريف في: مختصر الصواعق المرسله (٣/٩٣٦)، وتوضيح مقاصد العقيدة الواسطية (ص٣٦).

- وقوله: (بل أفتاكم بخلافه): بيان لمعنى: ﴿وَإِن لَّمْ تُوَفَّوهُ﴾ أي: وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا؛ أي: لا تقبلوا.
- وقوله: (إضلاله) أي: صرفه عن الحق.
- وقوله: (في دفعها) أي: دفع الفتنة؛ المعنى: من أراد الله إضلاله لم يقدر الرسول على هدايته.
- وقوله: (من الكفر) أي: من نجاسة الكفر.
- وقوله: (ولو أراده لكان): لأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.
- وقوله: (ذُلٌّ بالفضيحة والجزية): بيان للمراد بخزي الدنيا.
- وقوله: (هم): يبيِّن أن ﴿سَمَّعُونَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف.
- وقوله: (بضم الحاء وسكونها): على وزن عُنُق، ووزن قُفْل^(١).
- وقوله: (أي: الحرام): تفسير ﴿لِلسُّحْتِ﴾، ومنه الرشا: جمع رشوة.
- وقوله: (لتحكم بينهم): بيان للغرض من مجيئهم؛ أي: يتحاكمون إليك.
- وقوله: (هذا التخيير...) إلى آخره: يبين أن ﴿أَوْ﴾ للتخيير، ثم يشير إلى الخلاف في هذا الحكم ف قيل: منسوخ، وقيل: غير منسوخ^(٢)، وهما قولان للشافعي^(٣).
- وقوله: (بينهم) أي: بين المتنازعين.
- وقوله: (بالعدل): تفسير ﴿بِالْقِسْطِ﴾، وهو الإقساط، والفاعل المُقْسِط، وضده القاسط؛ أي الجائر^(٤).

(١) أي: في قراءة كلمة «السحت» بضم الحاء وسكونها. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٥).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص ٣٩٦)، ولابن العربي (٢/٢٠١).

(٣) ينظر: الأم (٨/١٠٢)، ومختصر المزني (٢/٥٥)، (٢/٨٣٨).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٦٧٠)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص ٢٥٩).

وقوله: (العادلين): تفسير ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾؛ أي: الحاكمين بالقسط.
 وقوله: (يُثِيهِم): تفسير ﴿يُحِبُّ﴾، وهو من تفسير اللفظ بلازم معناه، وهو
 صرف للفظ عن ظاهره، وهذا راجع إلى نفي حقيقة المحبة عن الله، وهو مذهب
 الأشاعرة^(١)، ويسمّون هذا الصرف تأويلاً، وهو في الحقيقة تحريف؛ لأنه لا
 دليل يوجب ذلك، وقد مشى المؤلف على جادتهم ففسّر المحبة بالثواب^(٢)،
 وهو مما يؤخذ على المؤلف عفا الله عنه، فيجب التنبّه وعدم الاغترار به^(٣).
 وقوله: (بالرجم) المعنى: أن الله حكم في التوراة برجم الزاني المحصن.
 وقوله: (استفهام تعجيب...) إلى آخره: الصواب أن يقال: استفهام
 تعجب، وفرّق بين التعجب والتعجيب، فالتعجب هو حصول العجب من
 المتكلم، والتعجيب هو دعوة المخاطب إلى العجب، والأشاعرة ينفون العجب
 عن الله^(٤)، فلذلك صرف المؤلف التعجب إلى التعجيب، وقد دلّ القرآن
 والسنة على إثبات العجب لله، قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصفات:
 ١٢] على قراءة ضم التاء^(٥) فيكون ضميراً لله، وقال ﷺ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَنُوطِ
 عِبَادِهِ وَقَرَّبَ غَيْرَهُ»^(٦)،^(٧).

- (١) ينظر: شرح المواقف للجرجاني (٦/١٣١).
- (٢) تقدّم في مواضع، وينظر على سبيل المثال: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١/٤٠٧)، (١/٤٧٢)، (٢/٦٣)، (٢/١٣٣).
- (٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص ١٩٨-١٩٩).
- (٤) ينظر: أساس التقديس للرازي (ص ١١٢)، وأعلام الحديث للخطابي (٣/١٩٢٢).
- (٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٣٧٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/٣٥٦).
- (٦) أخرجه أحمد (١٦١٨٧)، وابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رزین العُقيلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «ضحك». وأورده ابن كثير بهذا اللفظ في البداية والنهاية (١٨/٢٥)، وفي التفسير (١/٥٧٢) بلفظ: «وقرب غيئه»، وينظر: الصحيحة (٢٨١٠).
- (٧) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (ص ١٦٥-١٦٦).

وقوله: (يُعْرِضُونَ...) إلى آخره: أي يُعْرِضُونَ عن حكم الرسول بعد تحكيمهم له إذ لم يوافق أهواءهم.

وقوله: (التحكيم؟): بيان لمرجع اسم الإشارة.

وقوله: (من الضلالة): أي التوراة بما فيها من العلم تمنع من الضلالة.

وقوله: (بيان للأحكام): تفسير للنور؛ لأن النور يكشف للسالك مواضع الطريق.

وقوله: (من بني إسرائيل): بيان للمراد بـ ﴿النَّبِيُّونَ﴾ أنهم أنبياء بني إسرائيل.

وقوله: (انقادوا لله): تفسير للإسلام، فإن الإسلام انقياد.

وقوله: (العلماء منهم): تفسير «الربانيون»، والمراد: علماء اليهود.

وقوله: (الفُقهاء): تفسير «الأخبار»، وهم صنفٌ من العلماء.

وقوله: (أي: بسبب الذي): بيان لمعنى الباء أنها سببية.

وقوله: (استودعوه...) إلى آخره: تفسير ﴿أَسْتَحْفِظُوهَا﴾، والمستحفظ والمستودع هو الله.

وقوله: (أن يُبدّلوه): يريد أن الله استحفظهم الكتاب فلا يبدّلونه.

وقوله: (أنه حق): بيان لما شهدوا به.

وقوله: (أيها اليهود...) إلى آخره: بيان للمخاطب بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا

النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾، وهذا نهى لليهود أن يكتموا ما عندهم من صفة النبي خشية أن يحتجّ الناس عليهم.

وقوله: (في كتمانهم) أي: بترك كتمانهم.

وقوله: (تستبدلوا): تفسير ﴿تَشْتَرُوا﴾ المعنى: لا تستعيضوا عن بيان

الحق عرَضًا من الدنيا يؤول إلى زوال.

وقوله: (به): بيان لمتعلق الكفر، وهو ما أنزل الله.



وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۗ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۗ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۗ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۗ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

يخبر تعالى أنه فرض في التوراة على بني إسرائيل القصاص في النفس والأطراف، فمن قتل قُتِلَ به، رجلاً كان أو امرأة، ومن قطع طرفاً؛ كيدٍ أو رجلٍ أو أتلف عضواً؛ كعين وأذن وأنف؛ فُعل به كما فعل، وكذا الجروح. وقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۗ﴾ أي: إذا تصدَّق المجني عليه على الجاني بترك القصاص؛ كان ذلك كفارة لذنوب المتصدِّق، أو كفارة للجاني فيسقط عنه القصاص^(١). وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ تقدم أن القول فيه كالقول في نظيره: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]^(٢). وقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٧٢)، وزاد المسير (١/ ٥٥٣-٥٥٤).

(٢) تنظر: (ص ٨٣).

مَرِيَمَ ﴿١﴾ أي: على آثار الأنبياء؛ أي: بعث الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد موسى، ومن جاء بعده من الأنبياء. وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ المعنى أن الله بعث عيسى ابن مريم مؤمناً بالتوراة، وحاكماً بها إلا ما نُسِخَ منها برسالته؛ كما قال تعالى عن عيسى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ أي: أنزل الله عليه الإنجيل ليحكم به مع التوراة. وقوله: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ يعني: في الإنجيل هدى ونور كما في التوراة هدى يهدي إلى طريق الحق، ونور يفرق به بين الحق والباطل. وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: دالاً على صدق التوراة، وأنها من عند الله. وقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: فيه أوامر ونواهٍ وترغيب وترهيب، وإنما ينتفع بذلك المتقون.

وقوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾ أمرٌ من الله لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن اتبعه بالحكم بما أنزل الله في الإنجيل. وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله، وهي نظير الآيتين المتقدمتين، وقد تقدم تفصيل القول فيهما^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ هذا امتنان من الله على عبده ورسوله محمد بإنزال القرآن عليه، وهو ثالث الكتب المنزلة: التوراة والإنجيل والقرآن، وهي أشرف الكتب المنزلة على الرسل، وأشرفها القرآن ثم التوراة، ولهذا يقرب الله بينهما في الذكر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...﴾ [الأنعام: ١٥٤-١٥٥] الآية، وقال تعالى في

(١) تنظر: (ص ٨٣)، (ص ٩٠).

القرآن والتوراة: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ [القصص] (١).

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: الكتب المنزلة قبله ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ أي: أميناً عليها فيما أخبر به عنها (٢).
 وقوله: ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أمرٌ من الله لنبيه أن يحكم بين الناس من أهل الكتاب وغيرهم بما أنزل الله عليه؛ وهو القرآن، ثم نهاه تعالى عن اتباع أهوائهم معرضاً عما جاءه من الحق. وقوله: ﴿إِكْلٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ أي: جعلنا لكل رسول وأمة شرعة ومنهاجاً؛ أي: سبيلاً وسنة في دينهم وعبادتهم مخلصين لله الدين، وبشرعه مهتدين (٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة أي: على شريعة واحدة، ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن يتلي العباد ببعث الرسل بشرائع مختلفة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع والأوامر والنواهي. وقوله: ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: سابقوا إلى العمل بأوامر الله ونواهيها، واتباع أنبيائه. وقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ يعني أنكم سترجعون إلى الله، ويسألكم عما فرض عليكم من طاعته، وطاعة رسله، وينبئكم بما كنتم فيه تختلفون، ويحكم بينكم، ويبين لكم المحق من المبطل، ويجزيكم على أعمالكم خيراً وشرها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فتظهر حكمته تعالى ويظهر عدله، ولهذا قال: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

(١) ينظر: الجواب الصحيح (١١٦-١١٩)، (٢٨٠-٢٨١)، (٢/٣٥١-٣٥٢).

(٢) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والحسن. ينظر: تفسير الطبري (٨/٤٨٧-٤٨٩)، وابن أبي حاتم (٤/١١٥٠).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/٤٩٣)، وابن كثير (٣/١٢٩).

وقوله تعالى: ﴿وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ الواو عاطفة، و«أن» تفسيرية^(١)، وعطفُ الأمر بالحكم بما أنزل الله على الأمر بالحكم في الآية السابقة تأكيداً، وتفسيرٌ لما تَضَمَّنَه إنزال الكتاب، وكذلك النهي عن اتباع أهواء الكفار^(٢)، وقد جمع الله بين نهى النبي ﷺ عن اتباع أهوائهم، وتحذيره من فتنتهم ليصدوه عن بعض ما أنزل الله إليه. وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَعَلِمَ إِنَّمَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي: فإن أعرض هؤلاء الكفار عن حكمك، و عما تدعوهم إليه؛ فاعلم أن ذلك عقوبة بسبب عصيانهم. وقوله: ﴿وَأَن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ خبر من الله بأن كثيراً من الناس خارجون عن طاعة الله. وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الاستفهام للإنكار، ينكر تعالى على الذين يؤثرون حكم الجاهلية على حكم الله، ثم أثنى على حكمه تعالى بأنه أحسن الأحكام، وأنه لا أحد أحسن منه حكماً.

﴿وَكُتِبْنَا﴾: فرضنا، ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي: التوراة، ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تُقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قتلتها، ﴿وَالْعَيْنَ﴾ تُفَقَأُ ﴿بِالْعَيْنِ﴾، ﴿وَالْأَنْفَ﴾ يُجَدَعُ ﴿بِالْأَنْفِ﴾، ﴿وَالْأُذُنَ﴾ تُقَطَّعُ ﴿بِالْأُذُنِ﴾، ﴿وَالسِّنَّ﴾ تُقْلَعُ ﴿بِالسِّنِّ﴾ - وفي قراءة بالرفع في الأربعة - ﴿وَالجُرُوحَ﴾، بالوجهين، ﴿قِصَاصٌ﴾ أي: يُقْتَصُّ فيها إن أمكن، كاليدِ والرَّجْلِ والذِّكْرِ ونحو ذلك، وما لا يُمكن فيه الحُكْمُ. وهذا الحُكْمُ، وإن كُتِبَ عليهم، فهو مقرَّر في شرعنا. ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بالقصاص، بأن مَكَّن من نفسه، ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾: لما أتاه، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ

(١) ذكر هذا الوجه أبو البقاء في التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٤٢) وقال: «ويمكن تصحيح هذا القول على أن يكون التقدير: «وأمرناك»؛ ثم فسّر هذا الأمر بـ «أحكم»». وتعقبه أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٨٦).

(٢) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٤١٣)، وتفسير أبي السعود (٣/ ٤٦).

الله ﴿﴾، في القصاص وغيره، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. ﴿وَقَفَّينَا﴾: أتبعنا ﴿على آثارهم﴾ أي: النبيين ﴿بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿مِنَ التَّوْرَةِ، وَآتِينَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَنُورٌ﴾: بيان للأحكام، ﴿وَمُصَدِّقًا﴾: حال ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾، لما فيها من الأحكام، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ، وَ﴾ قلنا: ﴿لِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ من الأحكام. وفي قراءة بنصب «يَحْكُمَ» وكسر لامه عطفًا على معمول «آتيناه». ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ - يا محمد - ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلق بـ «أنزلنا»، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿مِنَ الْكِتَابِ، وَمُهَيِّمًا﴾: شاهدًا ﴿عَلَيْهِ﴾. و«الكتاب» بمعنى الكتب. ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾: بين أهل الكتاب، إذا ترفعوا إليك، ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَادِلًا﴾: عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ. لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴿- أَيُّهَا الْأُمَّم -﴾ شِرْعَةً: شريعة ﴿وَمِنْهَا جَا﴾: طريقًا واضحًا في الدين يمشون عليه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شريعة واحدة، ﴿وَلَكِنْ﴾ فرقكم فرقا ﴿لِيَلْبِؤَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِيمَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة، لينظر الْمُطِيعَ مِنْكُمْ وَالْعَاصِيَّ. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: سارعوا إليها. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، وَيَجْزِي كُلًّا مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ. ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحِدَرُهُمْ﴾، لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾: يُضِلُّوكَ ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ. فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم المنزل، وأرادوا غيره، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ التي آتواها - ومنها التولي - وَيُجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِهَا فِي الْآخِرَى - ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ - أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، بالياء والتاء: يطلبون من المُدَاهِنَةِ

والميل، إذ تولّوا؟ استفهام إنكار، ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا، لِقَوْمٍ﴾: عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ به؟ خصوصاً بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه.

وقول المؤلف: (فرضنا): تفسير «كتبنا»^(١)؛ كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] وهو من الكتب الشرعي^(٢).

وقوله: (أي: التوراة): بيان لمرجع الضمير المجرور؛ لأن التوراة هي التي تقدم ذكرها في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقوله: (تُقتل): بيان لمتعلق الجار والمجرور.
وقوله: (إذا قتلتها): فالنفس الأولى نفس الجاني، والثانية نفس المجني عليه.

وقوله: (تُفقأ): تقدير لمتعلق الجار والمجرور بالعين.
وقوله: (يُجدع): تقدير لمتعلق الجار والمجرور بالأنف، ومعنى يُجدع: يُقطع^(٣).

وقوله: (تُقطع): تقدير لمتعلق الجار والمجرور بالأذن.
وقوله: (تُقلع): تقدير لمتعلق بالسن.
وقوله: (وفي قراءة...): إلى آخره: يريد أن العين والأنف والأذن والسن تُقرأ فيها بالرفع^(٤).

وقوله: (بالوجهين): يريد أن الجروح تُقرأ فيها بالرفع والنصب^(٥).

(١) ينظر: الوجوه والنظائر للداغاني (ص ٣٩٢)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٥١٥).

(٢) ينظر: شفاء العليل (٢/ ٣٧٩).

(٣) ينظر: لسان العرب (٨/ ٤١).

(٤) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٤).

(٥) تنظر المراجع السابقة.

وقوله: (أي: يُقتَصُّ فيها...) إلى آخره: يريد أن الجروح - كقطع اليد والرجل - يُقتَصُّ فيها من الجاني بقطع مثله إن أمكن، كما إذا كان القطع من مفصل^(١). وقوله: (وما لا يُمكن) أي: لا تمكن فيه المساواة في القصاص كما إذا كان القطع من غير مفصل؛ يقول: فيه حكومة، وذلك بأن يقدَّر المجني عليه عبداً فيقوم سليماً، ويقوم ناقصاً بسبب الجناية، فيجب على الجاني مقدار الفرق بين قيمته^(٢). وقوله: (وهذا الحكم) أي: كل ما تقدم مما هو مكتوب على بني إسرائيل في التوراة فهو مقرر في شرعنا، وعليه: فهو شرع لنا^(٣). وقوله: (أي: بالقصاص): يريد أن المجني عليه تصدق بالقصاص على الجاني بأن عفا عنه.

وقوله: (لما أتاه): معناه أن عفو المجني عليه كفارة للجاني لما أتاه من الجناية، ولكن هذا الكلام لا يستقيم مع قوله: (بأن مكن من نفسه): فإنه بذلك يجعل المتصدق هو الجاني، ولا وجه له.

وقوله: (في القصاص وغيره): يريد أن يبين أن الآية عامة؛ لأن «ما» اسم موصول، وهو من صيغ العموم، فيشمل جميع الأحكام في جميع القضايا، ونص على القصاص مراعاة لسياق الآيات، ولقوله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

وقوله: (أتبعنا): تفسير «قينا»^(٤) أي: أرسلنا بعد موسى وأنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم، فإن عيسى آخر أنبياء بني إسرائيل.

(١) ينظر: المغني (١١/٥٣٦).

(٢) ينظر: المغني (١٢/١٧٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/١٢١). وينظر الخلاف في مسألة «شرع من قبلنا» في: البحر المحيط في أصول الفقه (٨/٤٢).

(٤) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٣٧٢)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص ٢٦٥).

- وقوله: (أَيُّ: النَّبِيِّنَ): بيان لمرجع الضمير في قوله: ﴿ءَاثَرِهِمْ﴾.
- وقوله: (قَبْلَهُ): بيان للمراد بما بين يديه.
- وقوله: (مِنَ الضَّلَالَةِ): يريد أن الإنجيل يهدي مَنْ اتبعه، ويمنعه من الوقوع في الضلالة.
- وقوله: (بَيَانٌ لِلأَحْكَامِ): معناه أن الإنجيل فيه بيان الأحكام من الحلال والحرام.
- وقوله: (حَالٌ): بيان لوجه نصب ﴿مُصَدِّقًا﴾.
- وقوله: (لَمَّا فِيهَا مِنَ الأَحْكَامِ): يريد أن الإنجيل مُصَدِّقٌ لَمَّا فِي التَّوْرَةِ مِنَ الأَحْكَامِ؛ أَي: موافقٌ لها، وشاهدٌ بصدقها.
- وقوله: (قَلْنَا): يبين أن قوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾ مقول قول مقدّر، فالمعنى: وقلنا وليحكم أهل الإنجيل^(١).
- وقوله: (مِنَ الأَحْكَامِ): بيان للمراد بالمتوصل.
- وقوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ...): إلى آخره: هذه القراءة^(٢) تقتضي أن اللام للتعليل، والفعل منصوب بأن، وفي إعراب الجار والمجرور معطوفاً على ما قبله ليس بجيد، والقراءة المشهورة أظهر في المعنى والإعراب، فاللام لام الأمر، وهي ساكنة، والفعل مجزوم بها^(٣).
- وقوله: (يَا مُحَمَّدٌ): بيان للمخاطب.
- وقوله: (الْقُرْآنَ): بيان للمراد بالكتاب المنزل على محمد ﷺ.
- وقوله: (مَتَعَلِّقٌ بِ«أَنْزَلْنَا»): بيان لإعراب الجار والمجرور.

(١) ينظر: التفسير البسيط (٧/٤٠٢)، والكشاف (٢/٢٤٦)،

(٢) أَي: «وَلِيَحْكُمَ» بكسر اللام وفتح الميم، وهي قراءة حمزة. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٥)، والنشر (٢/٢٥٤).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٨٠)، والدر المصون (٤/٢٨٥).

وقوله: (قبله): بيان لمعنى «ما بين يديه».

وقوله: (شاهدًا): تفسير «مهيمنًا»^(١).

وقوله: (و«الكتاب» بمعنى الكتب): يريد أن الكتاب في قوله: ﴿مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ جميع الكتب المنزلة قبل القرآن.

وقوله: (بين أهل الكتاب...) إلى آخره: بيان للمراد بالضمير المجرور

في ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

وقوله: (إليك): بيان للمخاطب بقوله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، وهو

الرسول ﷺ، والمنزل إليه هو القرآن.

وقوله: (عادلاً): بيان لمتعلق الجار والمجرور: ﴿عَمَّا جَاءَكَ﴾ فإنه إذا اتبع

أهواء المختلفين في الحكم الذي يريدون؛ فقد عدل عما أنزل الله إليه.

وقوله: (أيها الأمم): يريد أصحاب الملل؛ كاليهود والنصارى والمسلمين.

وقوله: (شريعة): تفسير ﴿شُرْعَةً﴾، ومعناها واحد، والمراد: ما شرعه

الله من الدين من الأوامر والنواهي في العبادات والمعاملات.

وقوله: (طريقًا واضحًا...) إلى آخره: تفسير «منهاجًا»، فعلم مما تقدم أن

الشريعة والمنهاج صفتان للدين، فهو شريعة لما فيه من المأمورات والمنهيات،

ومنهاج لما يقتضيه من العمل، وجاء عن السلف شريعةً ومنهاجًا سبيلًا وسنةً^(٢).

وقوله: (على شريعة واحدة): لأن اتحاد الشريعة يقتضي اتحاد الأمة،

فلهذا كنى بالأمة عن الشريعة.

(١) واختار شيخنا - سده الله - في التفسير أن معنى المهيمن: الأمين، وهو قريب من الشاهد.

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٢٨): «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله».

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٩٦)، وابن كثير (٣/ ١٢٩).

وقوله: (فَرَّقَكُمْ فِرْقًا): هذا ما يدل عليه الاستدراك في مقابل جعلهم أمة واحدة.

وقوله: (لِيَخْتَبِرَكُمْ): هو معنى يبلوكم؛ أي: بهذا التعدد.
 وقوله: (من الشرائع المختلفة...) إلى آخره: المعنى: جعلكم أممًا، وجعل لكم شرائع اختبارًا لكم هل تطيعون أم تعصون؟
 وقوله: (سارعوا إليها) أي: سابقوا، والمسابقة والمسارعة والاستبقاء معناها واحد.

وقوله: (بالبعث): بيان لما يكون به الرجوع إلى الله، وقبل ذلك يكون بالموت.

وقوله: (من أمر الدين...) إلى آخره: بيان لمتعلق الاختلاف الذي يحكم فيه بينهم، ومن آثار الحكم الجزاء ثوابًا أو عقابًا.
 وقوله: (لَا أَنْ) لا: بيان لعلة وجوب الحذر منهم.

وقوله: (يُضِلُّوكَ): تفسير ﴿يَفْتِنُوكَ﴾ وهو مضمَّن معنى يصدوك^(١).
 وقوله: (عن الحكم...) إلى آخره: بيان لمتعلق التولي، وهو ما أنزل الله مع إثارة غيرهم.

وقوله: (بالعقوبة في الدنيا): بيان لنوع العقوبة التي توعدهم الله بها.
 وقوله: (التي أتوها...) إلى آخره: يريد الذنوب التي أتوها؛ أي: فعلوها، يقول: ومنها التولي عما أنزل الله. وقوله تعالى: ﴿بِعَصِّ ذُنُوبِهِمْ﴾ يدل على أنه سيجزيهم بجميع ذنوبهم يوم القيامة كما ذكر المؤلف.

(١) ينظر: تفسير مقاتل (١/٤٨٣)، وابن أبي زَمَيْن (٢/٣٢).

وقوله: (بالياء والتاء...) إلى آخره: يريد أنه قُرى ﴿يَبْعُونَ﴾ و﴿تَبْعُونَ﴾^(١)، ويطلبون: تفسير ﴿يَبْعُونَ﴾^(٢)؛ يعني أنهم يطلبون حكم الجاهلية ميلاً عن الحق، ومداهنة لذوي السلطان. وقوله: (استفهام إنكار): يريد أن الاستفهام بالهمزة للإنكار على مَنْ يبغي حكم الجاهلية. وقوله: (أي: لا أحد): يبين أن الاستفهام بـ «مَنْ» للإنكار المفيد للنفي، ولذا يفسر بـ «لا أحد».

وقوله: (عند قوم): يريد أن القوم الذين يوقنون بحكم الله عندهم حكم الله أحسن حكم، ولا حكم أحسن منه. وقوله: (به؟): بيان لمتعلق اليقين؛ أي: يوقنون بحكم الله. وقوله: (خُصّوا بالذكر...): إلى آخره: يريد أن الله نصَّ عليهم دون غيرهم؛ لأنهم يؤمنون بما أنزل الله ويفهمونه ويتدبرونه.



(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٦)، والنشر (٢/ ٢٥٤).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ١٣٧).

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ وَأُومِرَ مَنْ عِنْدَهُ فَيُصِيحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلِعِبَاءٍ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلِعِبَاءَ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ [المائدة].

هذا نهى من الله للمؤمنين عن تولي اليهود والنصارى بالمحبة والمعاونة والنصرة، وشر ذلك نصرهم في حربهم للمسلمين، وفي الآية وعيد لمن اتخذهم أولياء أن يكون حكمه حكمهم؛ لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين^(٢)؛ أي: لا يوفقهم فيهم. وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: مرض شك، وهم المنافقون^(٣) ﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: يسارعون في اليهود والنصارى بتوليهم لهم وطاعتهم واتباع أهوائهم؛ يفعلون ذلك يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة يكون السلطان فيها لأهل القوة والسلطان. وقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ يعني أن

(١) ينظر: شرح نواقض الإسلام لشيخنا (ص ٣٧).

(٢) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٤١٩)، والتحرير والتنوير (٦/ ٢٣١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ١٨١).

الله سيأتي بالفتح^(١)؛ أي: النصر على الكافرين، فيصبح المنافقون نادمين على ما أسروا من النفاق، وما فعلوا من تولي الكافرين. وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خبر من الله عن المؤمنين حين يُطْلِعُهُم اللهُ على سوء عاقبة المنافقين، وهم الذين كانوا يُقْسِمُونَ بالله جهد أيمانهم إنهم مع المؤمنين، فعاقبهم الله بحبوط أعمالهم فأصبحوا خاسرين؛ لأنه فاتهم الثواب. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ بشارة للمؤمنين بأن من ارتد عن دين الإسلام فسوف يأتي الله بدلاً عنهم قومًا متواضعين للمؤمنين، رحماء بهم، أعزة على الكافرين؛ أي: أشداء؛ ذوي غلظة عليهم^(٢)، ولهذا يجاهدون في سبيل الله بقتال الكفار المحاربين متوكلين على الله لا يخافون لوم اللائمين. ثم أخبر تعالى أن هذا فضلٌ من الله آتاهم الله إياه، فإن الله يؤتي فضله من يشاء، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بمواضع فضله. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَوْلِيَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا إرشاد من الله للمؤمنين أن تكون ولايتهم لله ولرسوله، وإخوانهم المؤمنين الذين يقيمون الصلاة، ويأتون الزكاة، وهم راعون لربهم؛ أي: خاضعون منقادون لأمره^(٣)، ثم بشر من تولى الله ورسوله والمؤمنين بأنهم حزب الله ولهم الغلبة على عدوهم. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا نهى من الله للمؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب وغيرهم من الكافرين أولياء. وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تأكيد للنهي عن اتخاذ الكفار أولياء، ففي هذه الآية تأكيد للنهي، وتعميم، وبيان للسبب المقتضي لذلك^(٤)؛ وهو اتخاذهم دين الإسلام

(١) سيأتي في تعليق شيخنا حَفِظَهُ اللهُ مزيد بيان.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر للعسكري (ص ٣٤٣)، وللدماغاني (ص ٣٣٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص ٢٣٦).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٣٥-٥٣٦)، والتفسير البسيط (٧/ ٤٤٠-٤٤١).

هزواً^(١) ولعباً، وكذلك اتخذهم النداء للصلاة هزواً ولعباً، ثم بين تعالى سبب استهزائهم بالدين والصلاة، وهو أنهم لا يعقلون، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾، ثوالونهم وثوادونهم. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ لاتحادهم في الكفر، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: من جملتهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بمؤالاة الكفار، ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد، كعبد الله بن أبي، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: في مؤالاتهم، ﴿يَقُولُونَ﴾ مُعتذرين عنها: ﴿نَخْشَى أَن تَصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا من جذب أو غلبة، ولا يتم أمر محمد فلا يَمِيرُونَا. قال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾: بالنصر لنبيه بإظهار دينه، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يهتك ستر المنافقين وافتضاحهم، ﴿فِيصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من الشك ومؤالاة الكفار ﴿نَادِمِينَ﴾. ويقول ﴿بِالرَّفْعِ اسْتِثْنَاءً بَوَاوٍ وَدُونِهَا، وَبِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى «يَأْتِي»﴾ - الَّذِينَ آمَنُوا - لبعضهم إذا هتك سترهم تعجباً: ﴿أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ إِيمَانِهِمْ﴾: غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين؟ قال تعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾: صاروا ﴿خَاسِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة، والآخرة بالعقاب! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، مَنْ يَرْتَدِدْ﴾، بالفك والإدغام: يَرْجِعُ ﴿مِنْكُمْ عَن دِينِهِ﴾ إلى الكفر - إخبار بما علم الله تعالى وقوعه منهم. وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ - ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ - قال ﷺ: «هُم قَوْمٌ هَذَا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري. رواه الحاكم في صحيحه - ﴿أَدَلَّةٌ﴾:

(١) وفي «هزواً» لغات. ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٥).

عَاطِفِينَ ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، عَزَّةٍ﴾: أَشَدَّاءَ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه، كما يخاف المنافقون لوم الكفار. ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ اللَّهِ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: كثير الفضل، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله. ونزل، لما قال ابن سلام: «يا رسول الله، إن قومنا هجرنا»: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَهُمْ رَاغِبُونَ﴾: خاشعون، أو مُصَلِّون صلاة التطوع، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ - فيعينهم وينصرهم - ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم. أوقعه موقع «فإنهم» بيانا لأنهم من حزبه، أي: أتباعه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا﴾: مهزوءا به ﴿وَلَعِبًا، مِنْ﴾ - للبيان - ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرِ﴾: المشركين - بالجر والنصب - ﴿أَوْلِيَاءَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: صادقين في إيمانكم، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتهم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوا﴾ أي: الصلاة ﴿هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾، بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا. ﴿ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقول المؤلف: (توالونهم وتوادونهم): بيان لمعنى اتخاذ اليهود والنصارى أولياء.

وقوله: (لاتحادهم في الكفر): بيان لسبب تولي بعضهم بعضا.

وقوله: (من جملتهم) أي: يصير يهوديا أو نصرانيا.

وقوله: (بمؤالاة الكفار) بيان لسبب حرمانهم من الهداية.

وقوله: (ضعفُ اعتقاد): تفسير للمرض الذي في قلوبهم.

وقوله: (في مُؤَالَاتِهِمْ): بيان لمتعلق المسارعة.

وقوله: (مُعْتَذِرِينَ عَنْهَا) أي: معتردين عن مسارعتهم في موالاته

اليهود والنصارى.

وقوله: (يَدُورُ بِهَا الدَّهْرُ...) إلى آخره: بيان لمعنى الدائرة؛ وهي تَغْيُرُ

الأحوال فتكون القوة لليهود والنصارى، ولا يتم أمر النبي ﷺ^(١). وقوله: (فَلا

يَمِيرُونَا) من المِيرة؛ وهي كيل الطعام^(٢)؛ أي: فلا يُمدوننا بما يكون لنا قوتاً^(٣).

وقوله: (قَالَ تَعَالَى): يبيّن أن جملة ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ﴾ مقول قول

مقدّر، والقائل هو الله^(٤)، وفي هذا ردٌّ على المنافقين، وبشارة للمؤمنين بالنصر

المبين، فإن الفتح هو النصر، و«عسى» من الله واجبة^(٥)؛ أي: وعدٌ محققٌ.

وقوله: (بِالنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ): تفسير «الفتح».

وقوله: (بِهَتِكِ سِترَ الْمُنَافِقِينَ وَافْتِضَاحِهِمْ): تفسير للأمر المذكور

مع الفتح^(٦).

وقوله: (مِنَ الشُّكِّ وَمُؤَالَاةِ الْكُفَّارِ): بيان لما أسروا في أنفسهم.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٢-٥١٣)، والتفسير البسيط (٧/ ٤٢٠).

(٢) ينظر: لسان العرب (٥/ ١٨٨).

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٤٤).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٢).

(٥) وهذا مروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٥١) وما بعدها،

وابن أبي حاتم (٥٠٤٤)، (٥٧٠٧)، (١٠٠٦٠)، والبيهقي في السنن الكبير (١٧٨١١)،

وينظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٩٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ١٨١).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ١٨١).

وقوله: (بالرفع...) إلى آخره: يبين أن جملة: «يقول» مستأنفة. وقوله: (بواوٍ ودونها): يريد الواو التي قبل الفعل، وهما قراءتان^(١)، والواو إمّا عاطفة على «يصبحوا» أو للاستئناف.

وقوله: (بالنصب...) إلى آخره: يريد أن فعل «يقول» قرئ بالنصب عطفاً على ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾^(٢).

وقوله: (لبعضهم...) إلى آخره: يريد أن الذين آمنوا يقول بعضهم لبعض: إذا هتك الله ستر المنافقين - أي: فضحهم - يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين: ﴿أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾^(٣).

وقوله: (غاية اجتهادهم فيها): معناه أنهم بالغوا في الحلف ليُصدّقوا، واجتهدوا في تأكيدها بأنواع من التأكيد، والجهد بمعنى الاجتهاد، وإضافته إلى الأيمان من إضافة الصفة إلى الموصوف.

وقوله: (في الدين؟): يعنون أنهم مثلكم على الإيمان؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَّتْ﴾ [البقرة: ١٤].

وقوله: (قال تعالى): يريد أن ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ مقول قول مقدر^(٣).

وقوله: (بَطَلَتْ): تفسير ﴿حَبِطَتْ﴾ فلا يثابون عليها.

وقوله: (الصالحة): بيان لمتعلق ﴿حَبِطَتْ﴾، فالحابط هي

أعمالهم الصالحة.

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٦)، والنشر (٢/ ٢٥٤).

(٢) تنظر أوجه أخرى في إعرابها في: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٤٤)، والدر المصون (٤/ ٣٠١).

(٣) ولم يذكر الطبري غيره، وذكره الزمخشري وابن عطية احتمالاً. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٧١)، والكشاف (٢/ ٢٥١-٢٥٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٩٦).

وقوله: (صاروا): يبين أن أصبح معناها صار، لا بمعنى دخل في الصباح^(١).
وقوله: (الدُّنيا...) إلى آخره: يبين أن خُسْرَهُم واقع بهم في الدنيا والآخرة
فضيحة وعقابًا.

وقوله: (بالفكّ والإدغام): فيه إشارة إلى قراءتين في قراءة «يرتد» فقرأ
بالفك؛ وهو النطق بدالين؛ الأولى مكسورة، والأخرى ساكنة، والقراءة الثانية
بدال واحدة مشددة مفتوحة؛ لإدغام الدال الأولى في الثانية كقراءة حفص^(٢).
وقوله: (يرجع): تفسير «يرتد».

وقوله: (إلى الكُفْر...) إلى آخره: بيان لمعنى الرّدة؛ وهي الرجوع عن
الإسلام إلى الكفر، ولم تقع الرّدة العامة إلا بعد وفاة النبي ﷺ، كما ارتد بنو
حنيفة، فقيض الله الصديقّ لهم؛ فقاتلهم فاندحروا، وهدى الله مَنْ شاء منهم
بالرجوع إلى الإسلام^(٣)، وهذا ما أشار إليه المؤلف، فإنَّ الله أخبر بوقوع الرّدة،
وبمَنْ يجاهدهم، وذلك من أنباء الغيب^(٤).

وقوله: (بدلهم) أي: بدل المرتدين، والباء في قوله: ﴿بِقَوْمٍ﴾ باء البدل^(٥)،
ثم ذكر المؤلف الحديث الذي رواه الحاكم في بيان المراد بالقوم الذين يأتي
الله بهم، وفيه أنهم قوم أبي موسى الأشعري^(٦)، وفي المراد بهم أقوال^(٧)؛ من

-
- (١) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ١٠٦)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٩٢).
(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٥).
(٣) ينظر: البداية والنهاية (٩/ ٤٣٧) وما بعدها.
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٨)، والكشاف (٢/ ٢٥٢).
(٥) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٤٥٧).
(٦) أخرجه الحاكم (٣٢٢٠) عن عياض الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا ولفظه: «هم قومك يا أبا
موسى»، وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري، وقال: «هذا حديث صحيح
على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وأخرجه الطبري (٨/ ٥٢٩) عن سماك بن حرب، قال:
سمعت عياضًا يحدث عن أبي موسى، وينظر: الصحيحة (٣٣٦٨).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٨-٥٢٥)، وزاد المسير (١/ ٥٥٩-٥٦٠).

أرجحها أنهم قوم أبي موسى؛ للحديث، وكذلك قول من قال: إنهم أبو بكر وأصحابه؛ فإنهم الذين قاتلوا المرتدين، ولكن معنى الآية عام يدخل فيه كل من ثبت على الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، وجاهد الكافرين مرتدين أو غير مرتدين، ولهذا قال الله في وصف أولئك القوم: ﴿يَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله: (عاطفين): تفسير ﴿أَذَلَّةٌ﴾؛ أي: رحماء، وفيه معنى التواضع، ولين الجانب.

وقوله: (أشداء): تفسير ﴿أَعَزَّةٌ﴾؛ أي: أهل غلظة وقسوة على الكافرين، وفي الآية شاهد لقوله تعالى في وصف الصحابة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله: (فيه...) إلى آخره: يريد أن الله أثنى على المؤمنين بأنهم لا يخافون في جهاد الكافرين لوم اللائمين، خلاف حال المنافقين الذين يتركون الجهاد خوفاً من لوم الكفار.

وقوله: (المذكور من الأوصاف): بيان لمرجع اسم الإشارة؛ المعنى: أن ما وصف الله به المؤمنين هو من فضل الله عليهم.

وقوله: (كثير الفضل): تفسير لاسم الله الواسع.

وقوله: (بمن هو أهله): بيان لمتعلق العلم.

وقوله: (ونزل...) إلى آخره: يشير إلى سبب نزول هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية (١).

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ١٩٩).

وقوله: (خاشعون...) إلى آخره: تفسير لقوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾؛ قيل: معناه خاشعون؛ أي: خاضعون، وقيل: المراد الركوع في الصلاة الذي يكون بعد القيام، وقبل السجود^(١).

وقوله: (فِيُعِينُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ): بيان لما تكون به الولاية.
 وقوله: (لنصره إياهم...) إلى آخره: بيان لسبب الغلبة، وهو نصر الله للمؤمنين. وفي قوله: (أوقعه موقع «فإنهم»): يريد أن ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾ في الجملة من وضع الظاهر موضع المضمَر؛ ليدل على أن المؤمنين حزب الله؛ أي: أولياؤه وأنصاره^(٢).

وقوله: (مهزوءاً به): يبين أن المصدر بمعنى اسم المفعول من وضع المصدر موضع الصفة.

وقوله: (للبيان): يريد أن ﴿مِّنْ﴾ بيانية تُبَيِّنُ ما في الموصول ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ من الإبهام.

وقوله: (المشركين - بالجرِّ والنصبِ -): بيان للمراد بالكفار، فهو من العام الذي أُريد به الخصوص، والمستهزئون بدين الإسلام من الذين أتوا الكتاب هم كفار أيضاً. وقوله: (بالجرِّ والنصبِ)^(٣): يبين أن ﴿وَالْكَافَرَاتِ﴾ قُرئ بالنصب عطفاً على الموصول ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾، وبالجر عطفاً على ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(٤).

وقوله: (بترك مؤالاتهم): بيان لما تحصل به التقوى.

(١) ينظر: زاد المسير (١/٥٦١).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٤٦)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٤٥٩).

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص١٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٥).

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/٢٣٠)، والتبيان في إعراب القرآن (١/٤٤٦).

وقوله: (صادقين في إيمانكم): بيان للإيمان الذي يمنع من تولي الكفار، وهو الإيمان الصادق.

وقوله: (الذين): يبين أن بعد واو العطف مقدّر معطوف على الاسم الموصول في أول الآية السابقة؛ فيكون المعنى: لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً، والذين إذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً^(١).

وقوله: (دعوتهم): بيان لمعنى ﴿نَادَيْتُمْ﴾، والمراد: الدعوة إلى الصلاة بالأذان، ولو قال: «دعوتهم إلى الصلاة بالأذان»؛ لكان أظهر في بيان المراد، ولكنه فرق الجملة.

وقوله: (أي: الصلاة): بيان لمرجع الضمير المنصوب.

وقوله: (بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا): بيان لصفة استهزائهم ولعبهم.

وقوله: (الاتخاذ): بيان لمرجع اسم الإشارة؛ وهو اتخاذ الصلاة هزواً ولعباً.

وقوله: (بسبب أنهم): يبين أن الباء سببية.



(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٤/٣٨٥)، وإعراب القرآن وبيانه (٢/٥٠٩).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبَّةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ [المائدة].

يأمر الله تعالى نبيه أن يقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: ما تنقمون منا؟ أي: ما تعيبون علينا إلا أننا مؤمنون بما أنزل علينا من القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: قبل القرآن كالتوراة والإنجيل، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله؛ لذلك تحسدونا على ما فضّلنا الله به عليكم^(١)، ثم أمر الله نبيه أن يقول لهم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: أخبركم ﴿بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ﴾ أي: بشرّ من حسدكم لنا عقوبةً، وهم من لعنه الله، وغضب عليه من أسلافكم، وجعل منهم القردة والخنازير؛ أي مسخّهم؛ كأصحاب السبت، وجعل من أسلافكم من عبد الطاغوت؛ كالذين عبدوا العجل، فإن هؤلاء شرّ منكم، وأساء عاقبة، وأضلّ عن سواء السبيل. ثم أخبر تعالى عن المنافقين من اليهود الذين كانوا حول المدينة؛ فقال الله عنهم: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ المعنى: أنهم يُظهرون لكم الإيمان، والكفر لازم لقلوبهم حضروا أو غابوا. وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ المراد: أن أمرهم لا يخفى على الله وإن خفي عليكم، وفيه تهديد لهم بالعقاب على كفرهم ونفاقهم، ثم أخبر تعالى

(١) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٤٤٤)، والتحرير والتنوير (٦/ ٢٤٤).

بأن من صفات هؤلاء المنافقين أنهم ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾ أي: المعاصي^(١)، ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾؛ وهو الظلم بالاعتداء على الخلق ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾؛ وهو المكاسب المحرمة كالربا والرشا^(٢)، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾، ثم ذمَّ الله أعمالهم القبيحة؛ فقال تعالى: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم أنكر تعالى على علمائهم أنهم لم ينهوهم عن قول الإثم وأكل السحت، وكان ذلك هو الواجب عليهم؛ فقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ رَبِّيونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ذمٌّ للربانيين والأحبار في ترك النهي عن قول الإثم وأكل السحت.

ونزل، لما قال اليهود للنبي ﷺ: «بمن تؤمن من الرُّسل»؟ فقال: «بالله وما أنزل إلينا» الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: «لا نعلم ديناً شراً من دينكم» ﴿قُلْ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، هَلْ تَنقِمُونَ﴾: تُنكرون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء، ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾؟ عطف على «أَنْ آمَنَّا». المعنى: ما تُنكرون إلا إيماننا ومُخالفتكم في عدم قبوله، المعبر عنه بالفسق اللازم عنه. وليس هذا ممَّا يُنكَر. ﴿قُلْ: هَلْ أَنْبِئُكُمْ﴾: أُخبركم ﴿بِشَرٍّ مِنْ﴾ أهلِ ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تَنقِمُونه، ﴿مَثُوبَةٌ﴾: ثواباً بمعنى: جزاء ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾؟ هو ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعده عن رحمته ﴿وَعَضِبَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ، ﴿و﴾ مَنْ ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: الشيطان بطاعته. وراعى في «منهم» معنى «مَنْ» وفيما قبله لفظها - وهم اليهود - وفي قراءة بضم باء

(١) وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومقاتل، واختاره الطبري. ينظر: تفسير مقاتل (١/٤٨٩)، والطبري (٨/٥٤٨)، وزاد المسير (١/٥٦٥).

(٢) تنظر: (ص ٨١).

«عَبْدٌ» وإضافته إلى ما بعده، اسم جمع لعَبْد، ونصبه بالعطف على «الْقِرْدَةَ». ﴿أَوْلَيْكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾: تمييزٌ، لَأَنَّ مَاوَاهِمِ النَّارِ، ﴿وَأَضَلُّ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحقِّ. وأصل السواء: الوسط. وذكِرَ «شَرٌّ وَأَضَلُّ» في مقابلة قولهم: لا نعلم دينًا شرًّا من دينكم. ﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ﴾ أي: منافقو اليهود ﴿قَالُوا: آمَنَّا، وَقَدْ دَخَلْنَا﴾ إليكم مُلتبسين ﴿بِالْكُفْرِ، وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندكم مُلتبسين ﴿بِهِ﴾، ولم يؤمنوا - ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾- من النفاق - ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي: اليهودِ ﴿يُسَارِعُونَ﴾: يقعون سريعًا ﴿فِي الْإِثْمِ﴾: الكذب، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظلم، ﴿وَأَكْلِهِمِ السُّحْتِ﴾ الحرام كالرُّشَا. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾- عملهم هذا! ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يَنهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ منهم، ﴿عَنْ قَوْلِهِمِ الْإِثْمَ﴾: الكذب ﴿وَأَكْلِهِمِ السُّحْتِ﴾. لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿- ترك نهيهم!

وقول المؤلف: (ونزل...) إلى آخره: بيان لسبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا...﴾ الآية^(١).

وقوله: (تُنكرون) بيان لمعنى: ﴿تَنْقُمُونَ﴾ أي: تعيبون علينا^(٢).

وقوله: (إلى الأنبياء): بيان للمراد بما أنزل من قبل.

وقوله: (عطفٌ على «أَنْ آمَنَّا»...) إلى آخره: يريد أن جملة ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ

فَاسِقُونَ﴾ معطوفة على المصدر المؤول في قوله: ﴿أَنْ آمَنَّا﴾، ثم عبر عن ذلك

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ٢٠١).

(٢) ينظر: الكشَّاف (٢/٢٦٠)، والبحر المحيط (٤/٣٠٣).

بقوله: «المعنى ...» إلى آخره^(١). وقوله: (وليس هذا مما يُنكر): يريد أن الإيمان بالله وبما أنزل ومخالفة مَنْ لا يؤمن به ليس مما يُنكر فتتقونه علينا.
 وقوله: (أهل): بيان للمفضل عليه في الشر؛ وهم المؤمنون، فإنهم شرٌّ عند أهل الكتاب كما تقدم في سبب النزول.
 وقوله: (الذي تَنقِمُونَه): بيان لمرجع اسم الإشارة؛ وهو الإيمان بالله، وبما أنزل من القرآن، وبما أنزل من قبل.
 وقوله: (ثواباً بِمَعْنَى: جزاء): بيان لمعنى ﴿مَثُوبَةٌ﴾، وفَسَّرَ المثوبة بالجزاء^(٢)؛ لأن المراد بها في هذا السياق العقوبة^(٣).
 وقوله: (هو): تقدير لمبتدأ خبره الموصول في قوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ وما عَطَفَ عليه.

وقوله: (أبعده من رحمته): تفسير لقوله: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾^(٤).
 وقوله: (بالمسخ) أي: بتغيير صورهم إلى صور القرود والخنازير^(٥).
 وقوله: (مَنْ): تقدير للموصول المعطوف على مَنْ الأولى.
 وقوله: (الشیطان بطاعته): بيان للمراد بالطاغوت، وبما تكون عبادته^(٦).
 وقوله: (وراعى في «منهم»...) إلى آخره: يريد أن الضمير العائد إلى الموصول جاء أولاً مفرداً ثم جاء جمعاً؛ فالإفراد فيه مراعاة «مَنْ»، وفي الجمع مراعاة معناها^(٧)، والمراد بالموصول هم اليهود.

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٤٧)، والدر المصون (٤/٣٢٠).

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر للدماغاني (ص ١٤٧).

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٥/٣٨٧)، والكشاف (٢/٢٦١).

(٤) تنظر: (ص ٣٩).

(٥) ينظر: لسان العرب (٣/٥٥).

(٦) ينظر: شرح الأصول الثلاثة لشيخنا (ص ٥٦-٥٨).

(٧) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/٢٣١)، والدر المصون (٤/٣٢٦).

وقوله: (وفي قراءةٍ...) إلى آخره: يشير إلى أن في «عَبَدَ» قراءتين؛ بفتح العين والباء، وبفتح العين، وضم الباء^(١)، وهو في القراءة الثانية اسم جمع مضاف إلى ما بعده، وهو الطاغوت، ووجهُ نصبه أنه معطوف على ﴿الْقَرَدَةَ﴾، والناصب فعل «جَعَلَ»^(٢).

وقوله: (تمييزٌ): بيان لإعراب ﴿مَكَانًا﴾، وأنه شرٌّ مكان، وهو النار.
 وقوله: (طريق الحق...) إلى آخره: بيان للمراد بالسبيل والسواء، ثم بيان للمقصود بذكر أفعال التفضيل في قوله: ﴿شَرُّ﴾، ﴿وَأَضَلُّ﴾، وهو الرد على اليهود في قولهم للمسلمين: «لا نعلم دينًا شرًّا من دينكم» كما تقدم في سبب النزول^(٣).

وقوله: (منافقو اليهود): بيان للمراد بالضمير المرفوع في «جاؤوا».
 وقوله: (إليكم مُلتبسين) بيان لمعنى الباء في قوله: ﴿بِالْكَفْرِ﴾، وهو الملازمة^(٤).

وقوله: (من عندكم مُلتبسين): يريد أن المنافقين دخلوا إلى المسلمين، وخرجوا من عندهم مُلتبسين بالكفر، فالكفر مصاحبهم دخلوا أو خرجوا.
 وقوله: (ولم يؤمنوا): يريد أنهم مستمرّون على كفرهم.
 وقوله: («يَكْتُمُونَ»ه من النفاق): يريد أن الجملة على تقدير ضمير منصوب بعد الفعل المضارع يعود إلى الموصول، وتقدير مبين للإبهام في الموصول قدره المؤلف بقوله: (من النفاق)^(٥).

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٥).
 (٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٤٨)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٣) تنظر: (ص ١١٣).

(٤) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٤٦٧)، والبحر المحيط (٤/ ٣١٠).

(٥) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٤٥٠)، والبحر المحيط (٤/ ٣١١).

وقوله: (أي: اليهود): تفسير للضمير المجرور ﴿مِنْهُمْ﴾، ولو قال من اليهود المنافقين؛ كان أولى^(١).

وقوله: (يقعون سريعاً): يريد أن مسارعتهم بقلوبهم لا بأبدانهم.

وقوله: (الكذب): فسّر ﴿الْإِثْمَ﴾ بالكذب مع أن الإثم عام في المعاصي؛ لأن الكذب أصلُ النفاق، ودأبُ المنافقين.

وقوله: (الظلم): تفسير «العدوان»؛ لأن العدوان لا ينفك عن الظلم؛ لأنه اعتداء على الخلق في دمائهم وأموالهم وحقوقهم.

وقوله: (الحرام): تفسير لـ ﴿السُّحْتِ﴾، وهو عام في جميع المكاسب المحرمة كالربا والرشا^(٢).

وقوله: («يَعْمَلُونَ»ه): فيه تقدير العائد إلى الموصول، وهو الضمير المنصوب.

وقوله: (عملهم هذا!): تقدير المخصوص بالذنب.

وقوله: (هلاً): يبين أن ﴿أُولَئِكَ﴾ للتحضيض^(٣).

وقوله: (منهم): يريد من اليهود.

وقوله: (الكذب): تقدّم وجه تفسير الإثم بالكذب قريباً.

وقوله: («يَصْنَعُونَ»ه تركٌ نهيهم!): فيه تقدير العائد إلى الموصول، وهو

الضمير المنصوب، وتقدير المخصوص بالذنب، وهو تركُهم النهي.



(١) والمراد - كما قال شيخنا حَفِظَهُ اللهُ في التفسير - المنافقون من اليهود الذين كانوا حول

المدينة، وذكره المؤلف أيضاً، وينظر: تفسير الطبري (٨/٥٤٦).

(٢) تنظر: (ص ٨١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/٥٥٠)، والتفسير البسيط (٧/٤٥١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة].

يخبر تعالى عن مقالة شنعاء قالتها اليهود فيها سب لله، ونعت له بالبخل؛ قالت: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي: عن البذل، ثم أخبر تعالى بغل أيديهم ولعنهم بسبب مقالتهن؛ فقال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيَهُمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾، ثم أكذبهم فيما نسبوه لله؛ فقال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: بالعطاء والجود^(١). وقوله: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي: لا شيء يحد من إعطائه، فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ثم أخبر تعالى خبراً مؤكداً بأن كثيراً منهم سيزيدهم ما أنزل إليك من ربك - وهو القرآن - يزيدهم طغياناً وكفراً؛ بتكذيبهم وإعراضهم وعنادهم، وأن الله ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، ثم أخبر تعالى أنهم كلما أوقدوا ناراً للحرب على المسلمين أطفأها الله، وأبطل كيدهم، وأخبر أنهم يسعون في الأرض فساداً من حربهم للمسلمين، والصد عن سبيل الله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ومنهم اليهود، فالله لا يحبهم؛ بل يغضب عليهم، ولذا هم المغضوب عليهم^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ يقول تعالى: لو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بالله ورسوله، وما أنزل على رسوله، واتقوا ربهم بترك

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥٥٢/٨)، وابن كثير (١٤٥/٣).

(٢) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (٢٩/١).

الكفر والمعاصي؛ لكفر الله عنهم سيئاتهم ولأدخلهم الجنة، فإن هذا جزء كل من آمن واتقى. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ﴾ بالعمل بما فيها؛ لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض فأكلوا من فوقهم مما ينزله تعالى من السماء، ومن تحت أرجلهم مما يخرج الله من الأرض من الأشجار والثمار. وقوله تعالى: ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: من أهل الكتاب أمة مقتصدة؛ أي: مستقيمة على الدين^(١)، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أكثرهم أعمالهم سيئة، ويشهد لهذه الآية قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران]^(٢).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾، لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي، بعد أن كانوا أكثر الناس مالا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾: مقبوضة عن إدرار الرزق علينا - كنوا به عن البخل - تعالى عن ذلك. قال تعالى: ﴿عَلَّتْ﴾: أمسكت ﴿أيديهم﴾ عن فعل الخيرات، دعاء عليهم، ﴿ولعنوا بما قالوا. بل يدها مبسوطتان﴾: مبالغة في الوصف بالجود. وثني اليد لإفادة الكثرة، إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي يديه. ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق؟ لا اعتراض عليه. ﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك﴾، من القرآن، ﴿طغيانا وكفرا﴾ لكفرهم به. ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾. فكل فرقة منهم تخالف الأخرى. ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب﴾ أي: لحرب النبي ﴿أطفأها الله﴾ أي: كلما أرادوه رددهم. ﴿ويسعون في الأرض فسادا﴾ أي: مفسدين بالمعاصي. ﴿والله لا يحب المفسدين﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥٦٥/٨)، والتفسير البسيط (٤٦٧/٧).

(٢) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١٨٣/٢).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ بِمُحَمَّدٍ، ﴿وَاتَّقُوا﴾ الْكُفْرَ، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِمَا، وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ مِنَ الْكُتُبِ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ، لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، بِأَنْ يُوسَّعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ وَيَفِيضَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾: جَمَاعَةٌ ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ تَعْمَلُ بِهِ - وَهِيَ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ - ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ﴾: بَسَسَ ﴿مَا﴾ شَيْئًا ﴿يَعْمَلُونَ﴾! ﴿

وقول المؤلف: (لَمَّا ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ...) إلى آخره: يبين بذلك الحامل لليهود على هذه المقالة^(١).

وقوله: (مقبوضة...) إلى آخره: بيان لمراد اليهود بقولهم: ﴿يَدَّاللَّهُ مَغْلُوبَةً﴾ وهو البخل؛ لذلك قالوا: لا يعطينا من الخير ما نريد.

وقوله: (قال تعالى): ليبين أن ﴿غَلَّتْ﴾ و﴿وَلَعُنُوا﴾ من قول الله تعالى. وقوله: (أُمِسِّكَتْ...) إلى آخره: بيان لمعنى ﴿غَلَّتْ﴾^(٢)، وبيان للغرض من الجملة، وهو الدعاء عليهم^(٣).

وقوله: (مُبَالِغَةٌ فِي الْوَصْفِ بِالْجُودِ...) إلى آخره: بيان لما يفيد لفظ «البسط»؛ وهو الجود وكثرة العطاء، وكذا تثنية اليدين، فالعطاء باليدين أدلُّ على الجود من العطاء بيد واحدة، هذا هو المعقول عند ذوي العقول، والله تعالى هو أجود الأجودين، وأكثر المنفقين، وأدومهم عطاءً، وفي الآية إثبات

(١) ينظر: التلخيص في تفسير القرآن العزيز للكواشي (٢/ ٥٤).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٦١٠).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٧٩٩)، والمححر الوجيز (٣/ ٢١٠).

يدين اثنتين لله؛ كقوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥]؛ ففي الآيتين ثنية يد، لكن في آية المائدة المشنى مرفوع بالألف لأنه مبتدأ، وآية «ص» مجرور بالباء، وعلامة الجر الياء^(١).

وقوله: (من توسيع وتضييق؟): بيان لما تتعلق به مشيئته تعالى، ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر، وأنه تعالى لا مُعَقَّب لحكمه ولا راد لقضائه؛ لكمال حكمته.

وقوله: (من القرآن): بيان للموصول.

وقوله: (لكفرهم به): بيان لسبب زيادة طغيانهم وكفرهم.

وقوله: (فكل فرقة منهم تُخالف الأخرى): بيان لسبب ما بينهم من عداوة وبغضاء.

وقوله: (لحرب النبي): لو قال لحرب المسلمين كان أولى؛ ليعم من جاء من اليهود بعد النبي^(٢)، ولا يدخل في الآية حربهم لغير المسلمين^(٣).

وقوله: (كلما أرادوه ردّهم) أي: أرادوا النبي، وهذا مبني على تقييد الحرب بحربهم للنبي، والصواب: أنهم كلما أرادوا حرب المسلمين ودبروا لذلك؛ أبطل الله تدبيرهم، فلم يبلغوا مرادهم، ولم يتم أمرهم.

وقوله: (مُفسدين بالمعاصي): لأن المعاصي أعظم فسادًا في الأرض.

وقوله: (بمعنى أنه يُعاقبهم): هذا تأويل لنفي المحبة بالعقاب، وهو يتضمّن تفسير المحبة بالثواب، وهو مبني على نفي حقيقة المحبة عن الله، وهو خلاف مذهب أهل السنة^(٤).

(١) ينظر الفرق بين الآيتين من جهة اللفظ والمعنى في: شرح العقيدة التدمرية (ص ٣١٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص ٢٣٧).

(٣) ينظر الخلاف في: تفسير الطبري (٨/ ٥٥٩)، وزاد المسير (١/ ٥٦٦).

(٤) تنظر: (ص ٨٨).

وقوله: (بِمُحَمَّدٍ): بيان لمتعلق الإيمان الذي هو شرط دخول أهل الكتاب الجنة.

وقوله: (الْكُفْرَ): بيان لمتعلق التقوى، وهو مفعول ﴿وَاتَّقُوا﴾، وبهذا التفسير يكون ذكر التقوى تأكيداً لـ ﴿ءَامِنُوا﴾، ولو قال: «اتقوا ربهم بترك الذنوب»؛ كان أولى^(١).

وقوله: (بالعمل...): إلى آخره: بيان لما تتحقق به إقامة التوراة والإنجيل، وهو العمل بما فيهما.

وقوله: (من الكتب): بيان للمراد بالمنزل إليهم.

وقوله: (بأن يُوسَّعَ عليهم...): إلى آخره: بيان لمعنى ﴿لَا تَكَلُّوا مِنْ قُوَّهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

وقوله: (جماعة): تفسير ﴿أُمَّةٌ﴾، وهو أحد معاني «أمة» في القرآن^(٢).

وقوله: (تعمل به...): إلى آخره: أي تعمل بما أنزل إليهم من ربهم، ومن هذه الأمة المقتصدية عبد الله بن سلام، وأمثاله.

وقوله: (بئس): تفسير لـ ﴿سَاءَ﴾، وهو فعل ذم.

وقوله: (شيئاً): تمييز، والاسم الموصول فاعل، والمخصوص بالذم عملهم، والضمير المنصوب في عبارة المؤلف هو عائذ الموصول.



(١) ينظر: تفسير الطبري (٥٦١ / ٨)، وابن كثير (١٤٧ / ٣).

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر للعسكري (ص ٣١)، ونزهة الأعين النواظر (ص ١٤٢).

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصِرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ [المائدة].

يأمر الله رسوله بتبليغ جميع ما أنزل إليه من الكتاب والحكمة، فهذا هو موجب الإرسال؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، وأنه ﷺ إن ترك بعض ما أنزل إليه لم يبلغه لم يكن مبلغًا لرسالة ربه، إذ لا بد من تبليغ جميعه، ثم وعده تعالى أن يعصمه من الناس فلا يضُرُّه أحد من أعدائه، فعليه أن يتوكل على الله ولا يتخذ حرسًا^(١)؛ فإن الله كافيه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا يهديهم طريق الرشده، فلا يزالون في ضلال في جميع أمورهم، وهذا يدل على أنه تعالى هو الذي يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، ويهدي مَنْ يَشَاءُ، وأن للهدى والضلال أسبابًا، فمن اهتدى زاده الله هدى، وهو سبحانه لا يهدي القوم الكافرين، ثم أمر الله نبيه أن يقول لأهل الكتاب: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين الحق ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، وكل ما أنزل إليكم من ربكم بالإيمان والعمل بهما، ثم أخبر الله رسوله خبرًا مؤكدًا أن كثيرًا من أهل الكتاب سيزيدهم ما أنزل الله

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ٢٠٢).

على رسوله من الكتاب والحكمة طغياناً وكفراً بجحدهم له، وتكذيبهم به، ثم نهاه عن الحزن على الكافرين منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

ثم أخبر تعالى عن أصحاب الملل - المؤمنين واليهود والصابئين والنصارى - أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وعمل صالحاً؛ فلهم أجرٌ عند الله، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. ثم أخبر تعالى أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل، وأرسل إليهم رسلاً، وأنهم كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم كذبوا بعضهم، وقتلوا بعضهم، وذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ وأنهم ظنوا أن لا يُفْتَنُوا؛ أي: لا تصيبهم فتنة؛ أي: عقوبةٌ على قبيح فعلهم^(١)، فعموا وصموا عن آيات الله، وأن الله تاب عليهم، ثم عموا وصموا كثيرٌ منهم مرّةً أخرى فعبدوا العجل، ثم تابوا فتاب الله عليهم وعفا عنهم، ثم عصوا موسى حين أمرهم بدخول الأرض المقدسة حتى قالوا لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة]، وهذا يفسر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ معناه: لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجزئهم بها، وفي ذلك تهديد ووعد لهم جزاء على إعراضهم عن آيات الله، وتكذيبهم لرسول الله، وقتلهم من قتلوا من أنبياء الله.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، بَلِّغْ﴾ جميع ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ولا تكتم شيئاً منه خوفاً أن تُنال بمكروه - ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لم تُبلِّغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، بالإنفراد والجمع، لأنّ كتمان بعضها كتمان

(١) ينظر: التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي (٥/٤٤٥)، وتفسير السعدي (ص ٢٣٩).

(٢) وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الرازي (١٢/٤٠٧)، وأبي السعود (٣/٦٤-٦٥).

كُلَّهَا- ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾ أن يقتلوك. وكان ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ، فَقَالَ: «انصِرْفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ». رواه الحاكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. ﴿قُلْ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدِّينِ مُعْتَدِّ بِهِ، ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، بَأَنْ تَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ. وَمِنَ الْإِيمَانِ بِي. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لِكُفْرِهِمْ بِهِ. ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: تَحْزَنُ ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِكَ، أَيْ: لَا تَهْتَمَّ بِهِمْ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هُمُ الْيَهُودُ: مَبْتَدَأُ ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾: فِرْقَةٌ مِنْهُمْ ﴿وَالنَّصَارَى﴾، وَيُبَدَلُ مِنَ الْمَبْتَدَأِ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ مِنْهُمْ ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿فِي الْآخِرَةِ: خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ، وَدَالٌّ عَلَى خَيْرِ «إِنَّ»﴾. ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ ﴿مِنَ الْحَقِّ كَذَّبُوهُ،﴾ ﴿فَرِيقًا﴾ مِنْهُمْ ﴿كَذَّبُوا، وَفَرِيقًا﴾ مِنْهُمْ ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كَزَكَرِيَاءَ وَيَحْيَى -وَالْتَعْبِيرُ بِهِ دُونَ «قَتَلُوا» حِكَايَةً لِلْحَالِ الْمَاضِيَةِ، لِلْفَاصِلَةِ- ﴿وَحَسِبُوا﴾: ظَنُّوا ﴿أَنْ لَا تَكُونَ﴾ -بِالرَّفْعِ وَ«أَنْ» مَخْفَفَةٌ، وَالنَّصْبُ فِيهَا نَاصِبَةٌ- أَيْ: تَقَعُ ﴿فِتْنَةٌ﴾: عَذَابٌ بِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِ الرِّسْلِ وَقَتْلِهِمْ، ﴿فَعَمَّوْا﴾ عَنِ الْحَقِّ فَلَمْ يُبْصِرُوهُ، ﴿وَصَمَّوْا﴾ عَنِ اسْتِمَاعِهِ، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لَمَّا تَابُوا، ﴿ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا﴾ ثَانِيًا ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾: بَدَلَ مِنَ الضَّمِيرِ. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، فَيَجَازِيهِمْ بِهِ.

وقول المؤلف: (جميع): بيان لما يفيدُه الموصول من العموم.

وقوله: (ولا تكتم...) إلى آخره: هذا تفصيل لما يفيدُه الموصول من العموم.

وقوله: (أي: لم تُبلِّغ جميع ما أنزل إليك): هذا تقديرٌ لمفعول ﴿تَفَعَّلَ﴾. وقوله: (بالإفراد والجمع...) إلى آخره: يشير إلى أنه قُرئ بالإفراد «رسالة»، وبالجمع «رسالات»^(١). وقوله: (لأنَّ كِتْمَانَ بَعْضِهَا كِتْمَانُ كُلِّهَا): إشارة إلى الجواب عن استشكال اتحاد الشرط، وجوابه في قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ﴾ وحاصل المعنى: إن لم تُبلِّغ جميع ما أنزل إليك بل تركت تبليغ بعضه؛ فحُكِمَ حُكْمَ مَنْ لَمْ يَبْلِغْ شَيْئًا، فَإِنَّ تَرْكَ تَبْلِيغِ بَعْضِ الْمُنْزَلِ؛ كترك تبليغ جميعه^(٢).

وقوله: (أن يقتلوك): بيان لمتعلق العصمة؛ وهو القتل، وهذا تقييدٌ يخالف ظاهر الآية، فإن الله وعد نبيّه بالعصمة من جميع الناس ممَّن يريدُه بسوء^(٣).

وقوله: (وكان صلى الله عليه وسلم...) إلى آخره: بيان لما كان يفعله ﷺ من اتخاذ الحرس، حتى نزلت هذه الآية^(٤).

وقوله: (من الدين مُعتدُّ به): بيان للأمر المنفي عن أهل الكتاب، وهو الدين المعتدُّ به؛ أي: المقبول.

وقوله: (بأن تعملوا...) إلى آخره: بيان لما تحصل به إقامة التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم.

وقوله: (من القرآن): بيان للمراد بالموصول.

- (١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٥).
 (٢) ينظر: الكشَّاف (٢/ ٢٧٠)، والبحر المحيط (٤/ ٣٢١-٣٢٢).
 (٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٧١-٥٧٢)، والمحور الوجيز (٣/ ٢١٧-٢١٨).
 (٤) أخرجه الحاكم (٣٢٢١) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وصححه، وصححه أيضًا الترمذي (٣٠٤٦)، وينظر: الصحيحة (٢٤٨٩).

وقوله: (لِكُفْرِهِمْ بِهِ): بيان لسبب زيادة كفرهم وطغيانهم بما أنزل على الرسول.

وقوله: (تَحْزَنُ): تفسير ﴿تَأْسٌ﴾، ومن معاني الإيأس: الحزن^(١).
وقوله: (إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِكَ...): إلى آخره: توضيح لمعنى النهي عن الحزن عليهم.

وقوله: (هم اليهود): بيان للمراد بالذين هادوا.
وقوله: (مبتدأ): يريد أصله مبتدأ، وهو في الجملة اسم ﴿إِنَّ﴾.
وقوله: (فرقة منهم): يريد أن «الصابئون» فرقة من اليهود^(٢).
وقوله: (ويُبدل من المبتدأ): كأنه يريد أن «النصارى» بدل من اسم ﴿إِنَّ﴾، وأحسن ما يقال: أن «النصارى» مرفوعٌ عطفاً على «الصابئون»، و«الصابئون» مرفوع عطفاً على اسم ﴿إِنَّ﴾ بعد خبرها، على مثل قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]^(٣).
وقوله: (منهم) تقدير لرباط جملة الخبر.

وقوله: (في الآخرة...): إلى آخره: يريد أن الأجر المذكور هو الأجر في الآخرة، وأن جملة «لهم أجرهم» خبر مبتدأ الذي هو ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ﴾

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٧٧).

(٢) وفي موضع آخر قال: «طائفة من اليهود أو النصارى». ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١/١٤٦).

والصابئ: هو المستحدث سوى دينه ديناً؛ كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئاً. والصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، وهذا بخلاف المجوس والمشركين فإنه ليس فيهم مؤمن، وقد ذكر في معنى الصابئين نحو سبعة أقوال. ينظر: تفسير الطبري (٢/٣٤)، وزاد المسير (١/٧٣)، والرد على المنطقيين (ص ٣٣٤).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٥١)، والدر المصون (٤/٣٥٣).

ءَأَمَّنَ ﴿١﴾، يقول: (ودالّ على خبر «إِنَّ»): وخبر ﴿إِنَّ﴾ هو الجملة الشرطية، وهي قوله: ﴿مَنْ ءَأَمَّنَ﴾ إلى آخر الآية^(١).

وقوله: (على الإيمان بالله ورسوله) بيان لمتعلق الميثاق.

وقوله: (منهم) أي: من الرسل.

وقوله: (من الحقّ كذبوه): يريد فريقاً من الرسل، وهم الذين كُذِّبوا،

ولم يُقتلوا.

وقوله: (منهم) أي: من الرسل.

وقوله: (منهم) أي: من الرسل^(٢).

وقوله: (كزكرياء...) إلى آخره: يريد أن زكريا ويحيى ممّن قُتل^(٣)، ثم

ينبّه على سبب اختلاف اللفظ في الخبر عن الفريقين، فعبر عن الفريق الأول

بالفعل الماضي ﴿كَذَّبُوا﴾، وفي الفريق الثاني بالمضارع ﴿يَقْتُلُونَ﴾، ولم

يقال «قُتِلُوا»؛ قال: رعاية للفاصلة - وهو رأس الآية - ليتناسب آخر الآيات^(٤).

وقوله: (ظنّوا): تفسير ﴿وَحَسِبُوا﴾ فالحسبان ظنّ^(٥).

وقوله: (بالرفع...) إلى آخره: يشير إلى قراءتين في الفعل المضارع

﴿تَكُونُ﴾ بالرفع والنصب^(٦)؛ فعلى قراءة الرفع تكون «أن» هي المخففة، وعلى

النصب تكون «أن» هي المصدرية الناصبة للفعل^(٧).

(١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٤٧٤)، والدر المصون (٤/ ٣٦٣).

(٢) هذا ليس تكراراً للجملة السابقة؛ بل شرح لعبارات أخرى من المتن، فليعلم.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٤٩٤)، والبداية والنهاية (٢/ ٤١١).

(٤) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٤٧٦)، وحاشية الطيبي على الكشّاف (٥/ ٣٣٨).

(٥) هذا على قراءة نصب «تكون». ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٣٣)، والدر المصون

(٤/ ٣٦٨).

(٦) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٥).

(٧) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٣٣)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٥٢).

وقوله: (عذاب بهم...) إلى آخره: فسّر الفتنة بالعذاب، وجعل فعل ﴿تَكُونُ﴾ مضمّن معنى «تقع»، ولهذا قال: (بهم)^(١)، وبين الموجب للعذاب، وهو تكذيب الرسل وقتلهم، وتقدير الكلام: وظن هؤلاء الذين كذّبوا وقتلوا ألا يقع بهم عذاب.

وقوله: (عن الحق...) إلى آخره: يريد أن المعنى لم يروا الحق ولم يستمعوا له؛ عقوبة على قبيح حالهم وأفعالهم.

وقوله: (لَمَّا تابوا): يريد أنهم لما تابوا قبل الله توبتهم.

وقوله: (ثانياً): يريد أنهم عموا وصمّوا مرة أخرى بعد توبتهم.

وقوله: (بدل من الضمير): يريد أن ﴿كَثِيرٌ﴾ بدل من الضمير المرفوع، وهو الواو في ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾^(٢).

وقوله: (فيجازيهم به): يريد أن قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾ متضمنٌ للوعيد بمجازاتهم على أعمالهم السيئة.



(١) ينظر: التفسير البسيط (٧/٤٧٧)، وزاد المسير (١/٥٧١).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٥٣)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٤٧٦-٤٧٧).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٨﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ اتَّعَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة].

يحكم تعالى بالكفر على الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فزعموا أن الإله هو المسيح فأكذبهم الله، فأخبر أن المسيح أمرهم بعبادة الله وحذرهم من الشرك، وأن المشرك حرامٌ عليه دخول الجنة ومأواه النار، وأن المشركين ظالمون، وأن الظالمين لا يُنصرون. ثم أخبر تعالى عن الذين قالوا من النصارى: إن الله ثالثُ ثلاثة؛ بأنهم كفرون، والثلاثة؛ قيل: المراد بهم ما تقوله النصارى من الأقانيم الثلاثة، وقيل: قولهم: المسيح وأمه إلهان مع الله^(١).

ثم أخبر تعالى أن الإله الحق لا يكون إلا واحداً، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، ثم هددهم إن لم ينتهوا عن شركهم بعذاب أليم، ثم دعاهم إلى التوبة والاستغفار من كفرهم وشركهم، فإن الله غفور رحيم، ثم أخبر أن المسيح رسولٌ قد مضى قبله أكثرُ الرسل، وأمه صديقةٌ، وكلاهما يأكل الطعام، ومن يأكل الطعام لا يكون إلهاً؛ لأن الإله غنيٌّ، ومن يأكل الطعام مُفتقرٌ إلى ما يأكل. ثم أمر الله نبيه، وكل من يعقل الخطاب أن ينظر في هذا البيان، وكيف يُصرفون عنه. ثم أمر الله نبيه أن يقول للمشركين منكرًا عليهم: ﴿اتَّعَبُدُونَ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/٥٧٩)، وابن كثير (٣/١٥٨).

من دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾، وهذه الآيات والتي بعدها إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة] عرض لقبائح النصارى بعد ذكر قبائح اليهود، وكلُّ هذا ذمُّ لهم، وتنفيِّر للمؤمنين عن توليهم، ولهذا صُدِّرت هذه الآيات في ذم اليهود والنصارى بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ﴾ - سبق مثله -
 ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الْمَسِيحُ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾. فَإِنِّي عبد ولسْتُ بآله. ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غَيْرَهُ ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾: منعه أن يدخلها، ﴿وَمَا وَاهُ النَّارُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾: زائدة ﴿أَنْصَارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله. ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحدها، والآخرا ن عيسى وأمه. وهم فرقة من النصارى. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحّدوا، ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: ثبّتوا على الكفر، ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، وهو النار. ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ ممّا قالوا - استفهام توبيخ - ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب. ﴿رَحِيمٌ﴾ به؟ ﴿مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ، قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ - فهو يمضي مثلهم وليس بآله، كما زعموا. وإلا لما مضى - ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: مُبالغة في الصّدق. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كغيرهما من الحيوانات. ومن كان كذلك لا يكون إلهاً، لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط. ﴿انظُرْ﴾ متعجباً: ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ على وحدانيّتنا؟ ﴿ثُمَّ انظُرْ: أَنَّى﴾: كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحقّ، مع قيام البرهان؟ ﴿قُلْ: أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ ﴿ أَي: غَيْرَهُ ﴾ ﴿ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾
لَأَقْوَالِكُمْ ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأحوالكم؟ والاستفهام للإنكار.

وقول المؤلف: (سبق مثله): يشير إلى ما تقدم في أول السورة آية «١٧»،
ويريد الرجوع إلى ما قاله هنا^(١).

وقوله: (لهم) أي: للنصارى.

وقوله: (فإني عبد ولست بآله): بيان لما يدل عليه قول المسيح: ﴿ أَعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾، وهو أنه عبد لله، والله ربه.

وقوله: (في العبادة غيره): بيان لمتعلق الشرك ومحلّه.

وقوله: (منعه أن يدخلها): تفسير ﴿ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾.

وقوله: (زائدة): يريد أنها حرف جيء به لتأكيد العموم.

وقوله: (يمنعونهم من عذاب الله): بيان لمعنى النصرة.

وقوله: (آلهة): بيان للمراد بالمعدود.

وقوله: (أي: أحدها...) إلى آخره: بيان لمعنى ﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾؛ فالله أحد

الثلاثة بزعمهم، والأمران الآخران عيسى وأمه.

وقوله: (من التثليث ويوحّدوا): بيان لما يراد الانتهاء عنه وهو التثليث.

وقوله: (تَبَتُّوا عَلَى الْكُفْرِ): لأن الكلام خبرٌ عن كفار^(٢)، فلا بد من المغايرة

في المراد بالكفر في الموضع الأول والآخر^(٣).

وقوله: (مؤلم، هو النار): تفسير للعذاب بعذاب الآخرة.

(١) تنظر: (ص ٤٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٩٦)، والكشاف (٢/٢٧٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٨/٥٨٠).

وقوله: (مما قالوا): بيان لمتعلق الاستغفار والتوبة.
 وقوله: (استفهام توبيخ): يريد قوله: ﴿أَفَلَا﴾، وعلى قوله فالفاء عاطفة
 على فعل مقدر، وتقديره: أثبتون على الكفر فلا يتوبون، والاستفهام للتعجب،
 ويُحتمل أن الفاء استئناف، و«ألا» عرض يتضمن التحضيض على التوبة، فلا
 استفهام حينئذ^(١).

وقوله: (لمن تاب): بيان لمن يستحق المغفرة؛ وهو التائب.

وقوله: (به؟) أي: بمن تاب.

وقوله: (مضت): تفسير ﴿خَلَّتْ﴾^(٢).

وقوله: (فهو يمضي...) إلى آخره: أي يذهب كما ذهبوا، فهو مثلهم بشر
 ليس بإله كما أنهم كذلك.

وقوله: (مبالغة في الصدق) أي: كاملة التصديق بالحق، وكاملة الصدق
 في أقوالها وأفعالها^(٣).

وقوله: (كغيرهما...) إلى آخره: لو قال: «من الناس» بدل الحيوانات
 كان هو اللائق، ولو اقتصر على ما يدل عليه الأكل من الضعف والحاجة، ولم
 يذكر ما بعده كان أولى^(٤)، فإن الافتقار إلى الأكل كافٍ في بطلان الإلهية،
 وقوله: (لتركيبه وضعفه) أما التعليل باستلزام الضعف فصحيح، وأما التعليل
 باستلزام التركيب فمبني على قول المتكلمين أن الله يمتنع أن يكون مركباً،
 وهو من الألفاظ المجملة التي لا يجوز إثباتها ولا نفيها إلا بعد معرفة مراد

(١) ينظر: الدر المصون (٤/٣٧٧)، والمحزر الوجيز (٣/٢٢٥).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٤٥)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٩٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/١٩٦)، والمحزر الوجيز (٣/٢٢٥).

(٤) ولم يذكر الطبري غيره، والقول الثاني ذكره ابن قتيبة وغيره، أي: نبه بأكل الطعام على
 عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لآكل الطعام من الحدث. ينظر: غريب القرآن (ص ١٤٥)،
 وتفسير الطبري (٨/٥٨٢-٥٨٣).

المتكلم بها؛ فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رُدَّ^(١)، وانظر ما تقدّم من التعليق: آية «١٧١» من سورة النساء^(٢).

وقوله: (مُتَعَجِّبًا): يريد أن الأمر بالنظر يتضمن التعجب من حالهم.
 وقوله: (على وحدائيتنا؟): بيان لمدلول الآيات، وهو أن الله واحدٌ.
 وقوله: (كيف): تفسير لـ ﴿أَنَّى﴾ بعد ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ﴾، وهو استفهام تعجب.
 وقوله: (يُصِرُّونَ...): إلى آخره: تفسير ﴿يُؤْفَكُونَ﴾^(٣)، وبيان للمقتضي للتعجب.

وقوله: (غيره): تفسير ﴿مِنْ دُونِ﴾.
 وقوله: (لأقوالكم): بيان لمتعلق السمع.
 وقوله: (بأحوالكم؟): بيان لمتعلق العلم.
 وقوله: (والاستفهام للإنكار): يريد قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾.



(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٥/٤٤١-٤٤٥)، والصواعق المرسلّة (٣/٩٤٤-٩٤٧).
 (٢) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (٢/٥٩٩).
 (٣) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٥٣٢)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٧٩).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۗ﴾ لُعَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ [المائدة].

يأمر الله نبيه أن ينهى أهل الكتاب، وهم النصارى عن الغلو في الدين؛ وهو مجاوزة الحد المأمور به^(١). وقوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ صفة لمصدر؛ أي: غلوا غير الحق^(٢)، وهي صفة كاشفة فلا يكون لها مفهوم، فإن كل غلو في الدين فهو غير الحق؛ أي: باطل^(٣)، وينهاهم عن اتباع أهواء الضالين المضللين، الذين يدعونهم إلى الغلو في الدين؛ كقولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وذلك من الكفر المبين. ثم أخبر تعالى أنه لعن الذين كفروا من بني إسرائيل فأبعدهم عن رحمته، وأن هذا اللعن أخبر به داود وعيسى ابن مريم **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**، وأن من أسباب ذلك اللعن تماديهم في معاصي الله، ومن ذلك أنهم لا يتناهون عن المنكر الذي يفعلونه، وترك التناهي عن المنكر من أقبح أفعالهم. ثم أخبر تعالى أن من قبيح أفعالهم التي استجلبوا بها سخط الله أن كثيرا منهم يتولون الكافرين، ومن آثار سخط الله عليهم الخلود في العذاب. ثم أخبر تعالى عن

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٦١٣).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٥٤)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٤٧٩).

(٣) ينظر: تفسير سورة المائدة لابن عثيمين (٢/ ٢٢٩).

المنافقين من أهل الكتاب أنهم لو كانوا يؤمنون بالله ورسوله كما يزعمون؛ ما اتخذوا الكافرين أولياء، ولكن غلب الفسق عليهم، فكثير منهم فاسقون.

﴿قُلْ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، ﴿لَا تَغْلُوا﴾: تُجَاوِزُوا
الْحَدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غُلُّوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾، بِأَنْ تَضَعُوا عِيسَى أَوْ تَرْفَعُوهُ فَوْقَ
حَقِّهِ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بَغْلُوهُمْ -وَهُمْ أَسْلَافُهُمْ-
﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: طَرِيقِ الْحَقِّ.
وَالسَّوَاءِ فِي الْأَصْلِ: الْوَسْطُ. ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَلَى
لِسَانِ دَاوُدَ﴾، بِأَنْ دَعَا عَلَيْهِمْ فَمَسَّخُوا قِرْدَةً -وَهُمْ أَصْحَابُ آيَلَةَ- ﴿وَعِيسَى
بَنِ مَرْيَمَ﴾ بِأَنْ دَعَا عَلَيْهِمْ فَمَسَّخُوا خَنَازِيرَ. وَهُمْ أَصْحَابُ الْمَائِدَةِ. ﴿ذَلِكَ﴾
اللَّعْنُ ﴿بِمَا عَصَوْا، وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أَي: لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ
بَعْضًا ﴿عَنْ﴾ مُعَاوَدَةِ ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ. لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هُ فَعَلَهُمْ هَذَا!
﴿تَرَى﴾ -يَا مُحَمَّدَ- ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنَ أَهْلِ مَكَّةَ،
بُغْضًا لَكَ. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾، مِنَ الْعَمَلِ لِمَعَادِهِمُ الْمَوْجِبِ
لَهُمْ، ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ! وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ مُحَمَّدَ، ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ، مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارَ ﴿أَوْلِيَاءَ،
وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

وقول المؤلف: (اليهود والنصارى): بيان للمراد بأهل الكتاب، ولكن الأظهر في هذه الآية أن المراد بهم النصارى كما يدل عليه ما قبلها، فإن الكلام مع النصارى والغلو فيهم أظهر^(١).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٨٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٧).

وقوله: (تجاوزوا الحدَّ): بيان للمراد بالغلو.

وقوله: (غُلِّوا): تقدير المصدر الموصوف بـ ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾.

وقوله: (بأن تضعوا...) إلى آخره: بيان للغلو في شأن عيسى، فاليهود غلِّوا في تكذيبه فوضعوه عن منزلته، والنصارى غلِّوا في تعظيمه فرفعوه فوق منزلته - وهي العبودية والرسالة - فجعلوه إلهًا.

وقوله: (بغلِّوهم...) إلى آخره: بيان للمراد بالذين ضلُّوا من قبل، وهم أسلاف اليهود والنصارى.

وقوله: (من الناس): بيان لا يُحتاج إليه، والضالون والمضلون كلهم من الناس.

وقوله: (طريق الحق...) إلى آخره: بيان للمراد بـ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، ويقول: (والسواء في الأصل الوسط)^(١).

وقوله: (بأن دعا عليهم...) إلى آخره: تفسير لقوله: ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ فعلى تفسيره يكون داود هو الذي لعنهم، والأظهر أن المعنى: أن داود أخبر بلعن الله لهم^(٢)، وقوله: (وهم أصحاب أيلة): يريد أهل القرية الذين احتالوا على الصيد يوم السبت فلعنهم الله ومسخهم قردة، وقد جاء صريحًا أي: اللعن في قوله: ﴿أَوْلَعْنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧].

وقوله: (بأن دعا عليهم...) إلى آخره: الأشبه أن ذلك من الإسرائيليات^(٣)، وأن المراد بلعنهم على لسان عيسى ذكّر لعنهم في الإنجيل، وتنزيل المائدة مختلف فيه^(٤)، ثم لو صح إنزالها فلا يُعلم عن حال بني إسرائيل بعد إنزالها.

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٢٥٨)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٤٤٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٨٦)، والمححر الوجيز (٣/ ٢٢٨).

(٣) ينظر: العقوبات لابن أبي الدنيا (٢٢٦)، وتفسير الألويسي (٣/ ٣٧).

(٤) تنظر: (ص ١٩٠)، (ص ١٩٢).

وقوله: (اللعن): بيان للمراد باسم الإشارة.

وقوله: (لا ينهى بعضهم بعضاً): لأن التناهي تفاعل، والتفاعل لا بد أن يكون بين اثنين فأكثر كالتقاتل، والمراد: أن علماءهم لا ينهون عامتهم عما يفعلون من منكر؛ كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْرَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وقوله: (مُعَاوِدَةٌ): بيان للمنكر المنهي عنه، وهو العود إلى المنكر الذي قد فعلوه، وما قد فعلوه لا يتعلق به النهي لأنه قد وقع^(١).
وقوله: («يَفْعَلُونَهُ») تقدير لعائد الموصول، وهو الضمير المنصوب في قوله: «يَفْعَلُونَهُ».

وقوله: (فَعَلَهُمْ هَذَا!): بيان للمخصوص بالذم، وهو ترك التناهي.
وقوله: (يا مُحَمَّدُ): بيان للمخاطب.

وقوله: (من أهل مكة): بيان للمراد بالذين كفروا؛ المعنى: أن المنافقين أو اليهود يتولون المشركين بمكة، ويفضّلونهم على المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢].

وقوله: (من العمل...): إلى آخره: يبين أن المعنى: بس العمل الذي قدّمه لأخرتهم؛ وهو تولّي الذين كفروا، فإنه الموجب لسخط الله عليهم.
وقوله: (مُحَمَّدُ): بيان للمراد بالنبي.

وقوله: (أَيُّ الْكُفَّارِ): بيان للمراد بالضمير المنصوب في قوله: ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾.

وقوله: (خارجون عن الإيمان): تفسير ﴿فَلَسِقُونَ﴾.



(١) ينظر: تفسير الرازي (٤١٢/١٢)، والبيضاوي (١٣٩/٢).

(٢) ينظر: التفسير البسيط (٤٩١/٧)، وزاد المسير (٥٧٤/١).

وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصرى ذلك بآت منهم قيسيين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ﴿٨٢﴾ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءامننا فآكثبنا مع الشهيدین ﴿٨٣﴾ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴿٨٤﴾ فآثبهم الله بما قالوا جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴿٨٥﴾ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴿٨٦﴾ [المائدة].

يخبر تعالى خبراً مؤكداً أن أشد الناس عداوة للمؤمنين اليهود والمشركون، وذلك يدل على شدة كفرهم بالله ورسله، وشدة بغضهم للمؤمنين، ثم أخبر تعالى أن أقرب أهل الكتاب مودة للمؤمنين هم النصارى، وذلك بسبب أن فيهم فقهاء وعباد، وعندهم تواضع بخلاف اليهود فإنهم مستكبرون، ومن النصارى أناس يعرفون الحق وصدق الرسول ﷺ لبشارة عيسى به، فلما سمعوا القرآن تذكروا بشارة عيسى؛ ففاضت أعينهم بالدمع بسبب ما عرفوا من الحق، فصاروا يقولون: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْثَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع أمة محمد التي تشهد على الناس يوم القيامة بأن الرسل بلغوهم^(١)، وقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ أي: أي شيء يمنعنا من الإيمان بالله وما جاءنا من الحق ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ أي: وقالوا نحن نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين. ثم أخبر تعالى أنه آثبهم بإيمانهم جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها؛ قال تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾، ثم أخبر عن الذين كفروا وكذبوا بآيات الله أنهم ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

(١) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما - في رواية علي بن أبي طلحة وعكرمة - وابن جريج. ينظر: تفسير الطبري (٨/٦٠٣-٦٠٤)، وزاد المسير (١/٥٧٦).

﴿لَتَجِدَنَّ﴾ - يا مُحَمَّدَ - ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من أهل مكة، لتضاعف كُفْرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّا نَصَارَى. ذَلِكَ﴾ أي: قرب مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أن ﴿مِنْهُمْ قَسِيصِينَ﴾: علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عبَادًا، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق، كما يستكبر اليهود وأهل مكة. نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة، قرأ ﷺ عليهم سورة «يس» فبكوا وأسلموا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى! قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾، من القرآن، ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ، مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، آمَنَّا﴾: صدقنا نبيك وكتابك. ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: المقررين بتصديقهما. ﴿و﴾ قالوا، في جواب من غيرهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾: القرآن - أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مُقتضيه - ﴿وَنَطْمَعُ﴾: عطف على «نؤمن» ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة؟ قال تعالى: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَاتٍ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا. وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

وقول المؤلف: (يا مُحَمَّدَ): بيان للمخاطب، والصواب أن الخطاب للنبي ﷺ ولكل من يفهم الخطاب^(١)، وقصره على الرسول تقصير في دلالة الكلام.

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/٧١)، وفتح القدير للشوكاني (٢/٧٧).

وقوله: (من أهل مكة...) إلى آخره: بيان للمراد بـ ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، ثم بين سبب شدة عداوة اليهود والمشركين.

وقوله: (قربٌ مودتهم للمؤمنين): بيان لمرجع الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ﴾.

وقوله: (بسبب أن): بيان لسبب قرب مودتهم؛ لأن الباء سببية.

وقوله: (علماء): تفسير لـ ﴿قَبِيلِينَ﴾^(١).

وقوله: (عبادًا): تفسير «رهبان».

وقوله: (عن أتباع الحق...) إلى آخره: بيان لمتعلق الاستكبار المنفي عنهم، وهذا مما خالفوا به اليهود والمشركين.

وقوله: (نزلت في وفد النجاشي...) إلى آخره: بيان لسبب نزول الآيات^(٢) على ما قاله بعض المفسرين^(٣).

وقوله: (من القرآن): بيان للمراد بالمُنزَّل على الرسول.

وقوله: (صدقنا نبيك وكتابك): تفسير لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

وقوله: (المُقرِّين بتصديقهما): تفسير ﴿الشَّاهِدِينَ﴾.

وقوله: (قالوا...) إلى آخره: يبين أن السواو عاطفة لقول مقدر، ومقول

القول: «ما لنا لا نؤمن» قالوا ذلك ردًا على من اعترض عليهم بسبب إيمانهم^(٤).

وقوله: (القرآن...) إلى آخره: بيان للمراد بالحق، وبيان لمعنى: ﴿وَمَا لَنَا

لَا نُؤْمِنُ﴾.

(١) قال قطرب: «القس والقسيس: العالم، بلغة الروم». ينظر: تفسير الثعلبي (١١/ ٤٦١)، والتفسير البسيط (٧/ ٤٦٥).

(٢) ينظر: أسباب النزول (ص ٢٠٣).

(٣) ينظر على سبيل المثال: تفسير الطبري (٨/ ٥٩٤-٥٩٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٤)، والدر المثور (٣/ ١٢٩-١٣٢).

(٤) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٤٦٧)، والبحر المحيط (٤/ ٣٤٧).

وقوله: (عطف على «نؤمن»): هذا قولٌ ضعيفٌ؛ إذ يؤوّل المعنى «وما لنا لا نؤمن، وما لنا لا نطمع»، فالطمع في الدخول مع القوم الصالحين لا يتطرق إليه التردد ولا التعبير به، والصواب: أن الجملة حالية أو مستأنفة^(١).

وقوله: (المؤمنين الجنة؟): تفسير لـ ﴿الصَّالِحِينَ﴾، وبيان لمتعلق الدخول. وقوله: (قال تعالى): يريد أن جملة ﴿فَأَتَّبَعَهُمُ﴾ مستأنفة من كلام الله تعقيباً على قول المؤمنين، لا من كلام المؤمنين الذين آخروا كلامهم: ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

وقوله: (بالإيمان): بيان لما كان به إحسانهم، وهو الإيمان بالله ورسوله.

تنبيه:

لم يتكلم المؤلف على قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية؛ لكثرة نظائرها.



(١) ينظر: البحر المحيط (٤/٣٤٧)، والدر المصون (٤/٣٩٩).

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِهٖ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ ۖ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَحَفْظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رُسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

[المائدة].

هذا نهى من الله للمؤمنين عن تحريم الطيبات مما أحل لهم من المأكول والمشارب والملابس وغيرها؛ كأن يقول: حرام عليّ كذا، أو يحلف على تركه. ونهى تعالى المؤمنين عن الاعتداء؛ وهو اعتداء الحلال إلى الحرام، وحذّرهم من ذلك فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، ثم أمر تعالى بضد ما نهى عنه من التحريم والعدوان؛ وهو الأكل من رزق الله الذي أحل لهم، واجتناب ما حرم عليهم، وبذلك يتقون الله، ويصدقون إيمانهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِهٖ مُؤْمِنُونَ﴾، وقال ابن جرير في تفسير العدوان: أنه مجاوزة المرء ما له إلى ما ليس

له^(١). قلت: فيدخل فيه تحريم الحلال، ومجاوزة الحلال إلى الحرام؛ فكلُّ منهما عدوان، وعليه: فعطفُ النهي عن العدوان على النهي عن تحريم الطيبات من عطف العام على الخاص، فيتضمن تأكيد النهي عن تحريم الطيبات^(٢). وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: لا يحاسبكم ولا يَأْتُمُّكُمْ^(٣) باللغو في أيمانكم؛ أي: بما يجري على ألسنتكم من غير عقد القلب؛ كقول الرجل: لا والله، وبلى والله، وقيل: من لغو اليمين ما يغلب على ظنِّ الإنسان بحيث يظن صدق نفسه^(٤)؛ فلا تلزمه اليمين، ولا يجب بها كفارة، ولكنَّ اليمين التي تُلزم ويجب بالحنث فيها كفارة؛ ما عقدها بقلبه؛ أي: قصدها^(٥)، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ بتشديد القاف وتخفيفها قراءتان^(٦)، ورجح ابن جرير قراءة التخفيف^(٧)، ومعنى القراءتين متقارب^(٨). ثم أخبر تعالى بما يحلُّ اليمين المعقودة ويرفعُ إثمَ الحنث بها؛ وهو الكفارة، فقال تعالى: ﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ﴾ أي: كفارة ما حنثتم فيه من الأيمان المعقودة، وبيّن تعالى أنواع الكفارة، ويقال لها: خصال الكفارة^(٩)، وهي أحد ثلاثة أشياء على وجه التخيير بينها؛ وهي: إطعام عشرة مساكين غداءً أو عشاءً، أو مُدًّا من حنطة، أو نصف صاع من غيره^(١٠).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦٠٦/٨)، (٦١٥/٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٢٣٨/٣)، والبحر المحيط (٣٥٠/٤).

(٣) أي: يعذُّه عليكم إثمًا. ينظر: لسان العرب (٥/١٢).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٤/٤)، والتعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (٤٧٨/١).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٩٠/٣)، والقرطبي (٢٦٧/٦).

(٦) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٤٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٥).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (٦١٧/٨).

(٨) ينظر: معاني القراءات للأزهري (٣٣٨/١)، والحجة للقراء السبعة (٢٥١/٣).

(٩) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٥٢٠/٣)، والفروق للقرافي (٨٦/٢).

(١٠) ينظر الخلاف في: تفسير الطبري (٦٢٧-٦٣٨)، والمغني (٥٠٩/١٣).

وقوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أعدله وأفضله^(١). وقوله تعالى: ﴿كَسَوْتَهُمْ﴾ أي: كسوة عشرة مساكين، ومن أحسن ما قيل في الكسوة أنها حُلَّة، ويُجزئ إزار أو رداء^(٢)، وهذه هي الخصلة الثانية. وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: عتق رقبة سليمة مؤمنة، وهذه الخصلة الثالثة. وأمَّا لغو اليمين فلا إثم فيه، ولا تجب به كفارة. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: شيئاً من خصال الكفارة الثلاثة ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: فعليه صيام ثلاثة أيام. وقوله: ﴿ذَلِكَ كَفَّرةٌ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: أحد الأمور الثلاثة، أو صيام ثلاثة أيام لمن لم يجد؛ هي كفارة الأيمان التي عقدتم بقلوبكم وحتتم فيها. وقوله تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: بترك الحلف الذي لا موجب له، وبالكفارة عما حنتم فيه^(٣). وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يبين الله لكم آياته مثل هذا البيان في أحكام الأيمان. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لتشكروا الله على إنعامه ببيان الأحكام.

فائدة:

إن لذكر أحكام الأيمان بعد النهي عن تحريم الطيبات وعن العدوان مناسبة ظاهرة؛ وهي أن التحريم نوعٌ من الأيمان؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمَ مَا حَلَّلَ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلِيلَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ١-٢]^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ نهيٌ من الله للمؤمنين عن هذه

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٦٢٤) وما بعدها، وابن كثير (٣/ ١٧٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٦٣٨)، وزاد المسير (١/ ٥٨٠).

(٣) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٥٠٨)، وزاد المسير (١/ ٥٨١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٦١٦)، والتحرير والتنوير (٧/ ١٨).

المذكورات، وتنفير عنها لأنها رجس؛ أي: أعمالٌ خبيثة^(١)، ومن عمل الشيطان، فيجب اجتنابها لذلك. والخمر ما خامر العقل، وهو كل مُسَكَّرٍ من أيِّ شيءٍ كان، والميسر هو القمار؛ لأنه تؤكل به الأموال بالباطل^(٢)، والأنصاب جمع نُصْبٍ، وهي حجارةٌ منصوبةٌ كان المشركون يعبدونها، ويذبحون عليها الذبائح؛ كما قال تعالى في أول السورة في ذكر المحرمات: ﴿وَمَا ذِيحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ [المائدة: ٣]، والأزلام تقدّم معناها وطريقة أهل الجاهلية فيها في أول السورة عند قوله: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ [المائدة: ٣]^(٣)؛ فالمراد هنا هو النهي عن الاستقسام بالأزلام.

فهذه أربعة أمور كلها رجس، ومن عمل الشيطان: شربُ الخمر، والمعاملة بالميسر، واتخاذ الأنصاب، والاستقسام بالأزلام.

وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانَ﴾ أي: من الأعمال التي يحبها الشيطان، ويأمر بها^(٤). وقوله: ﴿فَلَجْتَنِيهِ﴾ تصريح بالنهي عنها، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تعليل للأمر باجتنابها؛ أي: اجتنبوا عمل الشيطان لتفلحوا، وما في الآية من أسلوب الحصر يدل على تمكُّن هذه الأمور في الخبث والشر، وفيه تأكيد للنهي عنها^(٥). وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ بيان لمراد الشيطان من أمر الناس بالخمر والميسر؛ وهي إيقاعُ العداوة والبغضاء بينهم، وصدُّهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وعطف الصلاة على ذكر الله من عطف الخاص

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٦٢/٢)، والبغوي (٩٤/٣).

(٢) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (٤٥٩/١).

(٣) تنظر: (ص ١٥).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٦٥٦/٨)، وزاد المسير (٥٨٢/١).

(٥) ينظر: الكشّاف (٢٨٨/٣)، والتحرير والتنوير (٢٢/٧).

على العام^(١)، وفي هذا بيان لحكمة الله في نهى المؤمنين عن الخمر والميسر؛ وهي السلامة مما يريده الشيطان بهم. وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ دعوة إلى الانتهاء عما نهى الله عنه من الخمر والميسر بعد بيان ما فيهما من الأضرار الدينية والدنيوية. وقوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر بطاعة الله ورسوله في كل شيء، فيعم كل ما جاء عن الله ورسوله من الأوامر والنواهي، وتأكيد للنهي عن المذكورات في الآية السابقة. وقوله: ﴿وَاحْذَرُوا﴾ تحذير من المخالفة بترك الطاعة فإنه معصية وسيئة، وعاقبتها سيئة. وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن طاعة الله ورسوله، وأطعمتم الشيطان، واعلموا أن ذلك لا يضر الرسول ﷺ شيئاً؛ لأنه ليس عليه هداكم، وإنما عليه بلاغكم ما أنزل الله عليه ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا...﴾ الآية. يوضح معنى هذه الآية سبب نزولها؛ وهو أنه لما نزل تحريم الخمر سأل الصحابة عن الذين ماتوا وهم يشربونها قبل التحريم^(٢)، فبين تعالى أنه ليس عليهم جناح فيما طعموه من الخمر قبل أن تحرم عليهم، فإن ذلك لا يضرهم ولا إثم عليهم إذا استقاموا في سائر شرائع الدين كما أمرهم الله، وأكد ذلك بذكر هذا الشرط ثلاث مرات ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). وختم الآية بالثناء على المسلمين بأن الله يحبهم، وفي هذا ترغيب بالإحسان.

(١) ينظر: الكشاف (٣/٢٩١)، والبحر المحيط (٤/٣٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ولا ينافي التأكيد العطف بـ«ثم»، وقرن بحرف «ثم» الدال على التراخي الرتبى ليكون إيماءً إلى الازدياد في التقوى وأثار الإيمان. ينظر: البحر المحيط (٤/٣٦٠)، والتحرير والتنوير (٧/٣٩).

ونزل، لَمَّا هَمَّ قوم من الصحابة أن يُلازموا الصومَ والقيامَ، ولا يَقْرَبُوا النساءَ والطَّيِّبَ، ولا يأكلوا اللحمَ ولا يناموا على الفراش: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ، وَلَا تَعْتَدُوا﴾: تتجاوزوا أمرَ الله -﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ - وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾: مفعول، والجارَّ والمجرور قبله حال متعلق به، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ - هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله - ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ﴾ - بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة «عاقَدْتُمْ»، ﴿الْأَيْمَانَ﴾ عليه بأن حلفتُم عن قصد. ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ أي: اليمين إذا حنثتم فيه ﴿إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾، لكلِّ مسكين مُدٌّ ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما يُسمَّى كِسوةً كقميص وعِمامة وإزار - ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي - ﴿أَوْ تَحْرِيرٍ﴾: عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة، كما في كفارة القتل والظَّهَارِ حملاً للمطلق على المُقَيَّدِ، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ واحداً ممَّا ذُكِرَ ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته. وظاهره أنه لا يُشترط التتابع، وعليه الشافعي. ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ، إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم. ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أن تنكثوها، ما لم تكن على فعلٍ برٍّ أو إصلاح بين الناس، كما في سورة «البقرة». ﴿كَذَلِكَ﴾: مثلما بين لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ه على ذلك. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾: المُسْكِر الذي يُخامرُ العقل، ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾: القمار، ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾: الأصنام، ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾: قِداح الاستقسام ﴿رِجْسٌ﴾: خبيث مُستقَدَّر، ﴿مِنْ عَمَلٍ

الشَّيْطَانِ ﴿الَّذِي يُزَيِّنُهُ﴾ ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجسَ المعبرَ عن هذه الأشياء، أن تفعلوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴿إِذَا أَتَيْتُمَا، لِمَا يَحْصُلُ فِيهِمَا مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ، ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بِالِاشْتِغَالِ بِهِمَا ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾. خَصَّهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عَنْ إِيَابِنِهَا؟ أَي: انْتَهَوْا. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، وَاحْذَرُوا﴾ الْمَعَاصِيَ. ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنِ الطَّاعَةِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: الْإِبْلَاحُ الْبَيِّنُ، وَجَزَاؤُكُمْ عَلَيْنَا. ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ، فِيمَا طَعِمُوا﴾: أَكَلُوا مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ، ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الْمُحَرَّمَاتِ، ﴿وَأَمَّنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾: ثَبَّتُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ الْعَمَلَ. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُثَبِّتُهُمْ.

وقول المؤلف: (ونزل... إلى آخره: بيان لسبب نزول هذه الآيات^(١)).
 وقوله: (تتجاوزوا أمر الله): بيان لمعنى الاعتداء، ومنه تحريم الطيبات.
 وقوله: (مفعول...) إلى آخره: يريد أن ﴿حَلَلًا﴾ مفعول به لـ «كُلُوا»، ومراده بالجار والمجرور قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، وهو متعلق بـ «كُلُوا»^(٢).

وقوله: (الكائن): يريد أن الكائن صفة للغو، و﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ متعلق بـ «كائن» تقديره: اللغو الكائن في أيمانكم.
 وقوله: (هو ما يسبق إليه...) إلى آخره: بيان للمراد ﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦٠٧/٨) وما بعدها، والثعلبي (٤٦٦/١١).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٤٥٦/١)، والدر المصون (٤٠٢/٤).

وقوله: (بالتخفيف والتشديد...) إلى آخره: ذكر في لفظ ﴿عَقَدْتُمْ﴾ ثلاثَ قراءات: بتخفيف القاف، وتشديدها، وبألف بعد العين^(١)، ورجح ابن جرير الأولى؛ أي: بتخفيف القاف^(٢).

وقوله: (عليه...) إلى آخره: بيان للمراد بما عَقَدَ من الأيمان، وهو ما صدر عن قصد القلب.

وقوله: (اليَمِينِ إِذَا حَتَّثُمْ فِيهِ): بيان للمراد بالضمير المجرور بأنه اليمين الذي حنث فيه الحالف.

وقوله: (لِكُلِّ مِسْكِينٍ مُدًّا): بيان لمقدار الإطعام.

وقوله: (منه): بيان لمتعلق ﴿تَطْعَمُونَ﴾.

وقوله: (أَيُّ أَقْصَدِهِ...) إلى آخره: بيان للمراد بـ ﴿أَوْسَطٍ﴾؛ أي: الوسط^(٣).

وقوله: (بِمَا يُسَمَّى كِسْوَةً...) إلى آخره: بيان لمقدار الكسوة، وأنه لا بد

من استيفاء عشرة مساكين، فلا يجزئ مسكينٌ واحد يتردد في عشرة أيام^(٤).

وقوله: (عِتْقٌ): بيان لمعنى التحرير.

وقوله: (أَيُّ: مُؤْمِنَةٌ...) إلى آخره: بيان لاشتراط الإيمان في عتق كفارة

اليمين؛ كما دل النص على ذلك في كفارة القتل، فيُحْمَلُ المطلق في كفارة

اليمين على المقيّد في كفارة القتل^(٥)، ولعل هذا مذهب الشافعي^(٦) لأن المؤلف

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٤٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٦١٧).

(٣) واختار شيخنا - سده الله - أن معناه: الأعدل والأفضل. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٦٢٤)

وما بعدها، والتفسير البسيط (٧/ ٥٠٣-٥٠٤).

(٤) ينظر: الحاوي الكبير (١٥/ ٣٠٥).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٩٢)، وزاد المسير (١/ ٥٨٠).

(٦) ينظر: الحاوي الكبير (١٥/ ٣٢٢).

شافعي، ويذكر مذهب الشافعي في مواضع، ومن أهل الأصول^(١) من لا يحمل المطلق على المقيّد في مثل هذا لاختلاف السبب^(٢)، وقوله: (والظهار) وهم منه؛ فليس في آية الظهار تقييد الرقبة بالإيمان، والصواب أن يقول: كما في كفارة القتل.

وقوله: (واحدًا ممّا ذكر): يريد من أنواع الكفارة الثلاثة.

وقوله: (كفّارته...) إلى آخره: أي كفارة يمين من حنث فيها ولم يجد شيئاً من أنواع الكفارة المتقدمة، فكفارة يمينه صيام ثلاثة أيام، واختلف في وجوب التتابع^(٣)، وظاهر الآية عدم الوجوب، وهو مذهب الشافعي كما قال المؤلف^(٤)، ولكن جاء في قراءة ابن مسعود «متتابعات»^(٥)؛ فالأحوط الأخذ بها. وقوله: (المذكور): أي المذكور في الآية من كل ما تقدّم من أنواع الكفارة، ومنها صيام ثلاثة أيام.

وقوله: (وحيثّم): لأن الكفارة لا تجب إلا بالحنث في اليمين، والحنث: عدم الوفاء بما تقتضيه اليمين من فعل أو ترك^(٦).

وقوله: (أن تنكثوها...) إلى آخره: يريد أن تحتثوا فيها فمن حلف ألا يفعل شيئاً ففعله؛ فقد حنث ووجبت عليه الكفارة، لكن إن كان المحلوف على تركه برّاً أو تقوى أو إصلاحاً بين الناس؛ فينبغي له أن يفعله ويكفر؛ لقوله تعالى:

(١) ينظر الخلاف في: البحر المحيط في أصول الفقه (٥/١٤).

(٢) وذهب لعدم اشتراط الإيمان في كفارة اليمين والظهار: الحنفية، وأحمد في رواية. ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/٧)، والمغني (١١/٨١)، (١٣/٥١٧)، والإنصاف (٢٣/٢٩٨).

(٣) ينظر: الحاوي الكبير (١٥/٣٢٩)، والمغني (١٣/٥٢٨).

(٤) هو أظهر القولين عند الأكثرين، وذكر الجويني أنه الجديد. ينظر: الحاوي الكبير (١٥/٣٢٩)، ونهاية المطلب (١٨/٣١٨)، وروضة الطالبين (١١/٢١).

(٥) ينظر: مصنف عبد الرزاق (٨/٥١٣)، وابن أبي شيبة (١٢٧٦٣).

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٢٦٠).

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَدِّقُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة:

٢٢٤] وهذه الآية هي التي أشار إليها المؤلف، ولقوله ﷺ: «والله لا أحلفُ على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرتُ عن يميني وأتيتُ الذي هو خير»^(١).

وقوله: (مِثْلَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ مَا ذُكِرَ): يريد مثل هذا البيان في آيات الأيمان يبين الله لكم آياته.

وقوله: («تَشْكُرُونَ»-ه على ذلك): يريد تشكرون الله (على ذلك) أي: على ذلك البيان.

وقوله: (المُسْكِرُ الَّذِي يُخَامِرُ الْعَقْلَ): بيان لحقيقة الخمر.
وقوله: (القِمَارُ): بيان لحقيقة الميسر؛ وهو نوع من المغالبة يتضمن أكل المال بالباطل.

وقوله: (الأَصْنَامُ): بيان للمراد بالأنصاب، وتقدّم تفسيرها^(٢).
وقوله: (قداح الاستقسام): بيان للمراد بالأزلام؛ وهي أدوات يتصرفون فيها، ويستدلّون بها على القسم الأخط، وتقدّم تفسير الأزلام والاستقسام في أول السورة^(٣).

وقوله: (خبث مُسْتَقْدَرٍ): بيان لحقيقة الرجس.
وقوله: (الَّذِي يُزَيِّنُهُ): بيان لوجه إضافة العمل إلى الشيطان.
وقوله: (أي: الرجس...) إلى آخره: بيان لمرجع الضمير المنصوب، وهو الرجس، وبيان لحقيقة الاجتناب، وهو ترك المنهي عنه.

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وهذا لفظ النسائي (٣٧٨٠).

(٢) تنظر: (ص ١٥).

(٣) تنظر: (ص ١٥).

وقوله: (إِذَا أُتِمُّوهُمَا...) إلى آخره: بيان لوقت حصول هذه المفسدِ وسببها.

وقوله: (بِالاشْتِغَالِ بِهِمَا): بيان لسبب الصد، وهو الاشتغال بالخمير والميسر.

وقوله: (خَصَّهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا): بيان لسبب تخصيص الذِّكْرِ والصلاة من بين سائر الطاعات، وهو تعظيم شأنهما.

وقوله: (عَنْ إِيَّانِهِمَا؟ أَي: انْتَهَوْا): بيان لمتعلق الانتهاء، وبيان لمعنى الاستفهام، وهو الأمر بالانتهاء عن إتيان الخمر والميسر.

وقوله: (الْمَعَاصِي): تقدير لمفعول فعل ﴿وَأَحْذَرُوا﴾.

وقوله: (عَنِ الطَّاعَةِ): بيان لمتعلق ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾.

وقوله: (الإِبْلَاحُ الْبَيِّنُ، وَجَزَاؤُكُمْ عَلَيْنَا): يبين أن البلاغ اسم مصدر الإِبْلَاحِ، ومعنى ﴿الْمُبِينِ﴾ بَيِّنُ المعنى، هذا هو الذي على الرسول، وليس عليه من أمر الجزاء شيء، بل أمر الجزاء إلى الله.

وقوله: (أَكَلُوا...) إلى آخره: بيان لمعنى ﴿طَعَمُوا﴾، وبيان للمراد بالموصول.

وقوله: (الْمُحَرَّمَاتِ): بيان لمتعلق ﴿اتَّقُوا﴾.

وقوله: (ثَبَّتُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ): بيان لما يفيد تكرار الفعلين ﴿اتَّقُوا﴾ و﴿وَأَمَّنُوا﴾، وهو الثبات^(١).

وقوله: (الْعَمَلِ): بيان لمتعلق ﴿وَأَحْسَنُوا﴾.

وقوله: (بِمَعْنَى أَنَّهُ يُثَبِّهِمُ): يتضمن تفسير المحبة من الله بالثواب، وهذه طريقة من ينفي حقيقة المحبة عن الله؛ كالأشاعرة، وهو صرف للكلام عن

(١) واختار شيخنا -سده الله- أنه للتأكيد كما تقدّم، وما ذكره المؤلف هو قول الطبري والزمخشري. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٦٦٥)، والكشاف (٢/ ٢٩١).



ظاهره بغير دليل، وهذه حقيقة التحريف، وأهل السنة يثبتون حقيقة المحبة لله؛ فإنه تعالى يُحِبُّ وَيُحَبُّ، وتقدّم للمؤلف نظائر لذلك في مواضع تقدّم التعليقُ عليها^(١).



(١) تنظر: (ص ٨٨)، (ص ١٢٠).

لجواب الشرط، و«جزاء»: أي على قاتل الصيد جزاء؛ أي: بدل يكون ﴿مِنَ النَّعْمِ﴾، والمراد من النَّعْم: بهيمة الأنعام^(١)، وذلك الجزاء يشبه ما قتل من الصيد، ولو من بعض الوجوه لقوله: ﴿مَثَلُ مَا قُتِلَ﴾، وهذا هو الأمر الأول مما يلزم قاتل الصيد متعمداً وهو مُحْرِم. وقوله: ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي: إن البدل يُذبح بمكة، ويُتصدق به على مساكين الحرم. وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر، ومعناه: يحكم بالمماثلة عدلان من المسلمين من أهل الديانة والخبرة، وقد حكم الصحابة في مسائل في جزاء الصيد، رواها المصنفون في الآثار^(٢)، وعوّل عليها الفقهاء في الأحكام^(٣)، ولفظ «الصيد» يأتي في اللغة على وجهين^(٤):

أحدهما: أن يُراد به الفعل، وحينئذ إما أن يكون مصدر صاد يصيد، وإما اسم مصدر بمعنى الاصطياد.

والوجه الثاني: أن يراد به المصيد، وهو بهذا المعنى يختص بمن كان وحشياً مأكولاً، وهذا هو المراد من الصيد في الآيتين، وقد ذُكر مرة في الآية الأولى، وثلاث مرات في الآية الثانية، وقد صرح في الآية بحل صيد البحر؛ أي: للمحرّم، وتحريم صيد البر على من كان محرماً. وخُتمت الآيات بالوصية بتقوى الله، والتخويف من الحساب يوم الحشر والمآب. وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ هذا هو الأمر الثاني مما يجب على من قتل صيداً وهو محرّم متعمداً، وهو إطعام عدد من المساكين، لكل مسكين قيل: مُد، وقيل:

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٤٦١)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ١٥٣).

(٢) ينظر: السنن الكبير للبيهقي (٢٨٧/١٠) وما بعدها.

(٣) ينظر: الحاوي الكبير (٢٩٢/٤)، والمغني (٣٩٥/٥)، (٤١٢/٥).

(٤) ينظر: لسان العرب (٢٦١/٣).

نصف صاع، وهو الصحيح^(١)؛ لقوله ﷺ في حديث كعب بن عجرة: «أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع»^(٢)، وفي هذا الموضع للعلماء أقاويل وتفاصيل، والأظهر عندي أن من اختار الكفارة بإطعام مساكين فإنه يقوّم الصيد المقتول بطعام أو بدراهم يشتري بها طعامًا يتصدق به على المساكين، لكل مسكين مد أو نصف صاع كما تقدّم؛ وعلى هذا فلا يعتبر للمساكين عدد محدود، بل يختلف عددهم بحسب الطعام قلّة وكثرة، وهذا مذهب الإمام مالك حكاه القرطبي، وذكر أن مالكًا يقدّر ما يُعطاه المسكين بمد^(٣). وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ هذا هو الأمر الثالث مما يخير فيه من قتل صيدًا متعمدًا وهو مُحْرِم، وهو أن يصوم عن كل مد مما يُعطاه المساكين يومًا فيعلم بذلك أن عدد أيام الصيام بحسب عدد المساكين^(٤)، وفي هذا المقام اختلاف كثير أكثره اجتهاد لم يذكروا عليه دليلًا. وقوله تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ تعليل لما أوجبه الله على قاتل الصيد من الجزاء والكفارة، ومعناه: أن الله أوجب ما أوجب على القاتل من أجل أن يذوق عقوبة أمره؛ أي: فعله. والكفارات والحدود عقوباتٌ معجّلةٌ فيها زجر عن الذنوب، وتطهير لفاعلها. وقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: عما كان في الجاهلية من قتل الصيد، أو في الإسلام قبل التحريم، فإن الله لا يؤاخذ بذلك. وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ تهديدٌ لمن عاد إلى القتل في الإسلام، وبعد التحريم بأن ينتقم الله

(١) ينظر: زاد المسير (١/٥٨٦)، وتفسير ابن كثير (٣/١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٨١٦) - واللفظ له -، ومسلم (١٢٠١).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٦/٣١٥).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٨/٧١٠-٧١١).

منه في الدنيا أو في الآخرة، وفي الآية أقاويل ذكرها ابن جرير^(١)، وما ذكرته هو أقربها لظاهر الآية.

وقوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ﴾ أي: أحلَّ الله لكم صيد البحر، وإن كنتم حرمًا، وهذا استثنى من قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ فصيد البحر مخصوص من عموم النهي. وقوله: ﴿وَطَعَامُهُ﴾ أي: ميتته فإنها حلال كما قال ﷺ في البحر^(٢). وقوله: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ أي: حرم الله عليكم صيد البر وأنتم محرّمون بحج أو عمرة، وهو تأكيد للنهي في أول الآية، وتقييد له بصيد البر، وفي هاتين الآيتين تفصيل لما أجمل في الآيتين الأوليين من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿عَبْرَ مِحْلٍ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ١-٢]، وهذه الآيات هي الأصل في تحريم الصيد على المحرم، وهي مع ما ورد في السنة مصدر العلماء في تفصيل أحكام صيد المحرم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَيَلْوَتْكُمْ﴾: لِيخْتَبِرَنَّكُمْ ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يُرْسِلُهُ لَكُمْ، ﴿مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ﴾ أي: الصغار منه ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الكبار منه - وكان ذلك بالحديبية وهم محرّمون، فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم - ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: حال أي: غائبًا لم يره، فيجذب الصيد. ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: مُحْرِمُونَ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧١٢/٨).

(٢) أخرجه أحمد (٧٢٣٣)، (٨٧٣٥)، وأبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، والنسائي (٥٩)، وابن ماجه (٣٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه البخاري - كما في العلل الكبير (٣٣-)، والترمذي، وينظر: البدر المنير (٣٤٨/١)، وصحيح أبي داود (٧٦).

بالحج أو العمرة، ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾، بالتونين ورفع ما بعده، أي: فعلية جزاء، هو ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: شبهه في الخلقة - وفي قراءة بإضافة «جزاء» - ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي: بالمثل رجُلانٍ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به - وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي في النعامة ببدنة، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحمارة ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الطي بشاة، وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يُشبهها في العَبِّ - ﴿هَدْيًا﴾: حال من «جزاء»، ﴿بِالْعِجَّةِ﴾ أي: يُبلِّغ به الحَرَمُ فيذبح فيه ويُتصدق به على مساكينه - ولا يجوز أن يُذبح حيث كان. ونصبه نعتًا لما قبله، وإن أُضيف، لأن إضافته لفظية لا تُفيد تعريفًا. فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته - ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غير الجزاء، وإن وجده، هي ﴿طَعَامٌ مَسَاكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مُدٌّ - وفي قراءة بإضافة «كفارة» لما بعده. وهي للبيان - ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلٌ﴾: مثل ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ يصومه، عن كُلِّ مُدٍّ يومًا، وإن وجده. وجب ذلك عليه ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾: ثَقَلَ جزاءِ ﴿أَمْرِهِ﴾ الذي فعله. ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾، من قبل الصيد قبل تحريمه، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾. والله عزَّيْزٌ: غالب على أمره، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ مَمَّنْ عَصَاهُ. وألحق بقتله مُتَعَمِّدًا، فيما ذُكِرَ، الخطأ. ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ - أيها الناس - حَلَالًا كَتَمْتُمْ أَوْ مُحْرَمِينَ ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أن تأكلوه - وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسَّرَطَانِ - ﴿وَطَعَامُهُ﴾: ما يقذفه ميتًا، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتعًا ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه ﴿وَالسِّيَّارَةَ﴾: المسافرين منكم يتزودونه، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ - وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول - أن

تصيدوه، ﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾. فلو صاده حلال فللمحرم أكله، كما بيّنته
السُّنَّة. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وقول المؤلف: (ليختبرنكم): تفسير ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ فإن البلاء هو
الابتلاء، ومعناه: الاختبار.

وقوله: (يُرسله لكم): بيان لما يكون به الابتلاء، وهو إرسال الصيد.
وقوله: (أي: الصغار منه): بيان للمراد بالشيء من الصيد الذي تناله
الأيدي والرماح، وهو صغار الصيد لصغره يسهل صيده.

وقوله: (الكبار منه...) إلى آخره: يريد أن الصغار تناله الأيدي، والكبار
تناله الرماح. وقوله: (وكان ذلك بالحُدَيْبِيَّة): بيان لوقت ومكان نزول الآية^(١).

وقوله: (فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم) يبين أن الابتلاء قد تحقق.
وقوله: (عِلْمَ ظُهُورٍ): يبين أن العلم المترتب على الابتلاء هو العلم بمن

يخاف الله بالغيب أمرًا محققًا، فعِلْمَ الظهور هو العلم بالشيء موجودًا ظاهرًا^(٢).
وقوله: (حال...) إلى آخره: يريد أن الجار والمجرور ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في

موضع نصب على الحال، ومعنى الغيب: أن الله غائبٌ عن نظر العبد، ومع
ذلك يخافه فلا يُقدِّم على ما نهاه عنه.

وقوله: (النهي عنه): بيان للمشار إليه في قوله: ﴿ذَلِكَ﴾، وقوله:

(فاصطاده): بيان للمراد بالاعتداء.

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٢٠٤)، والثعلبي (١١/٤٩٦).

(٢) ينظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص ٥٠٩-٥١١)، ولشيخنا فتوى محررة في موقعه
الرسمي بعنوان: «الرد على من توهم أن الله تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه».

وقوله: (مُحْرِمُونَ بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ): تفسير ﴿حُرْمٌ﴾، و﴿حُرْمٌ﴾ جمع حَرَامٍ، وَمَنْ أَحْرَمَ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ فَهُوَ حَرَامٌ؛ فَالْمُحْرِمُ وَالْحَرَامُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدًا إِلَّا أَنَّ «حَرَامًا» لَا يَفْرَقُ فِيهِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَأَمَّا «مُحْرِمًا» فَيَفْرَقُ بَيْنَهُمَا؛ فَيُقَالُ: مُحْرِمٌ وَمُحْرِمَةٌ.

وقوله: (بالتنوين...) إلى آخره: بيان لوجه رفع «جزاء» و﴿مَثَلٌ﴾، ﴿فَجَزَاءٌ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف قدره المؤلف: فعليه جزاء، و﴿مَثَلٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف قدره المؤلف بـ «هو»، والأولى أن ﴿مَثَلٌ﴾ صفة لـ ﴿فَجَزَاءٌ﴾^(١).
وقوله: (شبهه في الخلقة): تفسير ﴿مَثَلٌ﴾ أي: الجزاء من النعم شبه الصيد المقتول.

وقوله: (وفي قراءة بإضافة «جزاء»): أي: بإضافة «جزاء» إلى «مثل»؛ يريد: أن قراءة الجمهور بتنوين «جزاء»، ف﴿مَثَلٌ﴾ نعت له، ولكن ذكر ابن عاشور خلاف ما يفهم من كلام المؤلف، وهو أن القراءة بالإضافة قراءة الجمهور^(٢)، ولا يخفى أن القراءة بتنوين «جزاء» أوضح معنى^(٣) فالأولى اعتبارها قراءة الجمهور^(٤).

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٦٠)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٤٩٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٤٦). هي كذلك باعتبارها قراءة أربعة من القراء السبعة: ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر. ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص ٢٤٧).

(٣) لذلك قال الطبري: هي أولى القراءتين بالصواب؛ لأن الجزاء هو المثل، فلا وجه لإضافة الشيء إلى نفسه. ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٦٨٠).

(٤) ومن حيث العدد باعتبار القراءات العشر هي متساوية؛ فهي قراءة خمسة من القراء: عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٥).

وقوله: (أَي: بِالْمِثْلِ رَجُلَانِ): بيان لمرجع الضمير المجرور بالباء، ويبين أن ﴿ذَوَا﴾ صفة لموصوف محذوف قدره «رجلان».

وقوله: (لَهُمَا فِطْنَةٌ...) إلى آخره: بيان لِمَا يُعْتَبَرُ فِي الْحَكَمِينَ، وهو أن تكون لهما خبرة في التشابه بين الأشياء، ثم ذكر المؤلف ما جاء عن الصحابة من أحكام في جزاء الصيد، وتبعهم في ذلك الفقهاء.

وقوله: (حَالٌ مِنْ «جِزَاءٍ»): بيان لوجه النصب في ﴿هَدِيًّا﴾، وهو النصب على الحال.

وقوله: (أَي: يُبْلَغُ بِهِ الْحَرْمُ...) إلى آخره: بيان لمعنى: ﴿بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أَي: إن الهدي الذي هو جزاء الصيد يجب أن يبلغ به مكة، ويُذبح بالحرم، ولذا سمي هديًّا.

وقوله: (وَنَصْبُهُ...) إلى آخره: بيان لوجه نصب ﴿بَلِغَ﴾، وهو أنه صفة لـ ﴿هَدِيًّا﴾، وبما أن ﴿هَدِيًّا﴾ نكرة، والنكرة لا توصف بالمعرفة نبه على أن إضافة ﴿بَلِغَ﴾ إلى الكعبة لا يصيِّره معرفة لأنها إضافة لفظية، والإضافة اللفظية لا تفيد تعريفًا.

وقوله: (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ...) إلى آخره: بيان لمذهب الفقهاء فيما ليس للصيد مثلٌ من بهيمة الأنعام، قال: «كالعصفور»، وهو أن الواجب فيه القيمة يُشْتَرَى بِهَا طَعَامٌ، وَيُتَصَدَّقُ بِهِ^(١).

وقوله: (عَلَيْهِ) تقدير: للخبر المحذوف المقدر قبل (جزاء) إذ المعنى: فعليه جزاء أو عليه كفارة.

وقوله: (غَيْرُ الْجِزَاءِ...) إلى آخره: تضمن كلامه أن الكفارة واجب آخر غير الجزاء، وأنها واجبة، وإن وُجِدَ الْجِزَاءُ، وعبارته لا تصح إلا لو كان العطف

(١) ينظر: الحاوي الكبير (٤/٣٠١)، والمغني (٥/٤١٠).

بالواو لا ب «أو»^(١). وقوله: (هي): يريد أن «إطعام» خبر لمبتدأ محذوف تقديره: «هي»؛ أي: الكفارة إطعام، وهذا أحد الوجوه لإعراب ﴿طَعَامٌ﴾ فقد قيل: إنه بدل، أو عطف بيان، أو خبر لمبتدأ محذوف، وهو ما مشى عليه المؤلف^(٢).
 وقوله: (من غالب قوت البلد...) إلى آخره: ذكر في هذه العبارة ثلاثة أمور:

أحدها: النوع الذي يُطعم منه، وهو قوت البلد.
 الثاني: قدر الطعام الذي يكون كفارة، وهو قيمة الجزاء.
 الثالث: قدر ما يُعطاه كل مسكين من الطعام، وهو مُد، وهو قول الأكثر، وقيل: يعطى نصف صاع، وهو مُدّان، وهذا أصح كما تقدم.
 وقوله: (وفي قراءة...) إلى آخره: هذا يفيد أن قراءة الجمهور بتنوين ﴿كَفَّارَةٌ﴾، وقرئ بإضافة ﴿كَفَّرَةٌ﴾ إلى ﴿طَعَامٌ﴾^(٣)، وقراءة الجمهور أصح، واختارها ابن جرير^(٤).

وقوله: (وهي للبيان): يريد أنه على القراءة بالإضافة بالإضافة بيانية، وهو معنى قوله: (وهي للبيان)^(٥).

وقوله: (عليه): تقدير لخبر «جزاء» وما عطف عليه؛ فتقدير الكلام: فعليه جزاء، أو عليه كفارة، أو عليه عدل ذلك صياماً.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦٩٦/٨)، والتفسير البسيط (٥٢٤/٧).

(٢) ينظر: الدر المصون (٤٢٥/٤).

(٣) أي: «كَفَّارَةُ طَعَامٍ» ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٥).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٦٩٦/٨).

(٥) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤٩٦/٢)، والدر المصون (٤/٤٢٥) - (٤٢٦).

وقوله: (مثلُ): أي الصيام، مثل عدد المساكين، فيصوم عن كل مُد أو نصف صاع يومًا.

وقوله: (الطعام): بيان لمرجع اسم الإشارة، وهو الطعام المعطى للمساكين.

وقوله: (يصومه...) إلى آخره: يريد أنه لا يعدل إلى الصيام إلا إذا لم يجد

الطعام، فإن وجده وجب عليه.

وقوله: (ثَقَلَ جِزَاءُ): يريد أن ما أوجب الله على قاتل الصيد من الجزاء

والكفارة ثقيل على النفس، لكن الله أوجه عقوبة على من خالف نهيه؛ فيذوق

بذلك سوء عاقبة المخالفة.

وقوله: (قبل تحريمه): بيان لمتعلق العفو، وهو قتل الصيد قبل تحريمه.

وقوله: (إليه) أي: إلى قتل الصيد بعد التحريم.

وقوله: (غالب على أمره): تفسير لاسم الله العزيز.

وقوله: (ممن عصاه): بيان لمتعلق الانتقام.

وقوله: (وَأَلْحَقْ...) إلى آخره: يريد أن حكم الخطأ في قتل الصيد حكم

العمد؛ فعليه من الجزاء ما على العامد. وقوله: (فيما ذُكِرَ): أي عن السلف،

والصواب أنه لا يسوّى بين المخطئ والمتعمد؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا

إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قال الله «قد فعلت»^(١).

وقوله: (أيها الناس...) إلى آخره: يبين أن الخطاب في قوله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ﴾

عامٌ للمحرم وغير المحرم.

وقوله: (أن تأكلوه...) إلى آخره: بيان لمتعلق الإحلال، وهو الأكل،

وبيان لما يصدق عليه اسم صيد البحر، وهو ما لا يعيش إلا فيه، أمّا ما يعيش

فيه وفي البر فليس من صيد البحر^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١٢٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٨/٧٤٨-٧٤٩)، والقرطبي (٦/٣٢٠).

وقوله: (ما يقذفه ميتاً): بيان للمراد بطعام البحر.
 وقوله: (تمتعاً): يبين أن ﴿مَتَعًا﴾ اسم مصدر بمعنى التمتع.
 وقوله: (تأكلونه): بيان لما يحصل به التمتع، وهو الأكل.
 وقوله: (المسافرين منكم يتزودونه): بيان للمراد بالسيارة، وكيف يكون
 صيد البحر متاعاً لهم، وذلك بأن يحملوه معهم؛ كما حمل موسى وفتاه الحوت
 في سفرهما^(١).
 وقوله: (وهو ما يعيش فيه...) إلى آخره: بيان لما يصدق عليه اسم صيد
 البر، وهو ما يعيش فيه. وقوله: (أن تصيدوه): بيان لمتعلق التحريم؛ أي: حرم
 عليكم الاصطياد.
 وقوله: (فلو صاده...) إلى آخره: بيان بأن المحرّم صيد المُحرّم فإنه حرام
 عليه وعلى غيره، أمّا صيد الحلال فيحلّ للمحرّم أكله كما في قصة أبي قتادة^(٢).



(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٧٣٥)، والكشاف (٢/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٢٤)، ومسلم (١١٩٦).

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَدَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة].

يخبر تعالى أنه ﴿جَعَلَ﴾؛ أي صَيَّرَ^(١) الكعبة، ويقال لها: البيت، وهي التي يُطاف بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وسُمي البيت كعبة؛ لأنه مربع^(٢)، وقد شَرَّفَ الله هذا البيت بأن أضافه إلى نفسه كما قال تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]، وشَرَّفَ الله هذا البيت بربوبية خاصة؛ فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ [قريش]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١]، وفي هذه الآية أخبر أنه جعل هذا البيت قياماً للناس، يقوم به كثير من مصالح دينهم وديناهم؛ كما قال تعالى في شأن الحجاج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] ومن أعظم المصالح التي تقوم بالبيت الأيمن لمن دخل الحرم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ وَكَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] أي: الحرم؛ لأن ما في الحرم من أمنٍ هو أثرُ حرمة الكعبة؛ بل ما كانت أرض مكة حرماً آمناً إلا لوجود الكعبة البيت الحرام فيها، وقد كان أهل الجاهلية لو لقي أحدهم قاتلاً أبيه في الحرم لم يعرض له؛ تعظيماً لبيت الله^(٣)، وجميع مصالح

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر (ص ٢٢٨-٢٢٩)، وتفسير الطبري (٥/٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥/٩-٦)، وزاد المسير (١/٥٨٨).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٩-١٠)، والتفسير البسيط (٧/٥٣٦).

الحج الدينية والديوية داخل في معنى قوله: ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ قيل: المراد به شهر ذو الحجة^(٢) من أنه أحد الأشهر الحرم، وهو الذي يقع فيه معظم أعمال الحج، فهو شهر آمن وعبادة بفعل المناسك؛ لذا جعله الله قيامًا للناس في دينهم وديناهم. وقوله تعالى: ﴿وَالهَدَى﴾ أي: وجعل الله الهدى، وهو ما يهدي إلى البيت من بهيمة الأنعام لتذبح هناك عبادة لله، ويُتصدق بلحومها ففيها قيام مصلحة المُهدي الدينية بتقربه إلى الله، وتعظيمه لبيته، وإنفاقه المال في ذلك، وفيها مصالح أهل الحرم الديوية بما يحصل لهم من الصدقات من أنواع المال. وقوله: ﴿وَالْقَلِيدَ﴾ قيل: المراد الهدايا المقلدة، فعطفها على الهدى من عطف الخاص على العام^(٣)، وقيل: المراد ما تقلده الهدايا في أعناقها من حبال ونعال، وكذا ما يتقلده الحجاج من حبال شعر أو لحاء شجر على عادة أهل الجاهلية؛ علامة لهم ليأمنوا^(٤)، فهي قلائد جمع قلادة، وعلى الأول جمع قليدة أي مقلدة، فعلم مما تقدم أن الجعل شامل للجعل الكوني والشرعي. وقوله: ﴿ذَلِكَ لِتَعْمَرُوا﴾ أي: فعل الله ذلك لتعلموا أنه يعلم ما في السموات والأرض، وأنه بكل شيء عليم، ومعنى ذلك أن جعل الله هذه المذكورات قيامًا للناس هو من آثار كمال علمه بما يصلح به أمر العباد في دينهم وديناهم. وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يدل على أن علم الله محيط لا يخرج عنه شيء، فيعلم ما كان، وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون، وقد فصل تعالى إحاطة علمه في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا إِيَّاهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٧-٩)، وزاد المسير (١/٥٨٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/٢٩٩)، وتفسير البيضاوي (٢/١٤٥).

(٣) ينظر: الكشاف (٢/١٩٢).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٣/٢٦) وما بعدها، وزاد المسير (١/٥٠٨).

ظَلَمَتِ الْأَرْضِ... ﴿[الأنعام: ٥٩] الآية، ونظائرها كثيرة. وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩٨﴾ أمرٌ من الله بالعلم ببعض صفاته بأنه شديد العقاب وأنه غفور رحيم، فإن العلم بذلك يوجب الحذر من أسباب عقابه؛ وهي المخالفات، والأخذ بأسباب المغفرة والرحمة؛ وهي التوبة والطاعات، وفي الآية وعدٌ ووعيد، والإيمان بذلك يورث الخوف والرجاء؛ كقوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عَبَادِي إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر]، وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ أي: لا يجب على الرسول في رسالته إلا تبليغ الرسالة، وليس عليه هداية الخلق، ولا عقاب من كذبه بل ذلك إلى الله وحده. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تذكيرٌ بما يوجب تقواه في السرِّ والإعلان، فإن من استحضر علم الله بما بيدي ويخفي خافه واتقاه ووقف عند حدوده. وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ ترغيبٌ في كل طيبٍ من الأقوال والأعمال والأخلاق والجزاء، وتنفيرٌ من كل خبيثٍ كذلك، وتحذيرٌ من الاغترار بكثرة الخبيث. وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ وصية من الله بالتقوى بإيثار كل طيب، وتجنب كل خبيث، فذلك سبب الفلاح.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: الْمُحَرَّمُ ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾: يقوم به أمر دينهم بالحج إليه، ودنياهم بأمنٍ داخله وعدم التعرض له، وجبي ثمرات كل شيء إليه - وفي قراءة «قِيَمًا» بلا ألف مصدر «قام» غير مُعَلٍّ - ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بمعنى: الأشهر الحُرْم ذو القعدة وذو الحجة والمُحَرَّم ورجب، قِيَامًا لهم بأمنهم القتال فيها، ﴿وَالهَدْيِ وَالْقِلَادَةِ﴾ قِيَامًا لهم بأمن صاحبهما من التعرض له. ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. فَإِنَّ جَعْلَهُ

ذلك، لجلبِ المصالح لكم ودفعِ المضارِّ عنكم قبل وقوعها، دليلٌ على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن. ﴿اعلموا أنَّ اللهَ شديدُ العقابِ﴾ لأعدائه، ﴿وأنَّ اللهَ غفورٌ﴾ لأوليائه، ﴿رحيمٌ﴾ بهم. ﴿ما على الرسولِ إلاَّ البلاغُ﴾: الإبلاغ لكم، ﴿واللهُ يعلمُ ما تُبدون﴾: تُظهرون من العمل، ﴿وما تكتمون﴾: تُخفون منه، فيُجازيكم به. ﴿قل: لا يستوي الخبيثُ﴾: الحرام ﴿والطيبُ﴾: الحلال، ﴿ولو أعجبك﴾ أي: سرَّك ﴿كثرةُ الخبيثِ. فاتَّقوا اللهَ﴾ بتركه^(١) - ﴿يا أولي الألبابِ - لعلَّكم تُفْلِحون﴾: تفوزون.

وقول المؤلف: (المُحرَّم): تفسير حرام، فهو حرام؛ أي محرَّم. وقوله: (يقوم به أمر دينهم...) إلى آخره: بيان لبعض المصالح الدينية والدينية التي جعل الله البيت قيمًا لها. وقوله: (وفي قراءة...) إلى آخره: يبين أن قراءة الجمهور ﴿قيمًا﴾ بألف بعد الياء، وهذه القراءة بلا ألف^(٢). وقوله: (غير مُعلِّ) في هذا نظر؛ فإن الإعلال قلب الواو ياء لكسر ما قبلها، وهو واقع في القراءتين، وقد صرح بعض الشُّراح بأنه خطأ^(٣).

(١) في الأصل: «في تركه». ورجح شيخنا حفظه الله ما أثبت.
 (٢) ينظر: السبعة في القراءات (ص ٢٤٨)، والمبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٨).
 (٣) ينظر: المفصل في تفسير القرآن الكريم لقبابة (ص ٤٣٠)، وقال الصاوي في حاشيته (١/٢٨٨): «قوله: (غير معل) أي: الآن بقلب واو ياء، فلا ينافي أن أصله معل». وينظر: حاشية الجمل (١/٥٥٨).

وقوله: (بمعنى: الأشهر الحُرْمُ...) إلى آخره: يريد أن المراد بالشهر الحرام جنسُ الأشهر الحرم، لا شهر معيّن^(١)، والأمر القائم به هو الأمن. وقوله: (قيامًا لهم...) إلى آخره: يبين أن الأمر القائم بالهدي هو أمن صاحبه من العدوان عليه تعظيمًا للهدي.

وقوله: (الجعل المذكور): بيان لمرجع الإشارة.

وقوله: (فإنَّ جَعَلَهُ ذَلِكَ...) إلى آخره: بيان لوجه التعليل في قوله: ﴿ذَلِكَ لِتَعَلَّمُوا﴾ فإن علمه بما في السموات والأرض وبكل شيءٍ يتضمن العلم بالمصالح المترتبة بجعل البيت والهدي والشهر قيامًا للناس. وقوله: (لأعدائه) و(لأوليائه): بيان لمتعلّق العقاب، ومتعلق المغفرة والرحمة.

وقوله: (الإبلاغ لكم): يبين أن البلاغ اسم مصدر بمعنى الإبلاغ.

وقوله: (تُظهِرُونَ مِنَ الْعَمَلِ) و(تُخْفُونَ مِنْهُ، فيُجَازِيكُمْ بِهِ): بيان لمعنى ﴿تُبَدُّونَ﴾ و﴿تَكْتُمُونَ﴾، وبيان للمراد بذكر ذلك، وهو التذكير بالجزاء.

وقوله: (الحرام): هذا أحد ما يدخل في اسم الخبيث، وإلا فاسم الخبيث أعمُّ مما ذكر المؤلف، فإنه اسمٌ لكل رديٍّ وقبيحٍ من الأعمال والأقوال والأحوال والذوات، فالكافر خبيث وأعماله وأقواله خبيثة، والمؤمن طيب وأعماله وأقواله طيبة، والكسب الحرام خبيث ومنه الصيد الذي يقتله المحرم، والكسب الحلال طيب.

وقوله: (الحلال): كأنه يريد المال الحلال، واسم «الطيب» أعمُّ من ذلك، يدخل فيه كلُّ ما أباح الله من المطاعم والمشارب وغيرها، وكل ما يحبه الله من الأعمال والأقوال.

(١) ينظر: التفسير البسيط (٧/٥٣٨)، وتفسير البغوي (٣/١٠٤). وقيل: هو ذو الحجة كما تقدّم.

وقوله: (سرك): تفسير ﴿أَعْجَبَكَ﴾ لأن ما يعجب الإنسان يسره، وكثرة الخبيث لا تسر، ولا تعجب، ولعل «أعجب» بمعنى «عجب» فمن أعجبه شيء فهو محمود عنده، ومن عجب من الشيء؛ فقد يكون عجبه من حسنه أو قبحه. وقوله: (بتركه): بيان لما تحصل به التقوى، وهو ترك الخبيث. وقوله: (تفوزون): تفسير تفلحون؛ لأن الفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب، وبهما الفوز.



وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَشَوْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْءَانُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولَٰئِكَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة].

ينهى الله المؤمنين عن التكلف في الأسئلة؛ كالسؤال عما لم يحرمه الله أهو حرام؟ أو السؤال الذي يجر على السائل أو غيره شراً، وأخبر تعالى أن من سأل عن شيء من ذلك وقت نزول القرآن فإنهم سيبيّن لهم ما سألوا عنه. وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ إرشاد إلى ترك السؤال عما عفا الله عنه، كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا» إلى قوله: «وَسَكَتَ عَنَ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لِّكُمْ غَيْرَ نَسِيَانٍ فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهَا»^(١). وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ بشارة للمؤمنين بالمغفرة وعدم المعاجلة بالعقوبة إذا فعلوا ما نهاهم الله عنه. وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ تحذير من سوء عاقبة من يسأل عما لم يكلف به وجوباً أو تحريماً؛ لأنه قد لا يوفق للقيام بما كلف به بسبب سؤاله، وأن ذلك قد وقع قبل أمة محمد ﷺ، كما سأل بنو إسرائيل موسى أسئلة تعنت فذمهم الله بذلك، وحذر المؤمنين من أمة محمد أن يسألوا النبي ﷺ،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/٤٥٧ رقم ٥٨٩)، ومسند الشاميين (٣٤٩٢)، والدارقطني في السنن (٤٣٩٦)، وابن بطة في الإبانة (٣١٤)، وابن عبد البر في الجامع (٢٠١٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، واختلف في هذا الحديث؛ فحسّنه النووي، والسمعاني في أماليه، وأعله ابن رجب. ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/١٥٠)، والفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٧/٣٦٥).

كما سأل بنو إسرائيل موسى، فقال تعالى: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾ هذا

تكذيب من الله للمشركين الذين حرّموا أشياء من بهيمة الأنعام؛ من الإبل والبقر والغنم كما هو مفصّل في سورة الأنعام^(١)، والأشياء التي حرّمها أربعة لها أسماء عندهم، وقد ذكرها الله في هذه الآية، وهي البَحِيرَةُ؛ وهي التي تُشَقُّ أذنها علامة على تحريمها، والسائبة؛ وهي التي يُسبّبونها فلا يدبرون من أمرها شيئاً، بل تسرح وترعى وترجع بنفسها، النوع الثالث من المحرمات: الوصيلة؛ ومن معانيها أنها الأنثى التي تولد ثم يولد بعدها أنثى، فهي وصيلة بمعنى موصولة^(٢)، النوع الرابع: الحامي؛ وهو الجمل إذا مضى عليه عدد من السنين؛ يقولون: حمى ظهره فلا يركبونه ولا يحملون عليه، ويحرمون نحره وأكله، ولأهل الجاهلية قوانين وأعراف في هذه المحرمات، وهم يقصدون بهذه المحرمات التقرب إلى طواغيتهم، وعبارات السلف مختلفة في تفسير هذه الأسماء، وما ذكرته في تفسيرها هو بعض ما جاء عن السلف^(٣)، والأمر في هذا سهل، والمهم أن أهل الجاهلية من العرب حرّموا ما لم يحرمه الله، فجمعوا بين الشرك والبدعة في الدين، ولهذا احتجوا بالقدَر، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: إن المشركين يفترون على الله الكذب بتحريم ما لم يحرمه الله زاعمين أن الله حرّمه، وما

(١) تنظر: (ص ٣٦٨).

(٢) ينظر: التفسير البسيط (٧/ ٥٥٤).

(٣) ينظر الخلاف في: تفسير الطبري (٩/ ٢٩) وما بعدها، وزاد المسير (١/ ٥٩٢).

سبب ذلك إلا غلبة الجهل عليهم، ونقص عقولهم، ولهذا قال تعالى:

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ يذمهم الله بإعراضهم عن كتاب الله وسنة رسوله، وإيثارهم تقليد الآباء على ما دعوا إليه، هذا وآباؤهم لا علم ولا هدى، فما حظ من تبعهم إلا الجهل والضلال.

ونزل، لما أكثروا سؤاله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ﴾: تُظْهَرُ ﴿لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ لما فيها من المشقة، ﴿وإن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ﴾ أي: في زمن النبي ﴿تُبَدَّ لَكُمْ﴾. المعنى: إذا سألتكم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها، ومتى أبادها ساءتكم. فلا تسألوا - قد عفا الله عنها: عن مسألتكم، فلا تعودوا. ﴿واللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ - قد سألتها، أي: الأشياء، ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءهم، فأجيبوا ببيان أحكامها، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾: صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ بتركهم العمل بها. ﴿مَا جَعَلَ﴾: شَرَعَ ﴿اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ، وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، كما كان أهل الجاهلية يفعلونه - روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يُمنع دُرُّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس. والسائبة: كانوا يُسيِّبونها لآلهتهم لا يُحمِل عليها شيء... والوصيلة: الناقة البكر تُبَكَّرُ في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تُثني بعد بأنثى. وكانوا يُسيِّبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يُحمَل عليه شيء وسموه الحامي - ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن ذلك افتراء، لأنهم

قَدُّوا فيه آباءهم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَإِلَى الرَّسُولِ﴾
 أي: إلى حكمه، من تحليل ما حرّمتم، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾: كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا
 عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدّين والشريعة. قال تعالى: ﴿أ﴾ حَسْبُهُمْ ذَلِكَ، ﴿وَلَوْ كَانَ
 آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقّ؟ والاستفهام للإنكار.

وقول المؤلف: (ونزل...) إلى آخره: يشير بذلك إلى سبب نزول الآية،
 وقد جاء فيه روايات عدة^(١).

وقوله: (تُظْهِرُ) أي: تبيّن لكم.

وقوله: (لِما فيها من المشقّة): كتحريم ما لم يحرم من قبل، أو وجوب ما
 لم يكن واجبًا.

وقوله: (أي: في زمن النبي): لأنه وقت نزول القرآن، وبموته ﷺ
 انقطع الوحي.

وقوله: (المعنى: إذا سألتم...) إلى آخره: يريد أنّ معنى الآية: إذا سألتم
 وقت نزول القرآن نزل القرآن ببيان ما سألتم عنه.

وقوله: (عن مسألتكم، فلا تعودوا): بيان لمتعلق العفو، وهو سؤالهم عما
 نُهِوا عنه، فالله قد عفا عنهم.

وقوله: (أي: الأشياء): يريد الأشياء التي نُهيتم عن السؤال عنها.

وقوله: (أنبياءهم...) إلى آخره: بيان للمسؤولين عن الأشياء وهم الأنبياء.

وقوله: (صاروا): هو معنى ﴿أَصْبَحُوا﴾ في هذا السياق، فإنّ «أصبح» يأتي

بمعنى صار، وبمعنى دخل في الصباح^(٢).

وقوله: (بتركهم العمل بها): لأنّ ذلك يدلُّ على عدم الإيمان.

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ٢١١)، ولباب النقول (ص ١٠٤).

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ١٠٦)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٩٢).

وقوله: (شَرَعَ): تفسير ﴿جَعَلَ﴾ فالجَعَلَ المنفي هو الجعل الشرعي^(١).
 وقوله: (كما كان أهل الجاهلية يفعلونه...) إلى آخره: يريد أن أهل
 الجاهلية يحرمون هذه المذكورات، لكن الله لم يحرم ما حرموه، فليس في
 شرع الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ثم نقل المؤلف تفسير سعيد بن
 المسيب لهذه المسميات^(٢)، وكلها أسماء وأحكام جاهلية.
 وقوله: (في ذلك ونسبته إليه): بيان لمتعلق الافتراء، وهو تحريم هذه
 المذكورات ثم نسبة هذا التحريم إلى الله.
 وقوله: (أنَّ ذلك افتراء): يريد أنهم لا يدركون بعقولهم أن نسبة التحريم
 إلى الله افتراء، والذي أوقعهم في هذا الجهل هو التقليد للآباء.
 وقوله: (إلى حكمه): بيان لما يُدعون إليه من حكم الله ورسوله في
 الحلال والحرام.
 وقوله: (كافينا): تفسير ﴿حَسَبْنَا﴾ لأن معنى الحسب: الكافي عن غيره^(٣).
 وقوله: (من الدين والشريعة): يريد الدين والشريعة التي كان عليها الآباء.
 وقوله: (قال تعالى): يريد أن قوله: ﴿أُولَؤُكَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ ردُّ من
 الله عليهم.
 وقوله: (حسبهم ذلك): يريد أن المعنى أنه يكفيهم جهلاً وضلالاً
 اتباع آبائهم.
 وقوله: (إلى الحق؟...): إلى آخره: بيان لمتعلق الاهتداء، وبيان للمراد
 بالاستفهام، وهو الإنكار^(٤).



- (١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٢٨٣)، وشفاء العليل (٢/ ٣٨٣).
 (٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٣).
 (٣) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ١٧٦)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٣٤).
 (٤) ينظر: الكشّاف (٢/ ٣٠٤)، وتفسير الرازي (١٢/ ٤٤٨).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِنُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أُرْتَبْتُمْ لَمْ تَنْتَرِي بِهِ تَمْنَا وَلَوْ كَانِ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَىٰ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾ [المائدة].

يأمر الله المؤمنين أن يُعَنُوا بأنفسهم فيما يصلحها، ثم يخبرهم أنه لا يضرهم ضلال غيرهم إذا اهدوا في أنفسهم بأداء ما أوجب الله عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١). ثم أخبر تعالى أن مرجعهم إلى الله؛ يعني: يوم القيامة، فينبئهم بما كانوا يعملون. ثم أمر تعالى المؤمنين أن يُشْهَدُوا على الوصية في السفر عند حضور الموت شاهدين عدلين من المسلمين، أو شاهدين ثقتين من غير المسلمين، وذلك قوله تعالى: ﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾^(٢)، و﴿شَهَادَةٌ﴾ مبتدأ، و﴿اثْنَانِ﴾ خبر المبتدأ، والجملة صورتها خبر ومعناها الأمر^(٣)، وهي جواب ﴿إِذَا﴾؛ فالتقدير:

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٠-٥٣)، (٩/٥٤-٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/٢٧٩-٢٨٠).

(٢) قال مكي بن أبي طالب: «وهذه الآية في قراءتها وإعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها من أصعب آي في القرآن وأشكلها، ويحتمل أن ييسط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة أو أكثر». الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (١/٤٢٠)، وينظر الخلاف في: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٥١١)، والدر المصون (٤/٤٥٣) وما بعدها.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٣٢٣)، وتفسير الثعلبي (١١/٥٣٢).

إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية فالشهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم... إلى آخره. وهذه الجملة الشرطية هي جواب الشرط في قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم؛ فيكون معنى الآية: إن أنتم ضربتم في الأرض؛ فإذا حضر أحدكم الموت حين الوصية فالشهادة على ما يجري بينكم اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم، فتضمّن لفظ الآية شرطين؛ أحدهما داخل في جواب الشرط الآخر^(١). وقوله: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أي: تحبسوا الشاهدين، والمراد بحبسهما إيقافهما لأداء الشهادة ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صلاة العصر، وقيل: من بعد أي صلاة من الصلوات الخمس^(٢)، وذلك إذا كان الشاهدان مسلمين؛ لأن ذلك يدعوهما إلى الصدق في شهادتهما، وإذا كان الشاهدان غير مسلمين؛ فيحسبان لأداء الشهادة من بعد صلاة من صلواتهم التي يعظمونها^(٣). وقوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ يعني: يؤمران بالقسم عند أداء الشهادة، وذلك إذا ارتبتم في صدقهما. وقوله: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِءَ ثَمَنًا...﴾ الآية. يعني: يؤمران بالقسم على ذلك. وقوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: اطلع على أن الشاهدين استحقا إثماً بكتهم أو كذب أو خيانة. وقوله: ﴿فَأَخْرَانِ﴾ أي: فليقم آخران مقامهما؛ أي: مقام الشاهدين في الحبس لأداء الشهادة. وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ أي: من أولياء الميت. وقوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: فليقسم الشاهدان الآخران من أولياء الميت؛ لأن شهادتهما أصدق وأحق بالاعتبار من شهادة الكافرين. وقوله: ﴿وَمَا أَعْتَدْنَا﴾

(١) ينظر: التفسير البسيط (٧/٥٦٩)، وزاد المسير (١/٥٩٦).

(٢) والقول الثاني: «من بعد أي صلاة من الصلوات الخمس» ذكره جماعة من المفسرين. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٤٢)، وتفسير الرازي (١٢/٤٥٣)، والقرطبي (٣٥٣/٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٧٦)، وزاد المسير (١/٥٩٦).

يعني: يقول الشاهدان الآخران ما اعتدينا في شهادتنا، ولو اعتدينا لكننا ظالمين. وقوله: ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾ أي: أقرب^(١) ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي: الشهود بالشهادة على وجهها؛ أي: من الصدق والبيان. وقوله: ﴿أَوْ يَخَافُوا﴾ أي: الشهود عطفً على ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ المعنى: أو يخافوا الشهود من الكفار أن تُردَّ الأيمان على الشهود من أولياء الميت فيُثبتوا لهم ما ادَّعوه على الشهود الأوصياء، ثم خُتمت الآية بالوصية بتقوى الله، والسمع لآياته سماع استجابة وانقياد ثم هدد الفاسقين؛ أي: الخارجين عن طاعة الله بحرمان الهداية؛ فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا لِلَّهِ لَكُمْ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها وقوموا بصلاحها. ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ، إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. قيل: المراد: لا يضرركم من ضلَّ من أهل الكتاب. وقيل: المراد غيرهم، لحديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «اتَّمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ. حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوَى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَاعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بَرَأِيهِ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ». رواه الحاكم وغيره. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فيجازيكم به. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ، إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ، اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ - خبر بمعنى الأمر، أي: ليشهد. وإضافة «شهادة» لـ «بين» على الاتساع. وحين: بدل من «إذا»، أو ظرف لـ «حضر» - ﴿أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: غير ملتكم، ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ، فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ، تَحِسُونَهُمَا﴾: توفقونهما صفة «آخران»، ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صلاة العصر، ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾: يحلفان ﴿بِاللَّهِ، إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾:

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٠٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢١٧).

شككتم فيهما، ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾: بالله ﴿ثَمَنًا﴾: عِوَضًا نَأْخُذُهُ بَدَلَهُ مِنَ الدُّنْيَا، بَأَنْ نَحْلِفَ بِهِ أَوْ نَشْهَدَ بِهِ كَاذِبًا لِأَجْلِهِ، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ الْمُقْسَمُ لَهُ أَوْ الْمَشْهُودُ لَهُ ﴿ذَا قُرْبَى﴾: قَرَابَةٍ مِّنَّا، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ الَّتِي أَمَرْنَا بِإِقَامَتِهَا. ﴿إِنَّا إِذَا﴾: إِنْ كَتَمْنَاهَا ﴿لَمِنَ الْآثِمِينَ. فَإِنْ عَثِرْنَا﴾: اطَّلَعْنَا، بَعْدَ حَلْفِهِمَا، ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أَي: فَعَلَا مَا يُوجِبُهُ مِنْ خِيَانَةٍ أَوْ كَذِبٍ فِي الشَّهَادَةِ، بَأَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُمَا مِثْلًا مَا أُتُّهُمَا بِهِ، وَأَدَّعِيَا أَنَّهُمَا ابْتِغَاءً مِنَ الْمَيْتِ أَوْ وَصِيٍّ لَهُمَا بِهِ، ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ فِي تَوَجُّهِ الْيَمِينِ عَلَيْهِمَا، ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الْوَصِيَّةُ -وَهُمُ الْوَرِثَةُ- وَيُبَدَلُ مِنْ «أَخْرَانِ» ﴿الْأَوْلِيَانِ﴾ بِالْمَيْتِ أَي: الْأَقْرَبَانِ إِلَيْهِ -وَفِي قِرَاءَةِ «الْأَوْلِيَانِ»: جَمْعُ أَوَّلِ صِفَةٍ أَوْ بَدَلٌ مِنَ «الَّذِينَ»- ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ عَلَى خِيَانَةِ الشَّاهِدِينَ، وَيَقُولَانِ: ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾: يَمِينُنَا ﴿أَحَقُّ﴾: أَصْدَقُ ﴿مِنَ شَهَادَتَيْهِمَا﴾: يَمِينُهُمَا، ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾: تَجَاوَزْنَا الْحَقَّ فِي الْيَمِينِ. ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

المعنى: لِشَهِدِ الْمُحْتَضِرِ عَلَى وَصِيَّتِهِ اثْنَيْنِ أَوْ يُوصِي إِلَيْهِمَا، مِنْ أَهْلِ دِينِهِ، أَوْ غَيْرِهِمْ إِنْ فَقَدَهُمْ لِسَفَرٍ وَنَحْوِهِ. فَإِنْ ارْتَابَ الْوَرِثَةُ فِيهِمَا، فَادَّعَا أَنَّهُمَا خَانَا بِأَخْذِ شَيْءٍ أَوْ دَفَعَهُ إِلَى شَخْصٍ زَعَمَا أَنَّ الْمَيْتَ أَوْصَى لَهُ بِهِ، فَلِيَحْلِفَا إِلَى آخِرِهِ. فَإِنْ اطَّلَعَ عَلَى أَمَارَةٍ تَكْذِبُهُمَا فَادَّعِيَا دَافِعًا لَهُ حَلْفَ أَقْرَبِ الْوَرِثَةِ عَلَى كَذِبِهِمَا وَصِدْقِ مَا ادَّعَاوَهُ. وَالْحُكْمُ ثَابِتٌ فِي الْوَصِيِّينِ مَنْسُوحٍ فِي الشَّاهِدِينَ. وَكَذَا شَهَادَةُ غَيْرِ أَهْلِ الْمِلَّةِ مَنْسُوحَةٌ. وَاعْتِبَارُ صَلَاةِ الْعَصْرِ لِلتَّغْلِيظِ، وَتَخْصِيصُ الْحَلْفِ فِي الْآيَةِ بَاثْنَيْنِ مِنْ أَقْرَبِ الْوَرِثَةِ لِخُصُوصِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي نَزَلَتْ لَهَا. وَهِيَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي سَهْمٍ خَرَجَ مَعَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَاءٍ -أَيِ وَهُمَا نَصْرَانِيَّانِ- فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضِ لَيْسَ فِيهَا مُسْلِمٌ. فَلَمَّا قَدِمَا بِتَرْكَتِهِ فَقَدُوا جَمًّا مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا بِالذَّهَبِ، فَرَفَعَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ فَأَحْلَفَهُمَا ثُمَّ وَجَدَ الْجَمَّ بِمَكَّةَ، فَقَالُوا: ابْتِغَاءً

من تميم وعديّ. فنزلت الآية الثانية، فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا. وفي رواية الترمذيّ: فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا، وكانا أقرب إليه. وفي رواية: فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبلّغا ما ترك أهله. فلمّا مات أخذوا الجاه، ودفعوا إلى أهله ما بقي. ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور، من ردّ اليمين على الورثة، ﴿أَدْنَى﴾: أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي: الشهود أو الأوصياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الذي تحمّلوها عليه، من غير تحريف ولا خيانة، ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أن ﴿يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدّعين - فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويعرّمون - فلا يكذبوا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، بترك الخيانة والكذب، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تُؤمرون به سماع قبول. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجين عن طاعته، إلى سبيل الخير.

وقول المؤلف: (أي: احفظوها...) إلى آخره: تفسير لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ﴾ لأن ﴿عَلَيْكُمْ﴾ اسم فعل؛ بمعنى: «الزموا».

وقوله: (قيل: المراد: لا يضركم من ضلّ...) إلى آخره: تضمن كلامه ذكر القولين في المراد بمن ضلّ^(١)، وأيد القول الثاني بالحديث، والشاهد منه قوله: «فعليك نفسك»^(٢).

وقوله: (فيجازيكم به): بيان للغاية من الإنباء بالأعمال وهو المجازاة.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٣-٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٥٨)، وأبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وصححه ابن حبان (٣٨٥)، والحاكم (٧٩١٢)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٢٥).

وقوله: (أي: أسبابه): بيان لمعنى حضور الموت، فإن الموت عَرَض لا يُعقل منه الحضور.

وقوله: (خبرٌ بمعنى الأمر...) إلى آخره: تضمن كلامه عدة أمور: أحدها: أن الجملة ﴿شَهَدَةٌ بَيْنَكُمْ﴾: خبر بمعنى الأمر، ولذا قال: (لِيَشْهَدَ).

الثاني: أن ﴿أَتَانِ﴾ خبر ﴿شَهَدَةٌ﴾ ف﴿شَهَدَةٌ﴾ مبتدأ، و﴿أَتَانِ﴾ خبر. الثالث: أن إضافة ﴿شَهَدَةٌ﴾ إلى «بين» من قبيل الاتساع في الكلام^(١)، ففيه نوع مجاز.

الرابع: أن ﴿حِينَ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ أو ظرف لـ ﴿حَضَرَ﴾. وقوله: (أي: غير ملتكم) أي: من الكفار؛ كأهل الذمة، وهذا مقابل لقوله: ﴿ذَوَاعَدِلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: من المؤمنين. وقوله: (سافرتم): تفسير لقوله: ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه يعبر عن السبب بالضرب في الأرض^(٢).

وقوله: (تُوقَفُونَهُمَا): تفسير ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ أي: توقفونهما لأداء الشهادة. وقوله: (صفة «آخِرَانِ»): يريد أن جملة ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ صفة لـ ﴿آخِرَانِ﴾، فضمير التثنية في ﴿أَسْتَحَقَّ﴾ يعود لـ ﴿آخِرَانِ﴾.

وقوله: (أي: صلاة العصر): هذا أحد القولين، وقيل: من بعد أي صلاة. وقوله: (يَحْلِفَانِ): تفسير ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ فالقسم والحلف معناهما واحد. وقوله: (شككتم فيهما) أي: في صدق الشاهدين وأمانتهما، ففي هذه الحال يؤمران أن يقسما قائلين: لا نشترى به ثمنًا، ولو كان ذا قربي. وقوله: (ويقولان): بيان لما يُقسمان عليه.

(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٤٢/١)، وتفسير البيضاوي (١٤٧/٢).

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ٣٠٩)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٤٠١).

وقوله: (بالله) أي: بالحلف بالله.
 وقوله: (عوضًا...) إلى آخره: يريد أن الشاهدين يقولان: لا نحلف بالله
 كذبًا لناخذ عوضًا من الدنيا.

وقوله: (المقسم له أو المشهود له): بيان وتقدير لمرجع الضمير المستتر
 في ﴿كَانَ﴾.

وقوله: (قراية منّا): يريد أن الشاهدين يقولان: لا نكذب في شهادتنا، ولو
 كان المشهود له ذا قرابة منا.

وقوله: (التي أمرنا بإقامتها): يريد أن الشاهدين يقسمان على ألا يكتما
 الشهادة التي تحمّلاها.

وقوله: (إن كتمناها): يبين أن الشاهدين عليهما أن يُقرّا إن كتما الشهادة
 فهما من الآثمين.

وقوله: (اطلع): تفسير لـ ﴿عَثَرَ﴾؛ لأن العثور على الشيء هو
 الاطلاع عليه^(١).

وقوله: (أي: فعلا ما يُوجهه...) إلى آخره: أي ما يوجب الإثم من
 كذب وخيانة.

وقوله: (بأن وُجد...) إلى آخره: يشير إلى ما ذكر في سبب النزول من
 قصة جام^(٢) الفضة^(٣).

وقوله: (في توجه اليمين عليهما): بيان لمعنى ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي:
 يقوم الشاهدان الآخران مقام الشاهدين الأولين فيحلفان على دعواهما،
 فيستحقان ما حلفا عليه.

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٥٤٦).

(٢) إناء يُشرب به. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/١٦٥).

(٣) سيأتي قريبًا.

وقوله: (الوصية...) إلى آخره: بيان للأمر المستحق، والمستحق لذلك هم ورثة الميت. وقوله: (ويُبدل من «آخِرَانِ»): يريد أن ﴿الْأُولَيْنِ﴾ بدل من «آخِرَانِ».

وقوله: (بالميت...) إلى آخره: بيان لمتعلّق القرابة المفهومة من قوله: ﴿الْأُولَيْنِ﴾ أي: الأقربان. وقوله: (وفي قراءة «الأُولَيْنِ»)^(١): جمع أوّل مكان ﴿الْأُولَيْنِ﴾ يقول وهي على هذه القراءة صفة أو بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾^(٢).

وقوله: (على خيانة الشاهدين): يريد أن الشاهدين الآخرين يُقسمان على خيانة الشاهدين الأولين.

وقوله: (ويقولان) أي: الشاهدان الآخران يقولان: لشهادتنا أحق من شهادتهما؛ أي: من شهادة الشاهدين الأولين.

وقوله: (يميننا): يريد أن الشهادة في هذا الموضع يراد بها اليمين. وقوله: (أصدق...) إلى آخره: يريد أن الشاهدين الآخرين يقولان: يميننا أصدق من يمين الشاهدين الأولين.

وقوله: (تجاوزنا): تفسير ﴿اعْتَدَيْنَا﴾ المعنى: وما تجاوزنا الحق في اليمين، وفي هذا تأكيد لقوله: ﴿لشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾.

وقوله: (المعنى: لِيُشْهِدَ الْمُحْتَضِرُ...) إلى آخره: بيان لمعنى الآية إجمالاً، وما تفيده من حكم الوصية في السفر، وما يجب من الإشهاد على الوصية مع ذكر سبب نزول الآية من قصة تميم الداري وعدي بن بداء، وقصة الجام الذي

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٦).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٧٠)، والدر المصون (٤/ ٤٨٠).

أخذه تميم وعدي من تركة الموصي، وباعاه بمكة إلى آخر ما ذكر في خبرهما^(١)، ومعرفة سبب نزول الآية مما يُعرف به معناها.

وقوله: (الحكم المذكور...) إلى آخره: بيان لمرجع اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾، وهو الحكم المذكور الذي هو رد اليمين على الورثة.

وقوله: (أقرب إلى): تفسير ﴿أَذَى﴾.

وقوله: (أي: الشهود أو الأوصياء): بيان لمرجع الضمير في قوله: ﴿يَأْتُوا﴾، وهم الشهود أو الأوصياء.

وقوله: (الذي تحمّلوها عليه): يريد على الصفة التي تحمّلوا الشهادة عليها. وقوله: (أقرب إلى أن): يريد أن المعطوف ﴿يَخَافُوا﴾ في حكم المعطوف عليه، وهو ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾.

وقوله: (على الورثة...) إلى آخره: بيان لمن تُردُّ عليهم الأيمان، وهم الشهود من الورثة، والذين يخافون من ذلك هم الشهود الأوصياء، فإذا خافوا من ردّ الأيمان على الورثة لم يكذبوا، ولم يخونوا. وقول المؤلف: (فلا يكذبوا): بيان لأثر خوفهم من ردّ الأيمان.

وقوله: (بترك الخيانة والكذب): بيان لما تحصل به التقوى.

وقوله: (ما تؤمرون به سماع قبول): بيان لمتعلق السمع ونوعه^(٢).

وقوله: (الخارجين عن طاعته): تفسير ﴿الْفَاسِقِينَ﴾.

وقوله: (إلى سبيل الخير): متعلق بـ ﴿يَهْدِي﴾ أي: لا يهدي الفاسقين إلى سبيل الخير.



(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأشار المؤلف لرواية الترمذي

(٣٠٥٩) من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٥٠٧/٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [١٨] إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِكَ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَظْفَارِكَ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَظْفَارِكَ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَظْفَارِكَ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ [المائدة].

يُذَكِّرُ تعالى بمشهدٍ من مشاهد القيامة، وهو جمع الرسل وسؤالهم عن إجابة أممهم لهم، ففوضوا علم ذلك إلى الله، وفي ذلك اليوم يذکر عبده ورسوله عيسى بما أنعم عليه، وعلى والدته، وتأيدته له بروح القدس، وتكليمه الناس في المهد وكهلاً، وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإعطائه الآيات من خلق الطير، وإبراء الأكمه والأبرص، وإخراج الموتى من قبورهم، وكل ذلك بإذن الله، ومن نعمه أنه كفَّ أيدي الكافرين عن قتله؛ وهم اليهود، فإنهم كذبوا بالمسيح، وقالوا: «إنه ساحر»، وقالوا على أمه بهتاناً عظيماً.

اذكُرْ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ - هو يوم القيامة - ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخاً لقومهم: ﴿مَاذَا﴾ أي: [ما] الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به، حين دَعَوْتُم النَّاسَ إلى التوحيد؟ ﴿قَالُوا: لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك، إلا ما عَلَّمْتَنَا. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه. لِشِدَّةِ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِرْعِهِمْ. ثُمَّ يَشْهَدُونَ عَلَى أُمَّمِهِمْ لَمَّا يَسْكُنُونَ. اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ بشكرها، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قوَّيتُكَ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبريلُ، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾: حَالٌ مِنَ الْكَافِ فِي «أَيَّدتُّكَ»، ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ - يُفِيدُ نَزْوَلَهُ

قبل الساعة، لأنه رُفِعَ قبل الكهولة كما سبق في «آل عمران»، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ: كصورة ﴿الطَّيْرِ﴾ - والكاف: اسم بمعنى «مثل» مفعول- ﴿بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾: بإرادتي، ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قُبُورهم أحياء ﴿بِإِذْنِي، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ حين همّوا بقتلك، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَنْهُمْ: إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. وفي قراءة «ساحِرٌ» أي: عيسى.

وقول المؤلف: (اذكُرْ): بيان للعامل في الظرف.

وقوله: (هو يوم القيامة): تعيين لذلك اليوم.

وقوله: (لهم توبيخًا لقومهم): بيان للمخاطبين؛ لقوله: ﴿مَا ذَا أُجِبْتُمْ﴾،

وبيان للحكمة من هذا السؤال؛ وهي توبيخ أقوامهم المكذّبين.

وقوله: (أي: [ما] الذي): يبين أن «ذا» اسم موصول بمعنى الذي.

وقوله: (به...) إلى آخره: تقدير لمعمول ﴿أُجِبْتُمْ﴾.

وقوله: (بذلك): يريد ما أجابت به أممهم.

وقوله: (ما غاب عن العباد...) إلى آخره: بيان للمراد بالغيب، وبيان أن

لرسل أحوال، ففي حال يعتذرون عن العلم بما أجاب به أقوامهم، وفي حال يشهد الرُّسل على أممهم بأنهم بلغوهم، وأنهم كذَّبوهم^(١).

وقوله: (اذكُرْ): تقدير للعامل في الظرف ﴿إِذْ﴾.

(١) وهذا قول مجاهد والسدي والحسن البصري. ينظر: تفسير الطبري (٩/ ١١٠-١١١)، ودفع إيهام الاضطراب (ص ١٢٤).

وقوله: (بشكرها): بيان لما يحصل به ذكر النعم.

وقوله: (قَوَيْتُكَ): تفسير ﴿أَيْدُتُكَ﴾^(١).

وقوله: (جبريل): من أسمائه روح القدس^(٢).

وقوله: (حَالٌ مِنَ الْكَافِ فِي «أَيْدُتُكَ»): بيان لإعراب الجملة بأنها حال، وبيان لصاحبها، وهو: الكاف في قوله: ﴿أَيْدُتُكَ﴾.

وقوله: (أي: طفلاً): بيان لما يدل عليه ذكر المهد.

وقوله: (يُفِيدُ نَزْوَلَهُ...): إلى آخره: لم يفسّر الكهل، بل اكتفى بذكر ما يدّعي أنه يدل عليه، وهو نزوله في آخر الزمان، وهو استدلال فيه نظر^(٣)، ويتضمن دعوى لا دليل عليها؛ وهي أنه رُفِعَ قبل الكهولة^(٤).

وقوله: (كصورة) أي: شكل.

وقوله: (والكاف...): إلى آخره: كلامه يقتضي أنّ الكاف اسم؛ لأنه فسّرهما بـ «مثل»، والصواب أنها تحتمل الحرفية فتكون حرف تشبيه.

وقوله: (بارادتي): يقتضي أنّ الإذن هو الإذن الكوني، والصواب أنّ الإذن يحتمل الكوني والشرعي.

وقوله: (من قبورهم أحياء): بيان لمتعلق الإخراج؛ وهم الموتى من القبور، وهذا يتضمن إحياءهم؛ لأن الآية في إخراجهم أحياء، ولقوله في الآية الأخرى: ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقوله: (حين همّوا بقتلك): بيان لوقت هذه النعمة، وهي كف بني إسرائيل اليهود عنه حين قصدوا قتله.

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٤٨)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٩٧).

(٢) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١/١٩٠)، (١/٥٦٠).

(٣) ولعل المؤلف صادر عن تفسير البيضاوي (٢/١٤٩).

(٤) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (٢/١٠٧).

وقوله: (المُعجزات): أي الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله^(١)، وهي ما تقدم من خلق الطير، وإبراء الأكمه والأبرص، وإخراج الموتى.

وقوله: (ما): يبين أن ﴿إِنْ﴾ نافية.

وقوله: (الذي جئت به): بيان للمشار إليه في قولهم: ﴿هَذَا﴾.

وقوله: (وفي قراءة...): إلى آخره: أي قرئ بـ ﴿سِحْرٌ﴾ و ﴿سَاحِرٌ﴾^(٢)، والقراءتان متلازمتان؛ فالساحر يجيء بالسحر، ومن جاء بالسحر هو ساحر.



(١) وتقدم أن اللفظ الشرعي هو: البراهين والآيات والبيّنات. ينظر: هامش (ص ٦٨).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٦).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدَ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١٣﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمُ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة].

يذكر تعالى في هذه الآيات بأنه أوحى إلى الحواريين أصحاب عيسى؛ أي: ألهمهم الإيمان به وبرسوله فوَقَّرَ الإيمان في قلوبهم، ونطقوا به بألسنتهم^(١)، قالوا: ﴿ءَامَنَّا وَأَشْهَدَ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ ثم أخبر تعالى أن الحواريين قالوا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ أي: هل يمكن في حكمته^(٢) ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: خِوانٌ عليه طعام، فزجرهم عيسى عن هذا القول، وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فذكروا مقصودهم من هذا الاقتراح، قالوا: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ فهذه أربعة أمور: أكلهم من المائدة، وطمأنينة قلوبهم، وعلمهم بصدق عيسى، وبعد ذلك يكونون عليها من الشاهدين.

ثم إن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء لتكون لهم آية، وعيِّداً لأولهم وآخرهم، ورزقاً من الله لهم، والله خير الرازقين، ثم إنه تعالى أخبر أنه مُنَزِّلُهَا عَلَيْهِمْ، لكن مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٢٥)، وتفسير الطبري (٩/ ١١٦).

(٢) أي أن الحواريين لم يشكُّوا في قدرة الله. ووجه ذلك بتوجيهات، منها ما ذكره شيخنا حَفِظَهُ اللَّهُ، وقيل غير ذلك. ينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٢٥)، وتفسير الطبري (٩/ ١١٨)، والتفسير البسيط (٧/ ٥٠٩).

يعذبه أحداً من العالمين، واختلف المفسرون هل نُزِلت المائدة أو لم تُنزل؟ والجمهور على أنها نزلت، والأظهر أنها لم تنزل^(١)، ولعلمهم رجعوا عن طلبها لَمَّا هَدَّدَ اللهُ مَنْ كَفَرَ بِالْعَذَابِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴿١﴾ أَمَرْتَهُمْ عَلَى لِسَانِهِ ﴿٢﴾ أَنْ ﴿٣﴾ أَي: بِأَنْ ﴿٤﴾ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴿٥﴾ عِيسَى. ﴿٦﴾ قَالُوا آمَنَّا ﴿٧﴾ بِهِمَا. ﴿٨﴾ وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٩﴾. اذْكَرُ ﴿١٠﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴿١١﴾ أَي: يَفْعَلُ ﴿١٢﴾ رَبُّكَ ﴿١٣﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ بِالْفَوْقَانِيَّةِ وَنَصَبِ مَا بَعْدَهُ أَي: تَقْدِرُ أَنْ تَسْأَلَهُ - ﴿١٤﴾ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟ قَالَ ﴿١٥﴾ لَهُمْ عِيسَى: ﴿١٦﴾ اتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٧﴾، فِي اقْتِرَاحِ الْآيَاتِ، ﴿١٨﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا: نُرِيدُ ﴿١٩﴾ سَوَالَهَا مِنْ أَجْلِ ﴿٢٠﴾ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا، وَتَطْمَئِنَّ: ﴿٢١﴾ تَسْكُنُ ﴿٢٢﴾ قُلُوبُنَا ﴿٢٣﴾ بِزِيَادَةِ الْيَقِينِ، ﴿٢٤﴾ وَنَعْلَمَ ﴿٢٥﴾: نَزَادَ عِلْمًا ﴿٢٦﴾ أَنْ ﴿٢٧﴾، مَخْفَفَةٌ، أَي: أَنَّكَ ﴿٢٨﴾ قَدْ صَدَقْتَنَا ﴿٢٩﴾ فِي ادِّعَاءِ النُّبُوَّةِ، ﴿٣٠﴾ وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣١﴾. ﴿٣٢﴾ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا، أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ، تَكُونُ لَنَا ﴿٣٣﴾ أَي: يَوْمَ نَزْوِلُهَا ﴿٣٤﴾ عِيدًا ﴿٣٥﴾ نُعَظِّمُهُ وَنُسَرِّ فِيهِ، ﴿٣٦﴾ لِأَوْلَادِنَا: ﴿٣٧﴾ بَدَلٌ مِنْ «لَنَا» بِإِعَادَةِ الْجَارِ، ﴿٣٨﴾ وَآخِرِنَا ﴿٣٩﴾ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَنَا، ﴿٤٠﴾ وَآيَةٌ مِنْكَ ﴿٤١﴾ عَلَى قُدْرَتِكَ وَنُبُوتِي، ﴿٤٢﴾ وَارزُقْنَا ﴿٤٣﴾ يَا هَا. ﴿٤٤﴾ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٥﴾. ﴿٤٦﴾ قَالَ اللَّهُ ﴿٤٧﴾ مُسْتَجِيبًا لَهُ: ﴿٤٨﴾ إِنِّي مُنْزِلُهَا ﴿٤٩﴾ - بِالْتَخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿٥٠﴾ عَلَيْكُمْ. فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ ﴿٥١﴾ أَي: بَعْدَ نَزْوِلِهَا ﴿٥٢﴾ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا، لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾. فَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ، عَلَيْهَا سَبْعَةٌ أَرْغَفَةٌ وَسَبْعَةٌ أَحْوَاتٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَفِي حَدِيثٍ: «أَنْزَلَتْ

(١) وهو قول الحسن ومجاهد. ينظر الخلاف في: تفسير الطبري (٩/ ١٢٥-١٣١)، وزاد المسير (١/ ٦٠٢-٦٠٤).

المائدةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْرًا وَلَحْمًا فَأَمْرُوا أَلَّا يَخُونُوا وَلَا يَدْخِرُوا لِغَدٍ، فَخَانُوا
وَادْخَرُوا وَرَفَعُوا، فَمُسِخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا».

وقول المؤلف: (أمرتهم على لسانه): تفسير للوحي إلى الحواريين بأنه
ما بلغه عيسى، ومعنى هذا فالله أوحى إليهم بواسطة عيسى.
وقوله: (أي: بأن): يريد أن ﴿أَنَّ﴾ تفسيرية أو مصدرية، والمصدر
مجرور بالباء.

وقوله: (عيسى): تعيين للرسول الذي أمر الله باتباعه.

وقوله: (بهما): أي بالله ورسوله.

وقوله: (اذكرو): تقدير للعامل في الظرف.

وقوله: (أي: يفعل): تفسير ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ لأن الفعل يستلزم الاستطاعة.

وقوله: (وفي قراءةٍ بالفوقانية...): إلى آخره: يريد أن ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ قرئت

بالتاء بدل الياء^(١)؛ خطاب لعيسى، فالاستطاعة من صفة عيسى، ف«الرب» على

هذه القراءة منصوب؛ لأن المعنى «هل تستطيع أن تدعوا ربك؟»^(٢).

وقوله: (لهم): أي الحواريين.

وقوله: (في اقتراح الآيات): أي اتقوا الله بترك اقتراح الآيات.

وقوله: (سؤالها من أجل): بيان لغرضهم من سؤالها.

وقوله: (تسكن): تفسير ﴿وَتَطْمِئِنَّ﴾.

وقوله: (بزيادة اليقين): بيان لسبب حصول الطمأنينة.

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٦).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٧٣)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد

وقوله: (نزدادَ علمًا): لأنهم يعلمون صدق عيسى من قبل، فمطلوبهم زيادة العلم.

وقوله: (مخففة): بيان لنوع ﴿أَنَّ﴾، وهي التي لها اسم وخبر، وأصلها «أَنَّ» الثقيلة.

وقوله: (في ادعاء النبوة): بيان لمتعلق الصدق.

وقوله: (أي: يومٌ نُزولها): بيان لوقت كون المائدة عيدًا.

وقوله: (نُعظّمه ونُسّر فيه): بيان لشأن العيد، فمن شأن العيد تعظيمه والسرور فيه.

وقوله: (بدلٌ من «لنا»): يريد أنه في موضع نصب على الحال مثل ﴿لَنَا﴾؛ لأنه بدل منه.

وقوله: (ممن يأتي بعدنا): يريد أن آخرهم هو المقابل لأولهم، وأولهم من كان في عهد عيسى، وآخرهم من يجيء بعدهم.

وقوله: (على قدرتك ونُبوتِي): بيان لما يدل عليه نزول المائدة؛ وهو قدرة الله وصدق عيسى.

وقوله: (إياها): تقدير المفعول الثاني لـ «رزق».

وقوله: (مُستجيبًا له): يريد مستجيبٌ لدعاء عيسى بنزول المائدة.

وقوله: (بالتخفيف والتشديد): يشير إلى قراءتين؛ بالتشديد من «نَزَلَ»، والتخفيف من «أُنزِل»^(١).

وقوله: (أي: بعدَ نزولها): تقدير للمضاف إليه.

وقوله: (فنزلتِ... إلى آخره): تقدمت الإشارة إلى أن هذا قول الجمهور، وقيل: لم تنزل، واختار المؤلف أنها أنزلت، وأيده بما روي عن ابن عباس^(٢)،

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٨٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٢١)، والثعلبي (١١/٥٥٩).



وهو من الإسرائيليات، وأيده أيضًا بالحديث المرفوع فيُنظر في ثبوته، والصحيح أنه موقوف على عمّار^(١)؛ قاله ابن كثير^(٢).



(١) أخرجه الترمذي (٣٠٦١) وقال: «هذا حديث غريب، قد رواه أبو عاصم، وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن خِلاس، عن عمار بن ياسر موقوفًا، ولا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسن بن قزعة.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا سفيان بن حبيب، عن سعيد بن أبي عروبة نحوه ولم يرفعه، وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة، ولا نعلم للحديث المرفوع أصلًا».

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٤٩٣/٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَامَّا تَوْفِيتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ [المائدة].

يخبر تعالى أنه قال لعبده ورسوله عيسى ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فسبح عيسى ربه، وتبرأ مما زعمته النصارى، وأنه لا يليق به أن يقول هذا، ثم فوض علم ذلك إلى الله تعالى؛ لأنه علام الغيوب، ثم أخبر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه ما قال لبني إسرائيل إلا ما أمره الله به ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، وأنه كان شهيداً عليهم: على مَنْ أجابه، وَمَنْ لم يجبه حتى توفاه الله ورفعاه، فكان الله هو الشهيد عليهم؛ لأنه تعالى على كل شيء شهيد، ثم أخبر عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ عِبِيدُهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ وَالْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمَفْسُرُونَ فِي هَذَا الْخَطَابِ وَالْجَوَابِ بَيْنَ عَيْسَى وَرَبِّهِ؛ فَقِيلَ: إِنْ هَذَا كَائِنٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي السَّمَاءِ بَعْدَمَا رُفِعَ ^(١)، وَاخْتَارَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٢)، وَلَفْظُ الْآيَاتِ يَحْتَمِلُ الْقَوْلَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَيُؤَيِّدُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ...﴾ الآية، وَإِنَّمَا يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدخولهم الجنة، ولهذا قال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْوَعْدُ مَقِيدًا

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣٢/٩)، وزاد المسير (١/٦٠٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٣٥).

باليوم الذي خاطب الله فيه عيسى، ثم ختمت السورة بإثبات مُلك الله للسموات والأرض وما فيهن وأنه على كل شيء قدير، وفي ذكر الصدق والصادقين في آخر السورة ما يحقق التناسب بين أولها وآخرها؛ ففي أول آية منها الأمر بالوفاء بالعقود، وهو من أعظم أنواع الصدق، وأعظم عقدٍ يجب الوفاء به عقدُ الإيمان بالله ورسوله، وهو ما تتضمنه الشهادتان، والموفون بهذا العقد لا بدَّ أن يوفُّوا بجميع العقود، فهم الصادقون الذين ينفعهم صدقُهم في ذلك اليوم العظيم^(١).

﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: يقول ﴿اللَّهُ﴾ لعيسى، في القيامة تويخاً لقومه: ﴿يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ: اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ﴾ عيسى، وقد أُرْعِدَ: ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره! ﴿مَا يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لِي﴾ أن أقول ما ليس لي بحقَّ: ﴿خَبْرٌ لَيْسَ﴾، ولي: للتبيين. ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ. تَعَلَّمَ مَا﴾ أخفيه ﴿فِي نَفْسِي﴾، ولا أعلم ما في نفسك ﴿أَي﴾: ما تخفيه من معلوماتك. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ - وهو ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ - وكنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا: رقيباً أمنعهم مما يقولون، ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: قبضتني بالرفع إلى السماء ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: الحفيظ لأعمالهم. ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾، من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك، ﴿شَهِيدٌ﴾: مطلع عالم به. ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، وأنت مالِكهم تتصرّف فيهم كيف شئت؟ لا اعتراض عليك. ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه. ﴿قَالَ اللَّهُ: هَذَا﴾ أي: يومُ القيامة ﴿يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في الدُّنْيَا كَعِيسَى ﴿صِدْقُهُمْ﴾، لأنه

(١) ينظر: اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي (ص ٥٣).

يوم: الجزاء. ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه. ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه، كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب. ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ - أتى بـ«ما» تغليباً لغير العاقل - ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب. وخصَّ العقل ذاته، فليس عليها بقادر.

وقول المؤلف: (اذكر): تقدير للعامل في الظرف.

وقوله: (أي: يقول): يريد أن ﴿قَالَ﴾ من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه؛ كقوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩].

وقوله: (في القيامة...): إلى آخره: يريد أن هذا الاستجواب من الله لعیسی كائن يوم القيامة، وهذا أحد القولين، وقد تقدمت الإشارة إليهما.

وقوله: (وقد أرعد) أي: أصابته رعدة من هذا السؤال.

وقوله: (تنزيهاً لك...): إلى آخره: بيان لمعنى قول عيسى لربه:

﴿سُبْحَانَكَ﴾.

وقوله: (ينبغي): تفسير لقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾؛ أي: لا ينبغي.

وقوله: (خبر «ليس»): يريد أن ﴿يَحَقُّ﴾ خبر ﴿لَيْسَ﴾.

وقوله: (ولي: للتبيين): يريد تبين من يتعلق به النفي بـ ﴿لَيْسَ﴾.

وقوله: (أخفيه): تقدير متعلق الجار والمجرور في ﴿نَفْسِي﴾.

وقوله: (أي: ما تخفيه من معلوماتك): يريد ما طويت علمه عن العباد.

وقوله: (وهو): تقدير للمفسّر بأن، والضمير المقدر يعود إلى ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾.

وقوله: (رقيباً...) إلى آخره: يريد أنه كان حاضراً يرقب ما يقولون، فيمنعهم إن قالوا فيه ما لا يليق به.

وقوله: (قبضتني بالرفع إلى السماء): بيان للمراد بالتوفي، وأن المراد قبضه من بينهم عند رفعه، وليس المراد الموت^(١).

وقوله: (الحفيظ لأعمالهم): تفسير لـ ﴿الرَّقِيبَ﴾.

وقوله: (من قولي لهم...) إلى آخره: بيان لبعض ما يدخل في قوله: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقوله: (مطلع عالم به): تفسير ﴿شَهِيدٌ﴾.

وقوله: (أي: من أقام على الكفر منهم): بيان لمن يستحق العذاب.

وقوله: (وأنت مالكم...) إلى آخره: بيان لمقتضى عبوديتهم لله.

وقوله: (لمن آمن منهم): بيان لمن هو أهل لمغفرة الله.

وقوله: (الغالب على أمره): تفسير ﴿الْعَزِيزُ﴾.

وقوله: (في صنعه): بيان لمتعلق الحكمة.

وقوله: (يوم القيامة): بيان للمشار إليه.

وقوله: (في الدنيا كعيسى): بيان للمراد بالصادقين؛ وهم الذين لزموا الصدق في الدنيا قولاً وفعلاً.

وقوله: (لأنه يوم الجزاء): تعليل لتقييد النفع في ذلك اليوم.

وقوله: (بطاعته): بيان لسبب رضا الله عنهم.

وقوله: (بثوابه): بيان لسبب رضاهم عن ربهم.

(١) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (٢/١٠١)، (٢/١٠٥-١٠٦).

وقوله: (ولا ينفع الكاذبين...) إلى آخره: بيان لمقابل ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ وهو أن الكاذبين في الدنيا لا ينفعهم إيمانهم يوم القيامة.

وقوله: (خزائن المطر...) إلى آخره: بيان لبعض ما يشمله العموم في الآية.

وقوله: (أتى بـ«ما» تليياً لغير العاقل): بيان لسبب الإتيان بـ «ما» دون «من».

وقوله: (ومنه إثابة الصادق...) إلى آخره: بيان لبعض متعلق القدرة، وهو الثواب والعقاب.

وقوله: (وخصَّ العقل ذاته...) إلى آخره: ذكر هذا التخصيص لا وجه له، ولا موجب له؛ فإن كل أفعاله بقدرته، وما كان ممتنعاً فغير داخل في المقدور أصلاً مع ما في العبارة من سوء الأدب مع الله تعالى^(١).



(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص ١٤٨).

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ② وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ③ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ④ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَا تُبَيِّهُمُ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⑤﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى مُثنيًا على نفسه بأنه المستحق للحمد كله؛ لأنه الذي خلق السموات والأرض، وخلق الظلمات والنور؛ الليل والنهار، لذلك فهو ربُّ هذا الوجود ومالكه ومدبِّره، وهو المستحق للعبادة وحده؛ فلا إله غيره، ومع ذلك أبى الكفار إلا أن يجعلوا له عدلاً ونداً يُشركونه معه في العبادة، ويحبونه كمحبته، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، ثم أخبر تعالى أنه هو الذي خلق البشرية من طين، وهو خلقُ أبيهم وأصلهم كما فصل ذلك في قصة خلق آدم، وأمر الملائكة بالسجود له، وأخبر تعالى أنه قضى لكل إنسان أجلاً؛ وهو ما يكون بالموت، وقضى أجلاً لهذه الدنيا؛ وهو انتهاء عمر البشرية بقيام الساعة، والبعث من القبور، وأنه تعالى تفرَّد بعلم ذلك الأجل المسمَّى، كما قال تعالى في الساعة: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧] (١)، ومع هذا البيان لنشأة الإنسان ومنتهاه يشكُّ الكافرون بالساعة والبعث بعد الموت، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تشكُّون (٢).

(١) وهذا قول الحسن وقتادة، ورجحه الطبري. وينظر الخلاف في معنى الأجل الأول والثاني في: تفسير الطبري (٩/ ١٥٠)، وزاد المسير (٨/ ٢).

(٢) ينظر: مجاز القرآن لمعمر بن المثنى (١/ ١٨٥)، وتفسير الطبري (٩/ ١٥٤).

ثم أخبر تعالى أنه الله في السموات وفي الأرض؛ أي: إله من في السموات ومن في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي: هو المعبود في السماء والأرض^(١).

وقوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ثناء من الله على نفسه بإحاطة علمه بما يسرُّ العباد وبما يعلنون، وبما يكسبون من خير وشر، وسيجزئهم بأعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: ما يأتي المشركين آية من آيات الله -كونية أو شرعية^(٢)- إلا أعرضوا عنها فلا يؤمنون بها، ولا يتذكرون بها، فتكون حجة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: الذي جاء به محمد ﷺ وهو القرآن، فكذبوا الرسول وبما جاء به، فتوعدهم الله بأن تأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون حين يحلُّ عليهم العذاب، كما هي سنة الله في المكذبين لرسول الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام].

سُبُوْرَةُ الْأَنْعَامِ

مكيّة إلا «وما قدروا الله حقَّ قدره» الآيات الثلاث، وإلا «قل تعالوا» الآيات الثلاث، مائة وخمس أو ست وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ﴾، وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ -وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو الثناء به، أو هما؟ احتمالات أفيدُها الثالث.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٩-٢٤٠)، وأضواء البيان (٢/ ٢١٤-٢١٥).

(٢) وسيأتي في التعليق أن الأظهر هو الآيات الكونية.

قاله الشيخ في سورة «الكهف» - ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
 خَصَّهَمَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ لِلنَّاطِرِينَ، ﴿وَجَعَلَ﴾: خلق
 ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ أي: كُلَّ ظُلْمَةٍ وَنُورٍ - وَجَمَعَهَا دُونَهُ لِكَثْرَةِ أَسْبَابِهَا.
 وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ وَحْدَانِيَّتِهِ - ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مَعَ قِيَامِ هَذَا الدَّلِيلِ، ﴿بِرَبِّهِمْ
 يَعْدِلُونَ﴾: يُسَوُّونَ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، مِنْ طِينٍ﴾، بِخَلْقِ
 أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْهُ، ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ لَكُمْ، تَمُوتُونَ عِنْدَ انْتِهَائِهِ، ﴿وَأَجَلٌ
 مُّسَمًّى﴾: مَضْرُوبٌ ﴿عِنْدَهُ﴾، لِبِعْثِكُمْ، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ - أَيُّهَا الْكُفَّارُ -
 ﴿تَمْتَرُونَ﴾: تَشْكُونَ فِي الْبَعْثِ، بَعْدَ عِلْمِكُمْ أَنَّهُ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ - وَمِنْ قَدَرٍ
 عَلَى الْإِبْتِدَاءِ فَهُوَ عَلَى الْإِعَادَةِ أَقْدَرُ - ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: مُسْتَحَقُّ الْعِبَادَةِ ﴿فِي
 السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: مَا تُسْرُونَهُ، وَمَا تَجْهَرُونَ
 بِهِ بَيْنَكُمْ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ أَي:
 أَهْلَ مَكَّةَ ﴿مِنْ﴾ - زَائِدَةٌ - ﴿آيَةٍ، مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿إِلَّا كَانُوا
 عَنْهَا مُعْرِضِينَ. فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بِالْقُرْآنِ، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ، فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ
 أَنْبَاءٌ﴾: عَوَاقِبُ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

وقول المؤلف: (إلا «وما قدروا الله حق قدره»...) إلى آخره: لأنها خبرٌ
 عن اليهود^(١).

وقوله: (وإلا «قل تعالوا»...) إلى آخره: في هذا القول نظر^(٢)؛ لأنَّ
 مضمون الآيات الثلاث مناسبٌ من حيث المعنى للقرآن المكي^(٣).

(١) على أحد القولين. تنظر: (ص ٣٠٦).

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص ٤١٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وينظر: الخلاف
 في عد الآيات المدنية في: زاد المسير (٧/٢).

(٣) ينظر: مقدمة تفسير ابن جزي (٦٨/١)، والبرهان في علوم القرآن (١٨٨/١) وما بعدها.

وقوله: (وهو الوصف بالجميل): بيان لمعنى الحمد.

وقوله: (ثابت): تقدير لمتعلق الجار والمجرور لله.

وقوله: (وهل المراد...) إلى آخره: بيان لمذاهب الناس في مراد الله من

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ هل هو ثناء من الله على نفسه؟ أو إرشاد للعباد أن يحمده؟

أو أن لفظ الآية يحتمل الأمرين؟ ورجح المؤلف الاحتمال الثالث^(١)، ولا ريب

أن الله يحمد نفسه، ويثني على نفسه، كما قال ﷺ: «أنت كما أثنت على

نفسك»^(٢)، وكذلك يحب من عباده أن يحمده ويثنوا عليه، ولم يبلغوا ما

يستحقه تعالى من الحمد والثناء، ولهذا قال ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك»^(٣).

وقوله: (خصهما...) إلى آخره: يبين سبب تخصيص السموات والأرض

بالذكر، مع أنه تعالى خالق كل شيء، ويين أن ذلك لأنهما أعظم

المخلوقات المشاهدة.

وقوله: (خلق): تفسير «جعل»، والجعل من الله في القرآن على وجهين:

بمعنى «خلق»، ويتعدى إلى مفعول واحد كما في الآية، وبمعنى «صير»؛ كقوله:

﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَاسَا﴾ [الفرقان: ٤٧]^(٤).

وقوله: (أي: كل ظلمة...) إلى آخره: يريد أن ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ يعُمُّ كلَّ

ظلمة، فيشمل ظلمة الليل وغيره، ثم يبين سبب ذكر الظلمات بلفظ الجمع،

والنور بلفظ المفرد، ولهذا قال: جمع الظلمات لتعدد أسبابها^(٥).

(١) واتبع فيه المحلي فذكر نفس عبارته كما في سورة الكهف. ينظر: المفصل في تفسير القرآن

الكريم (ص ١٠٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هو أول الحديث السابق.

(٤) ينظر: نزهة الأعين النواظر (ص ٢٢٨-٢٢٩).

(٥) ينظر: الكشَّاف (٢/ ٣٢٠-٣٢١).

وقوله: (مع قيام هذا الدليل): يبين وجهَ ذكر الكفار المشركين بعد ذكر دليل التوحيد.

وقوله: (يسوون غيره في العبادة) يعني: يجعلون له عدلاً ونداً فيعبدونه مع الله.

وقوله: (بخلق أبيكم آدم منه): يبين المرادَ بخلق الناس من طين، أنه خَلَقُ أبيهم.

وقوله: (لكم، تموتون عند انتهائه): بيان للمراد بالأجل الأول في الآية، وأن المراد به الموت.

وقوله: (مضروب): تفسير ﴿مُسَمَّى﴾، ومعناه مقدر محدود.
وقوله: (لبعثكم): بيان للمراد بالأجل المسمّى؛ وهو أجل الدنيا، وذلك بقيام الساعة وبعث الأموات من القبور.

وقوله: (أيها الكفار): بيان للمراد بالمخاطبين.
وقوله: (تشكُّون... إلى آخره): تفسير ﴿تَمْتَرُونَ﴾، والمعنيون بهذا هم الكفارُ الجاحدون للبعث، ومن الحجّة عليهم ما يعلمونه من النشأة الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].

وقوله: (مستحق للعبادة): هذا تفسير ﴿اللَّهِ﴾، فيكون معناه «الإله»، فمعنى الآية: وهو الإله في السموات وفي الأرض، فتكون نظير آية الزخرف: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وقوله: (ما تسرونه، وما تجهرون به بينكم): هذا تفسير قوله تعالى: ﴿سِرِّكُمْ وَجَهْرِكُمْ﴾.

وقوله: (تعملون...) إلى آخره: تفسير ﴿مَا تَكْسِبُونَ﴾^(١)، والكسب والعمل مترادفان أو متقاربان^(٢).

وقوله: (أهل مكة): بيان للمراد بالضمير المنصوب.

وقوله: (زائدة): وهي التي تأتي للتأكيد.

وقوله: (من القرآن): تفسير للآية والآيات بالآيات الشرعية، وهي آيات القرآن، ويحتمل أن يكون المراد بالآيات: الآيات الكونية^(٣)، وهو أظهر^(٤).

وقوله: (بالقرآن): تفسير للحق الذي كذب به الكفار، ومعلوم أن الحق الذي جاءهم به الرسول هو القرآن.

وقوله: (عواقب): تفسير ﴿بَنَوُا﴾؛ لأنَّ العواقب تنبئ بأسبابها خيرًا كانت أو شرًا.



(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥٥/٩).

(٢) ينظر: شمس العلوم لنشوان الحميري (٥٨٣٢/٩).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (١٢٨/٣)، والبحر المحيط (٤٣٦/٤).

(٤) وهو قول مقاتل والقرطبي، ونسبه الواحدي لأبي العالية وغيره. ينظر: تفسير مقاتل

(١/٥٤٩)، والتفسير البسيط (١٦/٨)، وتفسير القرطبي (٦/٣٩٠).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ مِنْكُمْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ فِجْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقَضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلٍ مِّنْ قَبْلِكُمْ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام].

يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى الْمَعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ اللهِ الْمَكْذِبِينَ بِالْحَقِّ مِنْ مُشْرِكِي قَرِيشٍ وَأَصْرَابِهِمْ بِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، وَقَدْ مَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ تَمَكِينًا لَمْ يُمَكِّنْ لِلْمُشْرِكِينَ مِثْلَهُ، وَأَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ بِالْمَطَرِ مَدْرَارًا؛ أَي: غَزِيرًا مُتتَابِعًا^(١)، وَجَعَلَ الْأَنْهَارَ تَجْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ، ثُمَّ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنْشَأَ بَعْدَهُمْ قَرْنًا آخَرِينَ، وَفِي هَذَا التَّذْكِيرِ تَهْدِيدٌ لِلْكَفَّارِ، وَتَحْذِيرٌ أَنْ يَصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَوْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ كِتَابًا مَكْتُوبًا فِي قِرطَابٍ فَتَحَقَّقُوا مِنْهُ وَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ؛ لَقَالَ الْكَافِرُونَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرٌ مُبِينٌ﴾، وَقَالُوا: لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ يَكُونُ نَذِيرًا مَعَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ﴾ لَعَجَّلُوا بِالْعُقُوبَةِ ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾؛ أَي: لَا يُمَهْلُونَ. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ جَعَلَ الرَّسُولَ إِلَيْهِمْ مَلَكَ لَجَعَلَهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَيْسَرُ عَلَيْهِمْ فِي التَّلْقِي، وَلِهَذَا لَمْ يَرْسَلِ اللهُ فِي الْأُمَمِ إِلَّا رَجُلًا، وَحِينَئِذٍ يُلَبَّسُ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ كَمَا يُلَبَّسُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَمُوهُونَ بِالشَّبَهَاتِ الَّتِي يَجْعَلُونَهَا عِذْرًا لَهُمْ فِي التَّكْذِيبِ وَرَدِّ دَعْوَةِ الرَّسُولِ عِنَادًا وَبَغْيًا.

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٠)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ١٥٥).

ثم أخبر تعالى مُسلياً لنيبه بأنه قد استهزئ برسلي من قبله، فأهلك الله الساعرين منهم برسلي الله بالعذاب الذي كانوا به يستهزئون.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾: خبرية بمعنى كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: أمة من الأمم الماضية؟ ﴿مَكَانَهُمْ﴾: أعطيناهم مكاناً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، بالقوة والسعة، ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ﴾: نُعْطِ لَكُمْ - فيه التفات عن الغيبة - ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: الْمَطَرَ ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾: مُتَابِعًا، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾: تحت مساكنهم، ﴿فَأَهْلَكْنَا هُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: بتكذيبهم الأنبياء، ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾. ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوباً ﴿فِي قِرطاسٍ﴾: رَقٌّ كما اقترحوه، ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ - أبلغ من «عائنه» لأنه أنفى للشك - ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: إِنَّ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. تَعْتُوا وَعِنَادًا. ﴿وَقَالُوا: لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على مُحَمَّدٍ ﴿مَلَكٌ﴾ يُصَدِّقُهُ. ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوه، فلم يؤمنوا، ﴿لَقَضِيَ الْأَمْرُ﴾ بهلاكهم، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم، من إهلاكهم عند وجود مُقترحهم، إذا لم يؤمنوا، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الْمُنزَلَ إِلَيْهِمْ ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الْمَلَكُ ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته، لِيَتِمَكَّنُوا مِنْ رُؤْيَيْهِ، إذ لا قوة للبشر على رؤية المَلَكِ، ﴿و﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿لَلْبَسْنَا﴾ شِبْهَنَا ﴿عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ على أنفسهم، بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم. ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ - فيه تسلية للنبي - ﴿فَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. وهو العذاب، فكذا يحق بمن استهزأ بك.

وقول المؤلف: (في أسفارهم...) إلى آخره: هذا يقتضي أن الرؤية في الآية بصرية، والأولى اعتبارها علمية؛ لتشمل ما شاهده وما لم يشاهده^(١).

وقوله: (خبرية بمعنى كثيراً): بيان لنوع «كم» وما تدل عليه.

وقوله: (أمة): تفسير لـ ﴿قَرْنٍ﴾^(٢).

وقوله: (أعطيناهم مكاناً): في هذا التفسير نظر، والأولى أن يقال: أعطيناهم أسباباً يقدرّون بها على مراداتهم^(٣).

وقوله: (بالقوة والسعة): هذا من معنى التمكين لا من معنى الأرض، بل الأرض موضع التمكين.

وقوله: (نعط): تفسير ﴿نُمَكِّنُ﴾، والتمكين: إعطاء أسباب القدرة.

وقوله: (فيه التفات عن الغيبة): لأنَّ ﴿لَكَرٍ﴾ ضمير مخاطبين، وما قبله من الضمائر للغائبين؛ فلذا عدّه المؤلف التفاتاً^(٤).

وقوله: (المطر): تفسير ﴿السَّمَاءِ﴾^(٥)، وسُمِّيَ المطر سماءً؛ لأنَّ منشأه ومبدأه السماء.

وقوله: (متتابعاً): تفسير ﴿مَدْرَارًا﴾، ليس كالذي يأتي حيناً وينقطع أحياناً.

وقوله: (تحت مساكنهم): يريد أن الكلام على حذف مضاف.

(١) قاله ابن عطية وأبو السعود. ينظر: المحرر الوجيز (٣/٣١٥)، وتفسير أبي السعود (١١٠/٣).

(٢) قاله أبو مالك غزوان الغفاري. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧١٠٩)، والدر المنثور (٢٥٠/٣).

تبييه: وقع تصحيف في تفسير ابن أبي حاتم طبعة أسعد محمد الطيب فأثبت: «القرن أمد»، والأظهر: «القرن: أمة» والتصويب من الدر المنثور (٣/٢٥٠)، وتفسير الماوردي (٧٦/٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٥٦)، والتفسير البسيط (٨/١٨-١٩).

(٤) ينظر: هامش (ص ٤١).

(٥) ينظر: الوجوه والنظائر للدماغاني (ص ٢٧٢)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٣٥٦).

وقوله: (بتكذيبهم الأنبياء): تفسير لـ «ذنوبهم».

وقوله: (مكتوب): تفسير «كتاب»، وكل ما كان مكتوباً يسمّى كتاباً.

وقوله: (رق): الرق: من أسماء القرطاس^(١)، ولو فسّره بالصحيفة كان أولى^(٢).

وقوله: (كما اقترحوه): إشارة إلى أنّ المشركين اقترحوا على الرسول أن يُنزل عليهم كتاباً في قرطاس.

وقوله: (أبلغ...) إلى آخره: يبين أنّ حاسة اللمس أبلغ في التحقق من الشيء من حاسة الرؤية.

وقوله: (ما): تفسير ﴿إِنَّ﴾، يعني أنها نافية.

وقوله: (تعتتاً وعناداً): يبين أنّ الحامل للكفار على ما قالوا هو العناد.

وقوله: (هلا): بيان لمعنى ﴿لَوْلَا﴾ التي للتحضيض.

وقوله: (على محمد): بيان للمراد بالضمير المجرور.

وقوله: (يُصدّقه): بيان لمقصودهم من اقتراح إنزال الملك.

وقوله: (كما اقترحوه فلم يؤمنوا): يريد أنّ المعنى: لو أُجيبوا إلى ما طلبوا فأنزل الملك ثم لم يؤمنوا؛ لقضي الأمر؛ أي: لهلكوا.

وقوله: (يُمهلون لتوبة...) إلى آخره: بيان لمعنى ﴿يُنظَرُونَ﴾، والإمهال نعمة؛ لأنه سببٌ للتدارك بالتوبة، وأشار المؤلف إلى سنة الله في الماضين الذين اقترحوا آيات فأجيبوا فلم يؤمنوا بأنهم لا يُمهلون.

وقوله: (أي: المنزل إليهم): لو قال: أي: المرسل إليهم؛ لكان أولى؛ لأنّ اعتراض المشركين على أن أرسل إليهم بشر، لذا طلبوا أن ينزل عليهم ملك.

(١) ينظر: عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس (ص ٤٥٤).

(٢) وهو قول السدي وقتادة وابن قتبية. ينظر: تفسير الطبري (٩/١٥٩-١٦٠)، وغريب القرآن لابن قتبية (ص ١٥٠).

وقوله: (أي: الملك): بيان لمرجع الضمير المنصوب.
 وقوله: (على صورته...) إلى آخره: بيان لمعنى ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾، وبيان
 لحكمة جعل الملك المنزل على صورة رجل؛ لأنهم لا يطيقون رؤية الملك،
 ولا يقدرّون على الأخذ عنه لو جاءهم على صورته.
 وقوله: (لو أنزلناه وجعلناه رجلاً): تقدير للمعطوف عليه في قوله:
 ﴿وَلَلْبَسْنَا﴾.

وقوله: (شبهنا) أي: جعلناه مُشْتَبِهًا مُلْتَبِسًا.
 وقوله: (على أنفسهم...) إلى آخره: يريد أن يبين أن المعنى: كما لبسوا
 على أنفسهم في شأن الرسول من البشر؛ كذلك سيفعلون إذا جاءهم الملك في
 صورة رجل.
 وقوله: (فيه تسليّة للنبي): بيان لحكمة الانتقال إلى الخبر بما جرى
 للرسول قبله من أقوامهم، وما جرى على أقوامهم من العقوبات.
 وقوله: (نزل): تفسير «حاق»؛ أي: نزل بالمكذّبين العذاب الذي كانوا
 به يستهزئون^(١).

وقوله: (وهو العذاب...) إلى آخره: بيان للمراد بالموصول ﴿مَا كَانُوا﴾،
 المعنى: وكذلك يفعل الله بالذين سخرّوا منك، واستهزؤا بعذاب الله، وفي
 هذا تسليّة للنبي ﷺ.



(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/١٦٥)، والثعلبي (١٢/٣٨).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ (١١) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ [الأنعام].

هذا أمر من الله لنبيه أن يقول للمشركين المكذبين: سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قبلكم، واحذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فهذه آثارهم وديارهم تمرُّون بها، وأمره تعالى أن يسألهم: لمن ملك ما في السموات والأرض؟ وأن يقول: هو لله، تقريراً لما يقرون به.

ثم أخبر تعالى أنه كتب على نفسه الرحمة؛ أي: أوجب على نفسه الرحمة، ثم فسّر هذه الرحمة بقوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (١)، فإنَّ جَمَعَ العباد إلى يوم يجزون فيه على أعمالهم، وينتصر فيه للمظلوم من الظالم رحمة من الله بعباده، وجاء الخبر بذلك بصيغة جواب القسم: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ لتضمن معنى ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ﴾ معنى القسم (٢)، فهذا الجمع وعدٌ محققٌ لأنه تعالى كتبه على نفسه، ولهذا قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. ثم أخبر عن سوء عاقبة الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء بأنهم قد خسروا أنفسهم؛ فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ثم أخبر تعالى بمُلْكِهِ لكل ما كان في الليل والنهار من سائر المخلوقات، فأخبر بمُلْكِهِ لِمَا في الزمان، كما أخبر بمُلْكِهِ لِمَا في المكان في قوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: إخبارٌ عن إحاطة سمعه تعالى وعِلْمِهِ بأقوال العباد وأحوالهم وأعمالهم، وفي كل هذا إثبات ربوبيته تعالى المستلزمة لإلهيته، فلا ربَّ غيره، ولا إله سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) ينظر: تفسير المهدي (٢/ ٥٦٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٩٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٩٧٠).

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ انظُرُوا: كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الرُّسُلَ، من هلاكهم بالعذاب؟ ليعتبروا. ﴿قُلْ: لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْ: لِلَّهِ﴾. إن لم يقوله، لا جواب غيره. ﴿كَتَبَ﴾: قضى ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، فضلاً منه. وفيه تَلَطُّفٌ، في دعائهم إلى الإيمان - ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، لِيُجَازِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، ﴿لَا رَيْبَ﴾: شكٌّ ﴿فِيهِ﴾. الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ، بتعريضها للعذاب: مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - ﴿وَلَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَا سَكَنَ﴾: حلٌّ ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: كُلُّ شَيْءٍ، فهو ربُّه وخالقه ومالكه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل.

وقول المؤلف: (لهم): بيان للمخاطبين؛ وهم المشركون. وقوله: (الرسول...) إلى آخره: تقدير لمفعول ﴿الْمُكْذِبِينَ﴾، وتعيين للمكذبين، وبيان للغاية من أمرهم بالنظر في عواقب المكذبين؛ وهي الاعتبار، فيحذروا أن يصيبهم ما أصابهم.

وقوله: (إن لم يقوله لا جواب غيره): يريد أن أمر النبي بالجواب ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ إذا لم يُجِبِ المشركون بما يُقَرُّون به، فإنه لا جواب لقوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلا أن يقال: ﴿لِلَّهِ﴾.

وقوله: (قضى): الصواب أن يقال: «أوجب»؛ لتعدية الفعل بـ ﴿عَلَى﴾^(١).

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٩٧٠)، والتفسير البسيط (٨/ ٣٤).

وقوله: (فضلاً منه...) إلى آخره: بيان لمنشأ أن كتب الله على نفسه الرحمة؛ وهو الفضل، فلا يجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه بفضله وحكمته البالغة^(١).

وقوله: (ليجازيكم بأعمالكم): بيان للغاية من جمعهم؛ وهي المجازاة على الأعمال.

وقوله: (بتعريضها للعذاب): بيان لسبب الخسار.

وقوله: (مبتدأ خبره) يريد: أن الاسم الموصول مبتدأ، وخبره قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فالجملة اسمية.

وقوله: (تعالى): يشير إلى مرجع الضمير المجرور؛ وهو الله.

وقوله: (حل): يريد أن معنى ﴿سَكَنَ﴾: وجد، فهي من السكنى لا من السكون^(٢).

وقوله: (أي: كل شيء...) إلى آخره: بيان لمعنى ﴿مَا﴾؛ وهو العموم، فيدخل في معناها كل موجود في الليل والنهار، وأنه مُلك لله يتصرف فيه كيف شاء، وهو ما تفيدُه اللام في قوله: «له»، فإنها للملك.

وقوله: (لما يقال) و(بما يفعل): بيان لمتعلق الاسمين الكريمين ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.



(١) أي: أوجبه الله على نفسه، تفضلاً منه وإحساناً؛ فإنه لا يجب على الله شيء بحكم العقل. ينظر: قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (ص ٩٦-١٠٤)، ومنهاج السنة (١/٤٥١-٤٥٤)، والكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد (ص ٢٩).

(٢) ينظر: ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن (ص ٢١٧)، والكشاف (٢/٣٢٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ قُلْ إِنَّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنَّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام].

هذا أمر من الله لنبية أن يقول للمشركين الذين اتخذوا من دون الله أولياء يخافونهم ويرجونهم: ﴿أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا﴾، وهذا استفهام إنكار معناه «النفسي»^(١)؛ أي: لا أتخذ وليًّا غير الله، فهو الذي أرجوه وأدعوه، ولا أعبد إلا إياه؛ لأنه فاطر السموات والأرض، وهو الذي يرزق عباده، وهو غني عنهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

ثم أمر الله نبيه أن يقول للمشركين: ﴿إِنَّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله بإخلاص الدين له، وعبادته وحده، ونهيت أن أكون من المشركين. ثم أمر الله نبيه أن يقول: ﴿إِنَّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾، ذلك العذاب الذي من يُصْرَفْ عنه يوم القيامة فقد رحمه الله، ومن رحمه الله وصرف عنه العذاب فقد فاز فوزًا بيِّنًا، وهذا معنى قوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ثم أخبر تعالى أنه المتفردُ بكشف الضر وجلب الخير، فلا مانع لِمَا أعطى، ولا مُعْطِي لِمَا منع؛ لأنه على كل شيء قدير. ثم أثنى تعالى على نفسه

(١) ينظر: التفسير الوسيط (٢/٢٥٦)، وزاد المسير (٢/١٣).

بأنه القاهر لكل شيء، فكلُّ شيءٍ في قبضته، وهو فوق عباده مستوٍ على عرشه، وهو الحكيم في تدبيره، الخبير بعباده، وبمواضع فضله وعدله.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا﴾ أعبده، ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مُبْدِعُهُمَا، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾: يَرْزُقُ ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾: يُرْزَقُ؟ لا. ﴿قُلْ﴾: إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴿لِلَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ﴾، وَقِيلَ لِي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به. ﴿قُلْ﴾: إِنِّي أَخَافُ، إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴿بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ﴾، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿مَنْ يُصِرْفُ﴾ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ أَي: الْعَذَابُ، وَلِلْفَاعِلِ أَي: اللَّهُ. وَالْعَائِدُ مَحذُوفٌ - ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ تَعَالَى، أَي: أَرَادَ لَهُ الْخَيْرَ. ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: النِّجَاةُ الظَّاهِرَةُ. ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: بِلَاءٍ، كَمَرَضٍ وَفَقْرٍ، ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رَافِعَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ، كصِحَّةٍ وَغِنَى، ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وَمِنْهُ مَا مَسَّكَ ^(١) بِهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِ عَنْكَ غَيْرُهُ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾: الْقَادِرُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، مُسْتَعْلِيًّا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴿فِي خَلْقِهِ﴾، ﴿الْخَبِيرُ﴾ بِبِوَاطِنِهِمْ كظواهرهم.

وقول المؤلف: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول؛ وهم المشركون. وقوله: (أعبده): لأن المراد بالولي الإله. وقوله: (مبدعهما): تفسير ﴿فَاطِرِ﴾؛ أي: مبتدئ خلقهما ^(٢).

(١) هذا ما رجحه شيخنا حَفِظَهُ اللَّهُ: «مَا مَسَّكَ»، وفي الأصل: «مَسَّكَ».

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥١)، وتفسير الطبري (٩/ ١٧٥).

وقوله: (يرزق): تفسير ﴿يُطْعَمُ﴾، وعبر بالإطعام عن الرزق؛ لأنَّ الطعام أهم ما يحتاج إليه الإنسان، وأنفع ما يكون للأبدان^(١).

وقوله: (لا): بيان لمعنى الاستفهام وهو النفي؛ لأنه إنكاري، فالمعنى: لا أتخذ غير الله وليًّا.

وقوله: (لله من هذه الأمة): بيان لمتعلق الاستسلام ومتعلق الأولوية.

وقوله: (وقيل لي): يريد أن المعنى: ونهيت أن أكون من المشركين.

وقوله: (به) أي: بالله.

وقوله: (بعبادة غيره): قيّد المعصية بذلك؛ مراعاة للمقام وسياق الكلام.

وقوله: (هو يوم القيامة): تفسير لليوم العظيم.

وقوله: (بالبناء للمفعول...) إلى آخره: يشير إلى القراءتين في «يصرف»^(٢)

بالبناء للمفعول، ونائب الفاعل: العذاب، وبالبناء للفاعل، والفاعل: الله، والتقدير: مَنْ يَصْرِفُ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْهُ.

وقوله: (أراد له الخير): تفسير ﴿رَحْمَةً﴾، وفَسَّرَ الرحمة بالإرادة؛ لأنه

على طريقة مَنْ لَا يُثَبِّتُ حَقِيقَةَ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فيتأولها بالإرادة^(٣)، وهذا خلاف مذهب أهل السنَّة^(٤).

وقوله: (النجاة): تفسير للفوز بالنجاة من العذاب.

وقوله: (الظاهرة) أي: البينة، تفسير «مبين».

وقوله: (بلاء، كمرض، وفقر): تفسير «ضر».

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٣/٣٢٤)، وتفسير القرطبي (٦/٣٩٧).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩١)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٦-٢٥٧).

(٣) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص ١٦٥)، وتحفة المرید علی جوهره التوحيد (ص ٢٥).

(٤) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (ص ٧٦).

وقوله: (رافع): تفسير ﴿كَاشَفَ﴾.

وقوله: (كصحة وغنى): مثال للخير.

وقوله: (ومنه ما مسك به...) إلى آخره: يريد أن ما مسَّ الإنسان من ضرٍّ وخيرٍ هو مقدور لله، فهو داخلٌ في عموم ﴿كُلِّ﴾، وما أراد الله كونه فلا مردَّ له.

وقوله: (القادر...) إلى آخره: هذا من التفسير باللازم. وقوله: (مستعليًا):

يشير إلى ما في معنى ﴿الْقَاهِرُ﴾ من الغلبة.

وقوله: (في خلقه): بيان لمتعلق ﴿الْحَكِيمُ﴾.

وقوله: (ببواطنهم كظواهرهم): يريد أن ﴿الْخَيْرُ﴾ يتضمن العلم بما يُسرُّ

العباد وبما يعلنون.



وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام].

هذا أمرٌ من الله لنبية أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾، وأمره أن يجيب؛ لأنَّ المشركين لن يجيبوا، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، وشهادته أكبر شهادة، وأعدل شهادة، وسيحكم بيني وبينكم بالحق، وأن يقول لهم: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، وأن يقول لهم مستفهماً ومنكراً: ﴿أَتَيْكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى﴾، ويقول لهم: «لا أشهد أن مع الله آلهة أخرى»، ويقول لهم: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾﴾. ثم أخبر أن الذين أوتوا الكتاب يعرفون هذا الرسول وهذا القرآن؛ لأنهم قرؤوا ذكره وصفته في كتبهم التوراة والإنجيل، كما في قوله تعالى: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا أُمَّهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآيات، وفي هذا حجة على المشركين في تكذيبهم للرسول. ثم أخبر أن الذين خسروا أنفسهم بالشرك والتكذيب والجحد لما عرفوا من الحق فهم لذلك لا يؤمنون. ثم أخبر تعالى أنه لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته، وهذه حال المشركين؛ قد افتروا على الله الكذب بالشرك، وكذبوا بآيات الله التي جاء بها الرسول؛ وهي آيات القرآن. ثم حكم الله عليهم بحرمان الفلاح بسبب ظلمهم؛ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ونزل، لَمَّا قالوا للنبيِّ: «اِئْتِنَا بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِالنَّبُوَّةِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْكَرُوكَ»: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾؟ تمييزٌ محوّل عن المبتدأ. ﴿قُلْ: اللَّهُ﴾. إن لم يقولوه. لا جواب غيره. هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي. ﴿وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ﴾ - يا أهل مكة - ﴿بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾: عطف على ضمير «أنذركم» أي: بلغه القرآن من الإنس والجن. ﴿أَأَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾؟ استفهام إنكار. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك. ﴿قُلْ: إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا، بنعته في كتابهم، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ منهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به. ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمَ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، بنسبة الشريك إليه، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: القرآن؟ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك.

وقول المؤلف: (ونزل...) إلى آخره: إشارة إلى سبب نزول هذه الآيات^(١). وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين؛ وهم المشركون. وقوله: (تمييز...) إلى آخره: بيان لوجه نصب ﴿شَهَادَةً﴾، وأن التقدير: شهادة أي شيء أكبر^(٢).

وقوله: (إن لم يقولوه...) إلى آخره: يبين أن أمر النبي بأن يجيب محله إذا لم يجيبوا، وأن هذا الجواب متعين إذ لا جواب غيره. وقوله: (هو): يبين أن التقدير: هو ﴿شَهِيدٌ﴾.

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ٢١٤).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٨٦)، والدر المصون (٤/٥٧٦).

وقوله: (على صدقي): بيان لمضمون الشهادة.
 وقوله: (يا أهل مكة): بيان للمراد بضمير الخطاب المنصوب.
 وقوله: (عطف...) إلى آخره: بيان للمعطوف عليه وهو الكاف في
 «أُنذِرْكُمْ». وقوله: (من الإنس والجن): بيان لما يدخل في عموم «مَنْ».
 وقوله: (استفهام إنكار): يريد أن الاستفهام معناه الإنكار عليهم، فمعناه
 النهي عن هذه الشهادة الباطلة^(١).

وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول؛ وهم المشركون.
 وقوله: (بذلك): بيان لمتعلق الشهادة المنفية؛ وهو ما شهد به المشركون.
 وقوله: (معه من الأصنام): بيان لمعمول ﴿تُشْرِكُونَ﴾.
 وقوله: (أي: محمداً...) إلى آخره: بيان لمفسر الضمير المنصوب،
 ولطريق هذه المعرفة.

وقوله: (منهم) أي: من الذين أوتوا الكتاب.
 وقوله: (به): بيان لمتعلق الإيمان، والمراد: الرسول ﷺ.
 وقوله: (أي: لا أحد): بيان لمعنى الاستفهام؛ وهو النفي^(٢).
 وقوله: (بنسبة الشريك إليه): بيان للمراد بالأظلم؛ وأنه المشرك.
 وقوله: (القرآن؟): بيان للمراد بالآيات؛ وأنها آيات القرآن.
 وقوله: (أي: الشأن): يريد أن الضمير ضمير الشأن^(٣)؛ أي: الأمر الذي
 يراد بيانه.

وقوله: (بذلك): بيان للمراد بالظلم، وهو ما تقدّم من الكذب والتكذيب.



(١) ينظر: التفسير البسيط (٤٩/٨)، وزاد المسير (١٥/٢).
 (٢) ينظر: التفسير البسيط (٥٢/٨)، وتفسير النسفي (٤٩٦/١).
 (٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٦٣/٢)، والتحرير والتنوير (١٧٢/٧).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٣٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا أَيْتَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام].

يُذَكِّرُ تعالى في هذه الآيات باليوم العظيم - يوم القيامة - حين يُحْشِرُ المشركون، فيؤبِّخون ويُسألون عن شركائهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فيقال لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؟ أين هم اليوم وأنتم أحوج ما تكونوا إلى من ينصركم؟ أين هم؟ لن ينصروكم؛ فيجيبوا بجحد أن يكونوا مشركين ويحلفون على ذلك قائلين: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ثم يعجب الله من حالهم في كذبهم على أنفسهم مع ذهاب آهتهم عنهم، وذلك قوله تعالى: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. ثم أخبر تعالى أن من المشركين من يستمع إلى الرسول ﷺ حين يقرأ القرآن، ولكن الله جعل على قلوبهم أكِنَّةً؛ أي: أغطيةً وحوائل تحول بينهم وبين فهم القرآن^(١)، وجعل في آذانهم وقْرًا؛ أي: ثقلاً^(٢)، فلا يسمعون ما يُتلى عليهم، ومن أجل ذلك لا يؤمنون بأي آية، ولو رأوا كل آية يرسل الله بها تصديقاً لرسوله.

ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ أي: إذا جاءك هؤلاء المشركون، جاؤوا مُصْرِّينَ على التكذيب، ولذا يجادلونك فيما تتلوا عليهم من القرآن، فيقولون ما هذا إلا أساطير الأولين، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء الكفار ينهون الناس عن استماع القرآن، واتباع الرسول، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٥٧)، والمفردات (ص ٧٢٧).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٨٨٠).

تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ [فصلت]، وينأون عنه بأنفسهم؛ أي: يتعدون فلا يؤمنوا به. وقوله: ﴿وَأَنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: بتعريضها للعذاب، وما يضرُّون بذلك غيرهم. وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون قُبْحَ فعلهم وسوء عاقبته، وقد اختلف في المراد بهذه الآية^(١)؛ فقيل: كفار قريش، وقيل: المراد أبو طالب؛ فقد كان ينهى عن إيذاء الرسول والتعدي عليه، ومع ذلك ينأى عن الإيمان به، واختار ابن جرير وابن كثير القول الأول^(٢)؛ لدلالة سياق الآيات عليه من قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾.

﴿و﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخًا: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله؟ ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ -بالتاء والياء- ﴿فَتَنَّتَهُمْ﴾، بالنصب والرفع، أي: معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا﴾ -بالجر: نعتٌ، والنصب: نداءٌ- ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. قال تعالى: ﴿انظُرْ﴾ -يا مُحَمَّد- ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، بنفي الشرك عنهم، ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ -ه على الله من الشركاء؟ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية، ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾: يفهموا القرآن، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: صممًا فلا يسمعون سماع قبول، ﴿وَأِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا -حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ، يُجَادِلُونَكَ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: إِنَّ﴾: ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ أساطيرُ: ﴿أَكاذيبُ﴾ الأولين، كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة بالضم- ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾، أي: عن اتباع النبي، ﷺ ﴿وَيَنَآوُونَ﴾: يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾، فلا يؤمنون به -وقيل: نزلت في أبي طالب، كان ينهى

(١) ينظر: زاد المسير (١٨/٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٠٥-٢٠٦)، وابن كثير (٣/٢٤٧).

عن أذاه ولا يؤمن به - ﴿وإن﴾: ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إلا أنفسهم﴾،
لأن ضرره عليهم، ﴿وما يشعرون﴾ بذلك.

وقول المؤلف: (اذكر): بيان للعامل المقدر في «يوم».
وقوله: (توبيخًا): بيان للمقصود من سؤالهم.
وقوله: (أنهم شركاء لله؟): بيان لما كانوا يزعمون في شركائهم، والجملة
في موضع نصب بـ«يزعمون».
وقوله: (بالتاء والياء): إشارة إلى قراءتين في الآية: «تكن» و«يكن»^(١).
وقوله: (بالنصب، والرفع): إشارة إلى قراءتين في الآية^(٢).
وقوله: (أي: معذرتهم): يريد حجَّتْهم^(٣).
وقوله: (أي: قولهم): يريد المؤلف أن الجملة مصدر مؤول.
وقوله: (بالجر...) إلى آخره: فيه الإشارة إلى قراءتين في «رب»^(٤)، بالجر
على البدل من الله، وبالنصب على النداء؛ فيكون منادى^(٥).
وقوله: (قال تعالى: «انظر»): يريد أن أمرهم عجيب؛ لأن الله عجب
منهم بقوله: ﴿انظر﴾.
وقوله: (يا محمد): بيان للمخاطب.
وقوله: (بنفي الشرك عنهم): بيان للكذب الذي أضافه الله إليهم.

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٧).

(٢) أي: «فَتَنَّتْهُمْ» و«فَتَنَّتْهُمْ». تنظر المراجع السابقة.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧١٧٦)، وابن كثير (٣/٢٤٦).

(٤) المراد: «ربنا». ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٧).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٤/٤٦٦)، والدر المصون (٤/٥٧٤).

وقوله: (غاب...) إلى آخره: يبين أنَّ المعنى: غاب عنهم شركاؤهم الذين اتخذوهم آلهة مع الله افتراء على الله.

وقوله: (إذا قرأت): بيان لوقت استماعهم.

وقوله: (أغطية): تفسير ﴿أَكْتَنَ﴾.

وقوله: (ل «أن»): يبين أنَّ المصدر المؤول في جر بلام التعليل.

وقوله: (لا): يبين أنَّ المراد نفي فقههم لما يسمعون من القرآن.

وقوله: (يفهموا): تفسير «يفقهوا»؛ لأنَّ معنى الفقه الفهم^(١).

وقوله: (صممًا...) إلى آخره: تفسير للوقر، وأصل الوقر الثقل^(٢)، وما لا يسمع يقال في أذنيه وقرُّ أو في سمعه ثقل، والله جعل الأكنة على قلوبهم، والوقر في أذانهم عقوبةً على تكذيبهم وإعراضهم عن الإيمان أول مرة.

وقوله: (ما): بيان لمعنى ﴿إِنْ﴾؛ لأنها نافية.

وقوله: (القرآن): بيان للمراد باسم الإشارة.

وقوله: (أكاذيب): تفسير ﴿أَسْطِيرٌ﴾؛ وهي الأكاذيب التي يُسَطِّرُها الكذابون^(٣).

وقوله: (كالأضاحيك والأعاجيب): يريد القصص التي يُراد منها إضحاك الناس وإثارة العجب عندهم.

وقوله: (جمع أسطورة بالضم): بيان للفظ الواحدة من الأساطير^(٤).

وقوله: (الناس): بيان لمفعول ﴿يَنْهَوْنَ﴾.

وقوله: (أي): عن اتباع النبي ﷺ: بيان لمفسر الضمير المجرور.

(١) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٢٤٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٣٢)، ولسان العرب (٥/ ٢٨٩).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٤٠٩-٤١٠).

(٤) ينظر: لسان العرب (٤/ ٣٦٣).

وقوله: (يتباعدون): تفسير «ينأون»، يقال: ناء الشيء إذا بُعد، والنائي: البعيد^(١).

وقوله: (فلا يؤمنون به) أي: بالرسول ﷺ، فنأيهم عنه معنويٌّ بترك الإيمان به.

وقوله: (وقيل: نزلت...) إلى آخره: يشير إلى ما قيل في المراد بهذه الآية، وهو القول الثاني، ولذا قيل أنها نزلت في أبي طالب، ومعنى الآية على هذا: أن أبا طالب كان ينهى أن يُمسَّ الرسول بأذى، ويدفع عنه مَنْ يريد به سوءاً، ولكنه ينأى عنه بترك الإيمان به ﷺ.

وقوله: (ما): تفسير لـ «إن»، يبين أنها نافية.

وقوله: (بالنأي عنه): بيان لسبب إهلاكهم أنفسهم.

وقوله: (لأن ضرره عليهم): بيان لمعنى الاستثناء، وهو أن ضرر ترك الإيمان واقعٌ عليهم لا على غيرهم.

وقوله: (بذلك): بيان لمتعلق ﴿يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أن ضرر عدم الإيمان مختصٌّ بهم.



(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٢)، وللسجستاني (ص ٥٠٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِبَايَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتْنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى عن فظاعة موقف الكفار حين يُوقَفون على النار، وعِظَم الهول الذي يغشاهم، وحينئذ يتمنون الردَّ إلى الدنيا ليؤمنوا بآيات الله فيكونوا من المؤمنين، ثم أخبر تعالى أنهم في هذا الموقف العصيب بدا لهم - أي: ظهر لهم - ما كانوا يُخفون من قبل، وأصحُّ ما قيل في المراد بالذي كانوا يُخفون من قبل: هو علمهم بصدق الرسل، وكانوا يجحدون ذلك^(١)؛ كما قال تعالى في فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وقال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُنَالَا إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ففي يوم القيامة يظهر لهم ما كانوا يُصدِّقون به مما أخبرت به الرسل من البعث والحشر والحساب والجزاء حتى يقولوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس]، ثم أكذبهم الله في قولهم: ﴿يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِبَايَاتِ رَبِّنَا﴾، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾. ثم أخبر تعالى أنهم لو رُدُّوا لعادوا لِمَا نُهُوا عنه من التكذيب بآيات الله وبالיום الآخر، وقالوا: ﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾. ثم أخبر تعالى أن الكفار بعد عرضهم على النار يُوقَفون عند ربهم فيسألهم سؤالاً تقرّيع: أليس هذا بحق؟

(١) رجحه ابن القيم، وذكره ابن كثير احتمالاً. ينظر: عدة الصابرين (ص ٣٥٥-٣٥٩)، وتفسير ابن كثير (٣/٢٤٨).

أي: أليس ما رأيتم من النار حقًا؟ فيجيبون بالإقرار قائلين: بلى وربنا، فيقول الله لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٣٠)، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُوقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٣١).

ثم أخبر تعالى عن خسران الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة أظهروا الندم والتحسّر على تكذيبهم بالساعة، وتفريطهم في العمل لها؛ فقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُ تَأَعَّلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوزارهم على ظهورهم﴾^(٣٢) أي: يحملون ذنوبهم أثقالاً على ظهورهم، والله تعالى قادرٌ على أن يجعل أعمال الكفار أجساماً تحمل على الظهور، كما يجعل الأعمال الصالحة أجساماً يثقل بها الميزان^(٣٣).

وقوله: ﴿الْأَسَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾^(٣٤): ذمٌ لِمَا يحملون من الذنوب. وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣٥): هذا تعريفٌ من الله لحقيقة الحياة الدنيا - وهي الحياة العاجلة - والدار الآخرة - الجنة -، فالحياة الدنيا أهم ما فيها عند مؤثرها اللهو واللعب؛ لهو القلوب، ولعب الأبدان، وهي مع ذلك ممزوجة بالهموم والغوم والأحزان، والابتلاء بالخوف والجوع، والنقص من الأموال والأنفس والثمرات، والدار الآخرة خالية من هذا كله، مع ما فيها من أصناف النعيم من المآكل والمشارب والمسكن والمناجح والملابس والمناظر، ولكن الله خصّها بالمتقين من عباده، وهم الذين آثروها على الدنيا، وعملوا لها فنالوا بذلك الفوز العظيم، ولهذا كان من آثر الدنيا على الآخرة مع هذا التباين العظيم أسفة الناس، وأنقصهم عقلاً،

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص ٣٠٩).

ولهذا قال تعالى موبخاً لهؤلاء: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ المعنى: أتؤثرون الدنيا على الآخرة فلا تعقلون.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ - يا مُحَمَّد - ﴿إِذْ وَقَفُوا﴾: عَرَضُوا ﴿عَلَى النَّارِ﴾، فَقَالُوا: يا ﴿- للتنبيه -﴾ ﴿لَيْتَنَّا نُرَدُّ﴾ إِلَى الدُّنْيَا، ﴿وَلَا نَكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا﴾، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَرَعَ الْفَعْلَيْنِ اسْتِثْنَاءً، وَنَصَبَهُمَا فِي جَوَابِ التَّمَنِّيِّ، وَرَفَعَ الْأَوَّلَ وَنَصَبَ الثَّانِي. وَجَوَابُ «لَوْ»: لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا. قَالَ تَعَالَى ﴿بَل﴾ - لِلإِضْرَابِ عَنِ إِرَادَةِ الْإِيمَانِ الْمَفْهُومِ مِنَ التَّمَنِّيِّ - ﴿بَدَأ﴾: ظَهَرَ ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾: يَكْتُمُونَ، بِقَوْلِهِمْ: «وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»، بِشَهَادَةِ جَوَارِحِهِمْ، فَتَمَنَّوْا ذَلِكَ، ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إِلَى الدُّنْيَا فَرَضًا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ مِنَ الشَّرْكِ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي وَعْدِهِمْ بِالْإِيمَانِ. ﴿وَقَالُوا﴾ أَي مُنْكَرُوا وَبَعَثُوا: ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هِيَ﴾ أَي: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ. وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا ﴿عَرَضُوا﴾ عَلَى رَبِّهِمْ ﴿لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا﴾. ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيخًا: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ الْبَعْثُ وَالْحِسَابُ ﴿بِالْحَقِّ؟﴾ قَالُوا: بَلَىٰ وَرَبَّنَا ﴿إِنَّهُ لِحَقٌّ﴾. ﴿قَالَ﴾: فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿بِهِ فِي الدُّنْيَا﴾. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بِالْبَعْثِ. ﴿حَتَّى﴾ - غَايَةً لِلتَّكْذِيبِ - ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾: الْقِيَامَةُ ﴿بَغْتَةً﴾: فَجَاءَتْ ﴿قَالُوا﴾: يَا حَسْرَتَنَا ﴿- هِيَ شِدَّةُ التَّأَلُّمِ، وَنَدَاؤُهَا مَجَازٌ أَي: هَذَا أَوْ أُنْكَ فَاحْضُرِي -﴾ ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا﴾: قَصَّرْنَا ﴿فِيهَا﴾ أَي: الدُّنْيَا. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾، بِأَنَّ تَأْتِيَهُمْ عِنْدَ الْبَعْثِ فِي أَقْبَحِ شَيْءٍ صُورَةً وَأَتْنَهَ رِيحًا فَتَرْكِبُهُمْ. ﴿أَلَا سَاءَ﴾: بِئْسَ ﴿مَا يَزُرُونَ﴾: يَحْمِلُونَهُ حِمْلُهُمْ ذَلِكَ! ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، أَي: الْإِشْتِغَالُ فِيهَا ﴿إِلَّا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ﴾، وَأَمَّا الطَّاعَةُ وَمَا يُعِينُ عَلَيْهَا فَمِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ - وَفِي

قراءة «ولدارُ الآخرة» - أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشُّرَكَ. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، بالياء والتاء، ذلك فيؤمنون؟

وقول المؤلف: (يا محمد): بيان للمخاطب، والأولى أنه خطابٌ لكل مَنْ يصلح له^(١).

وقوله: (عرضوا): تفسير ﴿وَقِفُوا﴾؛ لأنَّ مَنْ وقف على الشيء فقد عُرِضَ عليه.

وقوله: (للتنبية): بيان للمراد من ياء النداء.

وقوله: (إلى الدنيا): بيان لمتعلق الرد.

وقوله: (برفع الفعلين...) إلى آخره: أولاً: فيه الإشارة إلى ثلاث قراءات؛ رفعُ الفعلين «لا نكذب»، و«نكون»، ونصبُهُما، ورفعُ الأول^(٢)؛ فالرفع على الاستئناف، والنصب بأن مضمرة في جواب التمني^(٣). ثانياً: قدر جواب لو؛ وهو قوله: «لرأيت أمراً هائلاً».

وقوله: (قال تعالى): يبين بذلك أن ما بعده كلام مستأنف خبر من الله تعالى.

وقوله: (للإضراب...) إلى آخره: بيان لما تدل عليه «بل» من الإضراب.

وقوله: (ظهر): تفسير ﴿بَدَا﴾^(٤).

(١) ذكر غير واحد من المفسرين هذه الآية مثلاً في الخطاب الذي يراد به كل مَنْ يصلح للخطاب. ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي (٨/ ١٥٥)، وتفسير الألوسي (٨/ ٥٢)، (١٤/ ١٧٣)، والتحرير والتنوير (٧/ ٦٣).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٧).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٥٦٨)، والدر المصون (٤/ ٥٨٥) وما بعدها.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ١١٣).

وقوله: (يكتمون): تفسير ﴿يُخْفُونَ﴾.

وقوله: (بقولهم: «والله ربنا...») إلى آخره: مضمون كلامه أن الذي أخفوه هو الشرك حين قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام]، وذلك قبل شهادة الجوارح عليهم بشركهم، وفي هذا نظر^(١)؛ فإن لفظ الآية يأباه، فإن قوله: ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أدل على أن الإخفاء كان في الدنيا قبل بعثهم وعرضهم على النار، وانظر ما ذكر في التفسير^(٢)؛ فإن الذي كانوا يخفونه هو تصديقهم للرسول، ويظهرون الجحد، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّأْتِ اللَّهُ بِجَحْدُونَ﴾ [الأنعام]^(٣).

وقوله: (إلى الدنيا): بيان لمتعلق الرد.

وقوله: (فرضًا) أي: تقديرًا؛ لأن الرد إلى الدنيا محال، فذكره وما يترتب عليه على سبيل الفرض والتقدير.

وقوله: (من الشرك): بيان لمتعلق النفي.

وقوله: (في وعدهم بالإيمان): بيان لمتعلق «كذبهم».

وقوله: (أي منكر و البعث): بيان لمفسر الواو في «قالوا».

وقوله: (ما): تفسير «إن»؛ لبيان أنها نافية.

وقوله: (أي: الحياة): بيان للمراد بالضمير المنفصل.

وقوله: (عرضوا): تفسير ﴿وَقِفُوا﴾.

وقوله: (لرأيت أمرًا عظيمًا): تقدير جواب «لو».

(١) ينظر الخلاف في: التفسير البسيط (٧٨/٨)، وزاد المسير (٢٠/٢).

(٢) أي ما ذكره شيخنا حَفِظَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية قريبًا، وهو ما رجحه ابن القيم كما تقدّم.

(٣) تنظر: (ص ٢٣٢).

وقوله: (على لسان الملائكة توبيخًا): هذا تأويلٌ وصرفٌ للكلام عن ظاهره، والصواب أن الله قال لهم ذلك بكلامٍ تكلم به بنفسه، وسمعه منه^(١).
 وقوله: (البعث والحساب): بيان للمشار إليه.
 وقوله: (إنه لحق): بيان لمضمون جوابهم.
 وقوله: (به في الدنيا): بيان لمتعلق كفرهم؛ وهو البعث.
 وقوله: (بالبعث): هذا تأويل وتفسير للفظ بلازمه.
 وقوله: (غاية للتكذيب): جعل ﴿حَقًّا﴾ هنا للغاية فيه نظر، والصحيح أنها ابتدائية^(٢).

وقوله: (القيامة): تفسير ﴿السَّاعَةَ﴾، وهما اسمان لليوم الآخر.
 وقوله: (فجأة): تفسير ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: دون تقدم ما يشعر بها^(٣).
 وقوله: (هي شدة التألم...): إلى آخره: تفسير الحسرة، قال: ونداؤها مجاز؛ لأنها ليست مما ينادى، ونداؤها استدعاءً لحضورها بحضور أسبابها^(٤).
 وقوله: (قصرنا): تفسير ﴿فَرَطْنَا﴾، والتفريط في الشيء: إضاعته بترك حفظه^(٥).

وقوله: (أي: الدنيا): بيان لوقت التفريط؛ وهي مرجع الضمير المجرور.

(١) وزعموا أن «على» بمعنى «عند»؛ لأن ظاهر الآية يدل على أن الله في حيزٍ ومكان في زعمهم، ولهم تأويلات أخرى للآية. ينظر: تفسير الرازي (١٢/٥١١)، والقرطبي (٦/٤١١)، والبحر المحيط (٤/٤٨٠).

(٢) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١/٢٦٣)، والتحرير والتنوير (٧/١٨٩).

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٣)، والمفردات في غريب القرآن (ص ١٣٥).

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٤٩٠)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٥٧٢).

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٦٣١٩)، ولسان العرب (٧/٣٦٨).

وقوله: (بأن تأتيهم...) إلى آخره: تفسير «حمل الأوزار» بما ورد في بعض الآثار^(١).

وقوله: (بئس): تفسير ﴿سَاءَ﴾، وهما فعلان للذم.
وقوله: (يحملونه): يحملون تفسير ﴿يَزْرُونَ﴾^(٢)، والضمير يعود للاسم الموصول ﴿مَا﴾.

وقوله: (حملهم ذلك!): بيان للمخصوص بالذم.
وقوله: (أي: الاشتغال فيها): يريد أعمال الدنيا؛ وهي اللهو واللعب.
وقوله: (وأما الطاعة...) إلى آخره: يبين أن العمل في هذه الحياة نوعان: عمل للدنيا؛ وهو اللهو واللعب، وعمل للآخرة؛ وهو كل الطاعات.
وقوله: (وفي قراءة...) إلى آخره: يشير إلى أن في الآية قراءتين^(٣): بتعريف الدار بآل، وبإضافة الدار إلى الآخرة من إضافة الموصوف إلى صفته، ثم بين أن المراد بها الجنة^(٤).

وقوله: (الشرك): خصّه لأنه شر ما يُتقى، ولأنّ من اتقى الشرك يدخل الجنة، ولا بد.

وقوله: (بالياء والتاء): إشارة إلى قراءتين «يعقلون»، و«تعقلون»^(٥).
وقوله: (ذلك): تقدير لمفعول «يعقلون»، والمشار إليه أمر الدنيا والآخرة.
وقوله: (فيؤمنون؟): لأنّ من عقل أمر الدنيا والآخرة آمن بالله واليوم الآخر، وآثر الدار الآخرة على الدنيا.



- (١) ينظر: تفسير الطبري (٢١٦-٢١٧)، وابن أبي حاتم (١٢٨١/٤).
- (٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٤٢/٢)، وزاد المسير (٢٢/٢).
- (٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٣)، والنشر في القراءات العشر (٢٥٧/٢).
- (٤) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ٢١٣)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٢٩٢).
- (٥) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٣)، والنشر في القراءات العشر (٢٥٧/٢).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى في هذه الآيات مُسلياً لنبيه بأنه يعلم حزنه مما يقول له المشركون من السب والذم والاستهزاء بما يتلو عليهم من القرآن، وما يتوعددهم به من عذاب الله، ويخبره تعالى بأنهم لا يكذبونه، بل هو عندهم الصادق الأمين، ولكنهم يجحدون ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٢﴾﴾، ثم أخبر تعالى بأمرٍ آخر يُسلي نبيه، ويُهون عليه ما يلقي من الأذى، ويكون له فيه أسوة؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾، وبين تعالى أن سنته في رسله بنصرهم لا تتبدل، وأنه قد فصل في كتابه من أنبائه ما يصدق ما أخبر به في هذه الآية؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾، ثم بين تعالى لرسوله أنه لا يستطيع هداية من كفر به وأعرض عن قبول دعوته، ولا يستطيع أن يأتيهم بآية أرضية أو سماوية ليقبلوا ما جاء به؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ أي: عظم وشق عليك إعراضهم عنك، ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾، إن استطعت أن تشق نفقاً في الأرض أو تتخذ سلماً في السماء لتأتيهم بآية، ولكنك لا تستطيع ذلك. ثم أخبر تعالى أنه القادر على هدايتهم جميعاً؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٥): نهي من الله لنبيه أن يكون من الجاهلين فلا يعلم عجزه عن هداية المعرضين عن الحق، وأنَّ القادر على ذلك هو الله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٤٦) [يونس]، وقال هنا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾، ويشهد لهذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) [القصص].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: يخبر تعالى نبيه أنه لا يستجيب له إذا دعاهم إلى الإيمان إلا الذين يسمعون سماع قبول وتفهم؛ وهم المؤمنون، والموتى - وهم الكفار -؛ فإنهم كالأموات، يبعثهم الله بأن يمنَّ على من شاء منهم بالهداية فيحيون بالإيمان، وهذا كالبعث من القبور^(١).

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: يعني يوم القيامة، فينبئهم بما عملوا، ويجزيهم بأعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم؛ لذلك يطالبون الرسول ﷺ أن تنزل عليه آية من السماء تدلُّ على صدقه، فأمر الله نبيه أن يقول لهم: إنَّ الله قادر على ذلك، فلو شاء لأنزل آية، ولكن أكثر هؤلاء الكفار لا يعلمون قدرة الله وحكمته.

﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿تَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ أي: الشان ﴿لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السرِّ، لعلمهم أنك صادق - وفي قراءة بالتخفيف - أي: لا ينسبونك إلى الكذب، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ - وضعه موضع المضمَر - ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾: يكذبون، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ - فيه تسلية للنبي - ﴿فَصَبِّرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٢٩)، والمحرر الوجيز (٣٨/٣٥٥) وما بعدها.

وأودوا، حتى أتاهم نصرنا ﴿بإهلاك قومهم﴾. فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك، ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾: مواعيده. ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ ما يسكن به قلبك. ﴿وإن كان كبر﴾ عظم ﴿عليك إعراضهم﴾ عن الإسلام، بحرصك عليهم ﴿فإن استطعت أن تتغي نفقا﴾: سرِّبا ﴿في الأرض، أو سلما﴾: مصعدا ﴿في السماء، فتأتيهم بآية﴾ ممَّا اقترحوا، فافعل - المعنى: إنك لا تستطيع ذلك. فاصبر حتى يحكم الله - ﴿ولو شاء الله﴾ هدايتهم ﴿لجمعههم على الهدى﴾، ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا. ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ بذلك. ﴿إنما يستجيب﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الذين يسمعون﴾ سماع تفهم واعتبار، ﴿والموتى﴾ أي: الكفار - شبههم بهم في عدم السماع - ﴿يبعثهم الله﴾ في الآخرة، ﴿ثم إليه يرجعون﴾: يردون، فيجازيهم بأعمالهم. ﴿وقالوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لولا﴾: هلا ﴿نزل عليه آية من ربه﴾، كالناقة والعصا والمائدة. ﴿قل﴾ لهم: ﴿إن الله قادر على أن ينزل﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿آية﴾، ممَّا اقترحوا، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن نزلها بلاء عليهم، لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

وقول المؤلف: (للتحقيق): بيان لما تفيده ﴿قد﴾ من تحقق علم الله. وقوله: (الشأن): بيان للمراد بالضمير المنصوب بـ «إن»^(١). وقوله: (لك من التكذيب): بيان لمتعلق القول ونوعه؛ وهو التكذيب. وقوله: (في السر): يعني في الباطل، وإن أظهروا التكذيب جحدا لما يعرفونه من قبل من كمال صدقه وأمانته ﷺ.

(١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٥٧٤)، والكشاف (٢/ ٣٣٩).

وقوله: (وفي قراءة...) إلى آخره: يشير إلى قراءة أخرى بتخفيف الذال من «يُكذِّبُونَكَ»^(١)، ومآل القراءتين واحد؛ وهو عدم مواجهته بالتكذيب أو نسبه إليه.

وقوله: (وضعه موضع المضمرة): يريد أن مقتضى السياق أن يقال: «ولكنهم»، فوضع الاسم الظاهر «الظالمين» موضع الضمير^(٢).

وقوله: (القرآن): بيان للمراد بالآيات، فإنها آيات القرآن.

وقوله: (يكذبون) أي: يُظهرون التكذيب مع اعتقادهم أنها حق.

وقوله: (فيه تسلية النبي): بيان للمراد بهذا الخبر.

وقوله: (بإهلاك قومهم): بيان لما كان به النصر.

وقوله: (فاصبر حتى يأتك النصر): يبين أن المراد من الإخبار عن صبر

الرسول أن يتأسى بهم ﷺ فيصبر حتى يأتيه نصر الله.

وقوله: (مواعيده): تفسير لآيات الله؛ لأنها متضمنة لوعود الله.

وقوله: (ما يسكن به قلبك) أي: ما يثبت قلبك، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّا

نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِءُ فُؤَادِكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقوله: (عظم): تفسير ﴿كَبْرًا﴾، فإن الشيء الكبير هو العظيم، وهذا

عِظَمٌ معنوي.

وقوله: (عن الإسلام): بيان لمتعلق الإعراض.

وقوله: (بحرصك عليهم): بيان لسبب عظم إعراضهم عن الإسلام

في نفسه.

وقوله: (سربا): تفسير ﴿نَفَقًا﴾.

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٤٠)، وتفسير النسفي (١/ ٥٠٠).

وقوله: (مصعدًا): تفسير ﴿سَلَمًا﴾، وهو ما يصعد به إلى علو.
 وقوله: (مما اقترحوا): يريد مما طلبوا وعينوا من الآيات، وكان الرسول حريصًا على أن تحصل الآيات طمعًا في إيمانهم.
 وقوله: (فافعل...): إلى آخره: أي: فاتخذ نفقًا في الأرض أو سَلَمًا في السماء، ومعلوم أن ذلك غير مستطاع، فما بقي إلا الصبر وانتظار النصر.
 وقوله: (هدايتهم): بيان لمتعلق المشيئة.
 وقوله: (ولكن...): إلى آخره: يبين أن الله لم يشأ جمعهم على الهدى، بدليل أنه لم يقع، فإن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون.
 وقوله: (بذلك): بيان لمتعلق الجهل المنهي عنه، والمشار إليه توقف هدايتهم على مشيئة الله.
 وقوله: (دعاءك إلى الإيمان): بيان لمتعلق الاستجابة.
 وقوله: (سماع تفهم واعتبار): بيان لنوع السمع المذكور في الآية^(١).
 وقوله: (الكفار...): إلى آخره: تفسير ﴿وَالْمَوْتَى﴾، وهو من قبيل التشبيه، فالموتى استعارة عُبر بهم عن الكفار.
 وقوله: (في الآخرة): هذا يقتضي أنه فسّر «البعث» بالبعث من القبور، وهذا يناسب الموتى بالمعنى الحقيقي^(٢).
 وقوله: (يردون): تفسير ﴿يُرْجَعُونَ﴾، ثم بيّن الغاية من ردّهم إلى الله، وهو المُجازاة على الأعمال.
 وقوله: (أي: كفار مكة): بيان لمرجع الضمير المرفوع، وهو الواو في «قالوا».

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/٥٠٧).

(٢) وهو قول بعض المفسرين واستظهره أبو حيان. ينظر: تفسير الماوردي (٢/١١٠)، وزاد المسير (٢/٢٥)، والبحر المحيط (٤/٤٩٨).

وقوله: (هلا): تفسير ﴿لَوْلَا﴾، فيكون معناها التحضيض، فالكفار يحضون على أن تنزل على الرسول آيةً ليصدّقوه بزعمهم.

وقوله: (كالناقة...) إلى آخره: هذه أمثلة للآيات التي حصلت على يد بعض الأنبياء، وهي مذكورة في القرآن لصالح وموسى وعيسى^(١).

وقوله: (لهم): بيان للمخاطب بالجواب؛ وهم الكفار مقترحو الآيات.

وقوله: (بالتشديد والتخفيف): إشارة إلى قراءتين؛ إحداهما بتشديد الزاي «يُنزِّل»، والأخرى بتخفيف الزاي «يُنزَل»^(٢).

وقوله: (مما اقترحوا) أي: مما طلبوه وعيّنوه.

وقوله: (أن نزولها...) إلى آخره: بيان لما يجهلون من أثر نزول الآية.



(١) وتقدم ترجيح شيخنا **حَفِظَهُ اللهُ** أن المائدة لم تُنزل على عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**. تنظر: (ص ١٩٠).

(٢) ينظر: الوجيز في شرح قراءات القرآنة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة (ص ١٧١)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَكُمُوفٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ كُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْأَلُونَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَالَهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى في هذه الآيات بأن جميع دواب الأرض وجميع الطير هي أمم مثلما أن الناس أمم، وأنها محصاة في اللوح المحفوظ، ومحشورة يوم القيامة^(١). وقوله: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾: خرج به ما يطير بلا جناح مما ليس فيه روح؛ كأوراق الشجر ونحوها التي تطيرها وتذروها الرياح، وخرج به المسرع^(٢)، فإن الإسراع يُعبر عنه بالطيران، قال الشاعر:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم

طاروا إليه زرافات ووحدانا^(٣)

وهذا الطيران بلا جناح.

ثم أخبر تعالى عن الذين كذبوا بآيات الله بأنهم صمٌّ لا يسمعون الحق، بكمٌ لا يتكلمون بخير، وأنهم في ظلمات الجهل والكفر، منهم من يشاء الله

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٣٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٤٥).

(٢) ينظر هذا التوجيه وغيره في: تفسير الرازي (١٢/٥٢٤)، وجامع المسائل لابن تيمية (٨/٣٣٨-٣٤٠).

(٣) البيت لفریط بن أئيف. ينظر: الحماسة (١/٥٨).

إضلاله فيبقى في الظلمات، ومنهم من يشاء هُدهاه إلى صراط مستقيم. ثم وَجَّه تعالى الخطاب إلى المشركين لو أتاهم العذاب أو أتتهم الساعة أفيدعون غير الله؟ ثم أخبر أنهم لن يدعوا إلا إياه، وينسون ما يشركون، فيكشف ما دعوه إليه من الكرب والشدة إذا شاء. ثم أخبر الله رسوله أنه أرسل إلى أمم قد خلت من قبله رسالاً فكُذِّبوا، فأخذهم الله بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون، ولكنهم قست قلوبهم فلم يتضرَّعوا، وزَيَّن لهم الشيطان أعمالهم، ثم أخبر تعالى أنهم لَمَّا تركوا ما ذكَّرتهم به الرسل فتحَّ الله عليهم أبواب كل الشهوات، فلما فرحوا بما فتح عليهم وتمادوا في الكفر؛ أخذهم الله على غفلةٍ أخذ إهلاكٍ قَطَعَ اللهُ به دابرهم، فله الحمد على ذلك، ولذا قال تعالى: ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وما من﴾ - زائدة - ﴿دابة﴾ تمشي ﴿في الأرض﴾، ولا طائر يطير ﴿في الهواء﴾، ﴿بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾، في تقدير خلقها ورزقها وأحوالها - ﴿ما فرطنا﴾: تركنا ﴿في الكتاب﴾: اللوح المحفوظ، ﴿من﴾: زائدة ﴿شيء﴾، فلم نكتبه - ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾، فيقضى بينهم، ويقتصص للجماء من القرناء، ثم يقول لهم: كونوا تراباً. ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾: القرآن ﴿صم﴾ عن سماعها سماع قبول، ﴿وبكم﴾ عن النطق بالحق، ﴿في الظلمات﴾: الكفر. ﴿من يشأ الله﴾ إضلاله ﴿يضلله﴾، ومن يشأ هدايته ﴿يجعله على صراط﴾: طريق ﴿مستقيم﴾. دين الإسلام. ﴿قل﴾ - يا محمد - لأهل مكة: ﴿أرأيتكم﴾: أخبروني، ﴿إن أتاكم عذاب الله﴾ في الدنيا، ﴿أو أتكم الساعة﴾: القيامة المشتمة عليه بغته، ﴿أغير الله تدعون﴾؟ لا، ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها، ﴿بل إياه﴾ لا غيره ﴿تدعون﴾ في الشدائد، ﴿فيكشف ما تدعون إليه﴾ أن يكشفه

عنكم من الضُّرِّ ونحوه، ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كَشَفَهُ، ﴿وَتَنَسَوْنَ﴾: تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ - زَائِدَةٍ - ﴿قَبْلِكَ﴾ رُسُلًا فَكَذَّبُوهُمْ، ﴿فَأَخَذْنَا هُم بِالْبِأْسَاءِ﴾: شِدَّةُ الْفَقْرِ ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتدلَّلون فيؤمنون. ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلَّا، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا﴾: عذابنا، ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك، مع قيام المقتضي له، ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلن للإيمان، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي، فأصروا عليها. ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾: وُعظُوا وَخُوفُوا ﴿بِهِ﴾، من البِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، فلم يَتَعَطَّوْا ﴿فَتَحْنَا﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النِّعم، استدرأجًا لهم. ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فَرِحَ بَطَرٌ ﴿أَخَذْنَا هُم بِالْعَذَابِ﴾ ﴿بِغْتَةٍ﴾: فجأة، ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيسُونَ من كُلِّ خَيْرٍ، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخِرُهُم، بَأْنِ اسْتَوْصَلُوا. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، على نصر الرُّسل وهلاك الكافرين.

وقول المؤلف: (زائدة): بيان لنوع ﴿مِنْ﴾، و«من» الزائدة تُفيد تأكيد عموم النكرة^(١).

وقوله: (تمشي): بيان لمتعلق الجار والمجرور في الأرض، التقدير: تمشي في الأرض.

وقوله: (في الهواء): يريد في مقابلة قوله في شأن الدواب: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾.

وقوله: (في تقدير...) إلى آخره: بيان لوجوه التماثل بين الناس

وبين البهائم.

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٤/١٥٠) وما بعدها.

وقوله: (تركنا): تفسير ﴿فَرَطْنَا﴾.

وقوله: (اللوح المحفوظ): بيان للمراد «بالكتاب»، وهذا أحد القولين، وهو قول أكثر المفسرين^(١)، وقيل: المراد به القرآن^(٢).

وقوله: (زائدة): تقدّم نظيرها في أول الآية.

وقوله: (فلم نكتبه): بيان لمعنى التفريط في الشيء في الكتاب، وهو ترك كتابته.

وقوله: (فيقضى بينهم...) إلى آخره: بيان للغاية من الحشر، وأن المراد به الحشر يوم القيامة.

وقوله: (القرآن): بيان للمراد ﴿بَيَّأْتِنَا﴾، وأنها آيات القرآن.

وقوله: (عن سماعها سماع قبول): بيان لمتعلق الصمم فيهم.

وقوله: (عن النطق بالحق): بيان للمراد ببيكمه.

وقوله: (الكفر): بيان لنوع الظلمات، فإن الظلمات أنواع، وأخطرها ظلمات الكفر.

وقوله: (إضلاله): بيان لمتعلق المشيئة.

وقوله: (هدايته): بيان لمتعلق المشيئة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣].

وقوله: (طريق): تفسير ﴿صِرَاطٍ﴾، والصراط: هو الطريق الواضح

المسلوك المستقيم^(٣).

وقوله: (دين الإسلام): بيان للمراد بالصراط المستقيم.

(١) ينظر على سبيل المثال: تفسير الطبري (٩/ ٢٣٤)، والبغوي (٣/ ١٤٢)، وشفاء العليل (١٣٨/١-١٣٩).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٥٨)، وزاد المسير (٢/ ٢٦).

(٣) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٤١٦).

وقوله: (يا محمد...) إلى آخره: بيان للمخاطب بـ ﴿قُلْ﴾، وبيان للمراد بمقول القول.

وقوله: (أخبروني): تفسير «أرأيتم»، وهو المراد بالاستفهام.

وقوله: (في الدنيا): بيان لوقت هذا العذاب.

وقوله: (القيامة...) إلى آخره: القيامة: تفسير الساعة، والساعة من أسماء القيامة^(١)، وفي القيامة يعذب الله الكافرين، نعوذ بالله من عذاب الله.

وقوله: (لا): بيان لمعنى الاستفهام، وأنه للإنكار، ومعناه النفي.

وقوله: (في أن الأصنام...) إلى آخره: بيان لمتعلق ﴿صَادِقِينَ﴾. وقوله: (فادعوها): تقدير لجواب الشرط.

وقوله: (لا غيره): يشير إلى ما يفيد تقديم المفعول به من القصر.

وقوله: (في الشدائد): بيان للحال التي يدعو المشركون الله فيها.

وقوله: (أن يكشفه...) إلى آخره: بيان لمطلوبهم في دعائهم الله.

وقوله: (كشفه): تقدير لمفعول ﴿إِنْ شَاءَ﴾.

وقوله: (تتركون): تفسير «تسون»، ومن معاني النسيان الترك^(٢).

وقوله: (معه...) إلى آخره: بيان للمراد بالموصول في قوله ﴿مَا تَشْرِكُونَ﴾؛

وهي الأصنام التي اتخذوها آلهة مع الله.

وقوله: (زائدة): لأن المعنى ﴿قَبْلِكَ﴾، و﴿مِنْ﴾ لا تفيد معنى زائداً

على هذا.

وقوله: (رسلاً فكذبوهم): بيان لمفعول ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وبيان للمعنى

المقصود من هذا الخبر؛ وهو تكذيب الأمم لرسولهم.

(١) وللقيامة أسماء كثيرة، جمعها الغزالي ثم القرطبي فجاوزت ثمانين اسماً. ينظر: إحياء علوم الدين (٩/ ٥٤٤-٥٤٥)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٥٤٣-٥٤٤).

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر للعسكري (ص ٤٦٩)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٥٧٩).

وقوله: (شدة الفقر): تفسير «البأساء»، ومنه البأس: الفقير^(١).
 وقوله: (المرض): تفسير «الضراء»^(٢)، وفي معناه الضر^(٣).
 وقوله: (يتذللون فيؤمنون): تفسير ﴿يَضْرَعُونَ﴾، والتذلل لله
 يورث الإيمان.

وقوله: (فهلا): يريد أن لولا للتحضيض ك «هلا».
 وقوله: (عذابنا): تفسير ﴿بِأَسْنَا﴾؛ فبأس الله عذابه؛ كقوله: ﴿كَلَّمَارًا﴾
 ﴿بِأَسْنَا﴾ [غافر: ٨٤].

وقوله: (لم يفعلوا...) إلى آخره: يدل على أنهم لم يفعلوا ذكر
 أداة التحضيض.

وقوله: (فلم تلن للإيمان): تفسير لقسوة القلوب، فإن اللين ضد القسوة.
 وقوله: (من المعاصي...) إلى آخره: بيان لما زينه الشيطان، فلما رأوها
 حسنة أصروا عليها.

وقوله: (تركوا): تفسير ﴿نَسُوا﴾، والترك أحد معنيي النسيان^(٤).
 وقوله: (وُعظوا وُخُوفوا): تفسير ﴿ذُكِّرُوا﴾، فإن التذكير يكون
 بالوعظ والتخويف.

وقوله: (من البأساء...) إلى آخره: بيان لما حصل به التخويف.
 وقوله: (بالتخفيف والتشديد): إشارة إلى قراءتين في هذا الحرف، وهما
 تخفيف التاء وتشديدها؛ «فَتَحْنَا»، و«فَتَّحْنَا»^(٥).

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٣)، والمفردات في غريب القرآن (ص ١٥٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣/٨٦-٨٩)، (٩/٢٤٢).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٥٠٤).

(٤) تقدم قريباً.

(٥) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

وقوله: (من النعم، استدرجاً لهم): بيان لنوع ما فتح عليهم؛ وهي النعم، وبيان للحكمة من ذلك؛ وهي الاستدراج.

وقوله: (فرح بطر): بيان لنوع الفرح؛ وهو الفرح المذموم.

وقوله: (بالعذاب): بيان لنوع ما أخذوا به؛ وهو العذاب.

وقوله: (فجأة): تفسير ﴿بَعَثَهُ﴾.

وقوله: (آيسون من كل خير): تفسير ﴿سُبُلِسُون﴾، والإبلاس:

شدة اليأس^(١).

وقوله: (آخرهم): تفسير «دابره»، وإذا أهلك آخرهم لم يبق منهم أحد،

وهذا عذاب الاستئصال، وهو العذاب العام الذي لا ينجو منه أحد.

وقوله: (على نصر الرسل، وهلاك الكافرين): بيان لمقتضي الحمد، وهو

نصر الرسل، وإهلاك الكافرين.



(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٣)، والمفردات في غريب القرآن (ص ١٤٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام].

يأمر الله نبيه أن يقول للمشركين: أخبروني إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم، وختم على قلوبكم، فأني إليه يأتيكم بما أخذ منكم من أسماعكم وأبصاركم وعقولكم؟! وأنتم تعلمون أنه لا يأتي به إلا الله، ثم أمر تعالى بالنظر في حال هؤلاء الكفار كيف يعرضون عن آيات الله، والله قد صرّفها لهم ليتدبروها ويتعظوا بها؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

ثم أمر الله نبيه أن يقول لهم: إن أتاكم عذابُ الله بغتةً أو جهرةً ففي الحالين لا يهلك الله إلا الظالمين؛ أي: المشركين^(١)، ثم أخبر تعالى عن حكمته في إرسال الرسل فقال: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿٤٨﴾﴾، مبشّرين من استجاب لهم وآمن بهم، ومنذرين من كذبهم وعصاهم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: من آمن بالله ورسله وأصلح العمل فجزاؤه ألا يخاف ولا يحزن، بل له الأمن والسرور، وأمّا الذين كذبوا بآيات الله وعصوا رسله؛ فسيمسهم العذاب بسبب فسقهم؛ أي: خروجهم عن طاعة الله بشركهم وتكذيبهم.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٤٥)، والبغوي (٣/١٤٥).

﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾: أصمكم ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾: أعماكم، ﴿وَوَخْتَمَ﴾: طبع ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فلا تعرفون شيئاً، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: بما أخذه منكم، بزعمكم؟ ﴿انظُرْ: كَيْفَ نَصَرَفُ﴾: نبين ﴿الآيَاتِ﴾: الدلالات على وحدانيتنا، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرضون عنها، فلا يؤمنون؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ - إن أتاكم عذاب الله بغتةً أو جهرةً: ليلاً أو نهاراً - ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون؟ أي: ما يهلك إلا هم. ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ من آمن بالجنة، ﴿ومُنذرين﴾ من كفر بالنار. ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فلا خوف عليهم﴾، ولا هم يحزنون ﴿في الآخرة﴾، ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾، بما كانوا يفسقون: يخرجون عن الطاعة.

وقول المؤلف: (لأهل مكة): بيان للمخاطبين بمقول القول.
 وقوله: (أخبروني): بيان للمقصود بالاستفهام؛ وهو الاستخبار^(١).
 وقوله: (أصمكم): بيان لما يؤدي إليه أخذ السمع؛ وهو الصمم.
 وقوله: (أعماكم): بيان لما يؤدي إليه أخذ البصر؛ وهو العمى.
 وقوله: (طبع): تفسير «ختم»^(٢)، والطبع على القلب أو الختم يؤدي إلى ذهاب العقل فلا يعقل شيئاً.
 وقوله: (بما أخذه منكم): بيان للمراد بالضمير المجرور في قوله: ﴿بِهِ﴾.

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/ ١٣٤).

(٢) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٢٠٤)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٧٤).

وقوله: (بزعمكم) أي: أن مع الله آلهة أخرى.
 وقوله: (نينين): تفسير ﴿نُصِرْفُ﴾^(١)، وتصريف الآيات نوع من البيان.
 وقوله: (الدلالات على وحدانيتنا): تفسير للآيات، والمراد بها الآيات الكونية والقرآنية الدالة على توحيد الله.

وقوله: (يعرضون عنها): تفسير ﴿يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: يعرضون عن الآيات^(٢)، لا يتدبرون ولا يتفكرون فلا يؤمنون.

وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول؛ وهم المشركون.
 وقوله: (ليلاً أو نهاراً): تفسير ﴿بَعْتَةً﴾ أو ﴿جَهْرَةً﴾، وفي هذا التفسير نظر^(٣)، فالبعثة والجهرة قد يكون كل منهما في ليل أو نهار^(٤).

وقوله: (الكافرون؟): تفسير ﴿الظَّالِمُونَ﴾، يدل له قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة].

وقوله: (ما يهلك إلا هم): بيان لما يفيد الاستفهام وهو النفي؛ لأنه استفهام إنكاري^(٥).

وقوله: (من آمن بالجنة): بيان للمبشر والمبشّر به.

وقوله: (من كفر بالنار): بيان للمنذر والمنذرّ به.

-
- (١) ينظر: تفسير الثعلبي (٧٧/١٢)، والتفسير الوسيط (٢٧٢/٢).
 (٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٤)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٤٧٨).
 (٣) روي عن بعض السلف، وقال الشنقيطي: «وهذا التفسير ليس كما ينبغي». ينظر: التفسير البسيط (٨/١٥٠)، وتفسير البغوي (٣/١٤٤-١٤٥)، والعذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/٢٧٦).
 (٤) أي: فجأة أو معاينة ترونه عند نزوله. ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٥٣-٢٥٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٤٩)، وتفسير ابن كثير (٣/٢٥٨).
 (٥) ينظر: الدر المصون (٤/٦٣٧)، والعذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/٢٧٧).

وقوله: (بهم) أي: بالرسول، وهو بيان لمتعلق الإيمان.
 وقوله: (عمله): بيان لمتعلق الإصلاح.
 وقوله: (في الآخرة): بيان لوقت هذا الوعد؛ وهو الآخرة؛ أي: يوم القيامة.
 وقوله: (يخرجون عن الطاعة): تفسير ﴿يَفْسُقُونَ﴾؛ لأنَّ أصل معنى
 الفسق في اللغة: الخروج^(١).



(١) ينظر: لسان العرب (٣٠٨/١٠).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام].

يأمر الله نبيه في هذه الآيات أن يقول للمشركين: إني لا أدعي ما ليس لي من ملك أو علم أو قوة، فلا أدعي أن عندي خزائن أرزاق العباد؛ فإنها لله وحده، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧]، ولا أدعي علم الغيب، فإني لا أعلم منه إلا ما علمني ربي، ولا أدعي أنني ملك، فإني بشرٌ مثلكم، ومعنى ذلك أني لا أفخر عليكم بدعوى شيء من ذلك.

وقوله: ﴿إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: لا أخرج عمّا أوحى الله إليّ فلا أتبع غيره، ثم أمر الله نبيه أن يقول للمشركين: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾، وهذا استفهام تقرير؛ لأنهم يعلمون بدهاهة أنه لا يستوي الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن، ولا الجاهل والعالم.

ثم أنكر على المشركين أنهم لا يتفكرون في آيات الله الكونية، وما فيها من الأضداد؛ فقال تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ...﴾ الآية، أمرٌ من الله لنبيه أن يُنذر المؤمنين الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم يوم القيامة،

وليس لهم في ذلك اليوم وليٌّ ولا شفيعٌ من دون الله؛ لعلمهم يتقون الله إذا أنذرتهم، ولعل للتعليل؛ أي: أنذرهم ليتقوا^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ الآية: ينهى الله نبيه في هذه الآية أن يستجيب لما يطلب منه المشركون، فيطرد عن مجلسه المؤمنين المستضعفين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في صلواتهم ابتغاء وجه ربهم، ثم أخبره أنه ليس عليه شيء من حسابهم، ولا عليهم شيء من حسابه، بل كلُّ مسؤولٍ عن عمله، وحسابه على الله؛ كما قال نوح عليه السلام: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء].

وقوله: ﴿فَطَرَدَهُمْ﴾: جواب النفي في قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، وقوله: ﴿فَتَكُونَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: جواب النهي في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتلينا المشركين بالمؤمنين والمؤمنين بالمشركين؛ ليقول المشركون: أهؤلاء -يعنون المؤمنين- من الله عليهم من بيننا؛ أي: فخصَّهم بالهداية؛ قالوا ذلك احتقاراً لهم، يعنون أن الهدى إلى الإيمان لو كان خيراً لكانوا هم أولى به؛ كما قال الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ أي: أعلم بمن يستحق الهدى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٥٨/٩)، والعذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣١٠/١).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١١/٢)، ومشكل إعراب القرآن (٢٥٣/١).

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ: عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ التي منها يَرْزُقُ، ﴿وَلَا﴾ إِنِّي ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: ما غاب عَنِّي ولم يُوحَ إِلَيَّ. ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مَلِكٌ﴾، من الملائكة. ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾. قُلْ: هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى: الكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: المؤمن؟ لا. ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فَتُؤْمِنُونَ؟ ﴿وَأَنْذِرْ﴾: خَوْفٌ ﴿بِهِ﴾: بِالْقُرْآنِ ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿وَلِيٍّ﴾ ينصرهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم - وجملة النفي: حال من ضمير «يُحْشَرُوا»، وهي محلُّ الخوف. والمراد بهم المؤمنون العاصون - ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله بإقلاعهم عمَّا هم فيه، وعمل الطاعات. ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، يُرِيدُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ وَجْهَهُ ﴿- تعالی - لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء. وكان المشركون طعنوا فيهم، وطلبوا أن يطردهم ليُجالسوه، وأراد النبيُّ ذلك طمعاً في إسلامهم. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿شَيْءٍ﴾، إن كان باطنهم غير مَرْضِيٍّ، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ، فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جواب النفي، ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك. ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أَي: الشريفَ بالوضعِ والغنيَّ بالفقير، بأن قدَّمناه بالسبق إلى الإيمان، ﴿لِيَقُولُوا﴾ أَي: الشُّرَفَاءُ والأغنياء بِمَكَّةَ مُنْكَرِينَ: ﴿أَهُؤُلَاءِ﴾ الفقراء ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بالهداية؟ أَي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه. قال تعالی: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ له فيهديهم؟ بلى.

وقول المؤلف: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول؛ وهم المشركون.

وقوله: (التي منها يرزق): يبين أن المراد خزائن الرزق التي يرزق الله منها عباده، وهو مالها.

وقوله: (إني): يريد أن الجملة معطوفة على جملة النفي، فالنفي معتبر فيها، فالتقدير: ولا أقول لكم إني أعلم الغيب.

وقوله: (ما غاب عني...) إلى آخره: بيان للغيب الذي لا يعلمه الرسول، وهو ما غاب عنه، ولم يُعلمه الله به بوحى.

وقوله: (من الملائكة): تقييد لا معنى له، فإن الملك لا بد أنه من الملائكة. وقوله: (ما): تفسير «إن»، يريد أن «إن» نافية.

وقوله: (الكافر): يريد أن الأعمى مثل به الكافر.

وقوله: (المؤمن): يريد أن البصير مثل للمؤمن^(١).

وقوله: (لا): بيان لمعنى الاستفهام وهو النفي، المعنى: لا يستويان.

وقوله: (في ذلك) أي: في التضاد بين الأعمى والبصير.

وقوله: (فتؤمنون؟): بيان لثمره التفكير.

وقوله: (خوف): تفسير «أنذر»، فإن الإنذار ذكر ما يخاف منه^(٢).

وقوله: (بالقرآن): بيان للمراد بالضمير المجرور.

وقوله: (غيره): تفسير «دون»، وغير الله هم الخلق، المعنى: ليس لهم

من الخلق ولي ولا شفيع.

وقوله: (ينصروهم): بيان لما هو من شأن الولي، وهو نصر من هو ولي لهم.

وقوله: (يشفع لهم...) إلى آخره: فيه بيان الغاية من الشفيع، وبين موقع

جملة النفي من الإعراب؛ وهي قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٥٦/٩)، وزاد المسير (٣١/٢).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٧٩٧)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص ٢٩٥).

فقال: إنها حال من الواو في قوله: ﴿يُحْشَرُونَ﴾^(١)، ثم بين أن المراد بالذين يخافون عصاة المؤمنين، وفي هذا التخصيص نظر؛ فإن كل المؤمنين يخافون ذلك اليوم.

وقوله: («لعلهم يتقون» الله...) إلى آخره: بيان للمتمى؛ وهو الله، وما به التقوى؛ وهو فعل الطاعات وترك المحرمات.

وقوله: (بعبادتهم): بيان لمحل الإرادة.

وقوله: (لا شيئاً من أعراض الدنيا...) إلى آخره: بيان لمفهوم ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، وهذه حقيقة الإخلاص. ثم أشار المؤلف إلى سبب نزول الآية؛ وهو أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يُبعد الفقراء من مجلسه ليجلسوا هم عنده، فأجابهم النبي إلى ما طلبوا؛ رغبةً في إسلامهم، فنهاه الله عن طرد أولئك المؤمنين من الفقراء والمستضعفين؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٢)، ويشهد لهذه الآية قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [الكهف: ٢٨] الآية.

وقوله: (زائدة): يريد «من» الداخلة على ﴿شَيْءٍ﴾ المؤكدة للعموم^(٣).

وقوله: (إن كان باطنهم غير مرضي): يريد أن قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ على تقدير أن باطنهم يخالف ظاهرهم، إذن فلا تحاسب على ما أبطنوا.

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وينظر: أسباب النزول (ص ٢١٦).

(٣) أي: «من» الثانية. ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٩٥).

وقوله: (جواب النفي): يريد قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وقوله: (إن فعلت ذلك): وهو طردهم عن مجلسه.

وقوله: (ابتلينا): تفسير ﴿فَتَنَّا﴾، وهذا هو الأغلب في معنى الفتنة في

القرآن، وشواهد ذلك كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَبَلَّوْهُم بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

[الأنبياء: ٣٥] (١).

وقوله: (أي: الشريف بالوضع...) إلى آخره: مقتضى كلامه أن البعض

الأول عبارة عن الشريف والغني، والبعض الثانية عبارة عن الوضع والفقير،

وأن المفتون هو البعض الأول، والبعض الثاني مفتون به، فيؤول كلامه أن الله

ابتلى الكفار بالمؤمنين، والتعليل يشهد لما قال، وإن كان لفظ ﴿بَعْضَهُمْ

بِبَعْضٍ﴾ يقتضي ابتلاء كل من الفريقين بالآخر.

وقوله: (أي: الشرفاء...) إلى آخره: بيان للمراد بالبعض الأول المنصوب.

وقوله: (الفقراء): بيان للمراد باسم الإشارة.

وقوله: (بالهداية...) إلى آخره: بيان لما كانت به المنية.

وقوله: (قال تعالى): يبين أن جملة ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، من

كلام الله لا من كلام من قال: ﴿أَهْلُوآءٍ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا﴾ (٢).

وقوله: (له فيهديهم؟) أي: لله، وبذلك استحقوا أن يهديهم.

وقوله: (بلى): تقدير لجواب الاستفهام الداخل على النفي، وهو

استفهام تقرير (٣).



(١) ينظر: الوجوه والنظائر للدماغاني (ص ٣٦٤)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٤٧٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٧١)، والتحرير والتنوير (٧/ ٢٥٦).

(٣) ينظر: التفسير البسيط (٨/ ١٧٣)، وتفسير القرطبي (٦/ ٤٣٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام].

يأمر الله نبيه في هذه الآية إذا جاءه المؤمنون الذين كان الكفار يطلبون من النبي ﷺ أن يطردهم عن مجلسه، فنهاه الله عن ذلك، يأمره الله تعالى إذا جاءوه أن يحييهم بالسلام، ويشرهم برحمة الله ومغفرته؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ أي: مثل هذا التفصيل نفصل الآيات؛ أي: نبينها ليفهمها المتدبرون، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: ولتستبين سبيل أهل الباطل المجرمين، وهم الكفار؛ فيحذرهم طالب النجاة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾: هذا أمر من الله لنبيه أن يخبر المشركين بأنه منهي عن عبادة ما يعبدون، ومنهي عن اتباع أهوائهم، وعبادة ما يعبدونه هو من اتباع أهوائهم.

وقوله: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾: يعني إذا اتبعت أهواءهم بعبادة ما يعبدون؛ فقد ضللت عن سبيل الله، ولم أكن من المهتدين. ثم أمر الله نبيه أن يقول للكفار:

﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على علم وبصيرة وهدى، وكذبتم به؛ أي: وقد كذبتم بما جئتكم به من الهدى، وليس عندي ما تستعجلون به من العذاب، وما الحكم إلا لله، وهو تعالى يقص عليكم الحق في كتابه، وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (٥٧) أي: خير الفاصلين بيني وبينكم بحكمه العدل بنصر أوليائه وإهلاك أعدائه. وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَن عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: قل أيها النبي للمشركين المستعجلين للعذاب لو أن أمر العذاب إلي وأنا قادر عليه؛ لقضي الأمر بيني وبينكم؛ أي: لعجلته وفرغ من الأمر الذي بيني وبينكم بأخذكم بالعذاب. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: المستوجبين للعذاب نحن أو أنتم، وإذا جاء العذاب فلن يهلك إلا الظالمون كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٧) [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾ الآية: مفاتيح: جمع مفتاح، وهو ما يفتح به الغلق، وفي المراد بالمفاتيح أقوال أهمها قولان^(١):

أحدهما: أن المراد بها الخمس التي لا يعلمها إلا الله، المذكورة في آخر آية من سورة لقمان، ويؤيده ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله» وذكرها، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان]^(٢)، وسُميت

(١) ينظر: تفسير الثعلبي (٩٦/١٢)، وزاد المسير (٣٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه، وجملة «لا يعلمهن إلا الله» جاءت في حديث جبريل، من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (١٠).

مفتاح -والله أعلم-؛ لأنَّ من عَلِمَهَا عَلِمَ الْغَيْبَ كُلَّهُ، وهو الله تعالى وحده، وهذه الخمس لا يعلمهنَّ إلا الله، وهو تعالى عالم الغيب، وعلَّام الغيوب، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

القول الثاني: مفاتيح الغيب: خزائنه؛ وهي كل مكان أخفى الله فيه ما شاء من خلقه، وأودع فيه ما شاء من معلوماته التي لا يعلمها غيره من أحكام أقداره، وأسرار أحكامه، وطوى علم ذلك كله عن جميع مخلوقاته من الملائكة وغيرهم، ومعنى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾؛ أي: علم مفاتيح الغيب، وتقديم الظرف يفيد الحصر؛ فالمعنى: وعند الله وحده علم مفاتيح الغيب^(١)، ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾.

وفي هاتين الجملتين إجمالاً لمعلوماته تعالى، ثم فصل ذلك؛ فقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، و﴿مَا﴾: صيغة عموم؛ فيشمل ذلك كل ما في البر والبحر من الجمادات والحيوانات والنباتات والأحياء والأموات وغيرها من أنواع المخلوقات. وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ أي: يعلم كل ورقة تسقط من أوراق الشجر، من جميع الشجر، فإنَّ ﴿وَرَقَةٍ﴾ نكرة في سياق النفي؛ فتعمُّ كل ورقة تسقط، و﴿مِنْ﴾ زائدة مؤكدة للعموم^(٢). وقوله: ﴿وَلَا حَبَّةٌ﴾: عطف على ﴿وَرَقَةٍ﴾؛ أي: ولا حبة تكون في ظلمات الأرض إلا يعلمها. وقوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: بالجر معطوف على ﴿وَرَقَةٍ﴾؛ أي: ولا رطب ولا يابس في الوجود إلا يعلمه، وإلا هو في كتاب مبين، وهذه الآية أعظم آية دلَّت على شمول علم الله لكل شيء إجمالاً وتفصيلاً، وهي متضمنة لمعنى قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]، كما دلَّت على مرتبتي القدر؛ وهما: العلم، والكتاب؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

(١) ينظر: تفسير الرازي (١٣/١٢)، والتحرير والتنوير (٧/٢٧٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٧/٢٧٢).

إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ [الحج: ١١]، وشواهد هذه الآية في القرآن كثيرة؛ بقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق]، وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧]، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقوله: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا] إلى غير ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ﴾ لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾. كَتَبَ: ﴿قَضَى﴾ ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، إِنَّهُ﴾ أي: الشأن - وفي قراءة بالفتح: بدل من «الرحمة» - ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ منه حيث ارتكبه، ﴿ثُمَّ تَابَ﴾: رجع ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله، ﴿فَإِنَّهُ﴾ أي: الله ﴿غَفُورٌ﴾ له، ﴿رَحِيمٌ﴾ به. وفي قراءة بالفتح أي: فالمغفرة له. ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما بيئنا ما ذكر، ﴿نُفِصِّلُ﴾: نبين ﴿الآيَاتِ﴾ القرآن، ليظهر الحق فيعمل به، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: تظهر ﴿سَبِيلُ﴾: طريق ﴿المُجْرِمِينَ﴾ فُجِتَتَبَ. وفي قراءة بالتحتانية، وفي أخرى بالفوقانية ونصب «سَبِيلَ»: خطابٌ للنبي. ﴿قُلْ: إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. قُلْ: لا أتبع أهواءكم، في عبادتها. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾: إن اتبعتها، ﴿وما أنا من المهتدين﴾. قُلْ: إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ: بيان، ﴿مِنْ رَبِّي﴾، و ﴿قد كذبتُم به﴾: بربي، حيث أشركتم. ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾، من العذاب. ﴿إِنَّ﴾: ما ﴿الحكم﴾ في ذلك وغيره ﴿إلا لله﴾ يقضي القضاء

(١) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص ٢٢٧)، وشفاء العليل (١/ ١٠٠) وما بعدها.

﴿ الْحَقُّ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾: الحاكمين، وفي قراءةٍ « يَقْصُصُ » أي: يقول.
 ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾،
 بأن أُعْجِلَهُ لَكُمْ وَأَسْتَرِيحَ. ولكنَّه عِنْدَ اللَّهِ، ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ متى
 يُعَاقِبُهُمْ. ﴿ وَعِنْدَهُ ﴾ - تعالَى - ﴿ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ أي: خزائنه أو الطُّرُق
 الْمُوصِلَةَ إِلَى عِلْمِهِ، ﴿ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ - وهي الخمسة التي في قوله
 تعالَى: « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » الآية، كما رواه البخاري - ﴿ وَيَعْلَمُ مَا ﴾
 يَحْدُثُ ﴿ فِي الْبَرِّ ﴾: الْقِفَارِ، ﴿ وَالْبَحْرِ ﴾: الْقُرَى التي على الأنهار، ﴿ وَمَا
 تَسْقُطُ مِنْ ﴾ - زائدةٌ - ﴿ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا
 رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾: عَطْفٌ عَلَى « وَرَقَةٍ »، ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ هو اللوح
 المحفوظ. والاستثناء بدلُ اشتمال من الاستثناء قبله.

وقول المؤلف: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول؛ وهم المؤمنون
 الذين جاؤوا النبي ﷺ.

وقوله: (قضى): تفسير ﴿ كَتَبَ ﴾^(١) يبين المؤلف بذلك أنَّ المراد
 القضاء الكوني، والكتب الكوني^(٢).

وقوله: (أي: الشأن... إلى آخره): يريد الضمير بعد «إن» هو ضمير
 الشأن، اسم «إن» ليس له ما يفسره^(٣)، ثم أشار إلى القراءة الأخرى بفتح همزة

(١) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ٣٩٢)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٥١٤).

(٢) ينظر: شفاء العليل (٢/٣٧٩).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٠٠).

«إن»^(١)، وبين أنه على هذه القراءة تكون «أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر، وهو في موضع نصب بدل من رحمة^(٢).

وقوله: (منه حيث ارتكبه): أي لجهالة من عامل السوء حين ارتكبه.

وقوله: (رجع...) إلى آخره: أي عن عمل السوء بعدما عمله.

وقوله: (عمله): يريد أنه حقق التوبة لإصلاح العمل.

وقوله: (أي: الله): بيان لمرجع الضمير المنصوب.

وقوله: (له): بيان لمستحق المغفرة؛ وهو من تاب وأصلح.

وقوله: (به): بيان لمستحق الرحمة؛ وهو من تاب وأصلح.

وقوله: (وفي قراءة بالفتح): يشير إلى أنه قرئ بفتح همزة «إن»^(٣) فتأول

الجملة بمصدر، وقدره المؤلف بقوله: (فالمغفرة له) أي: للذي تاب وأصلح^(٤).

وقوله: (كما بينا ما ذكر): يريد أن اسم الإشارة «ذلك» راجع إلى ما تقدم

من البيان.

وقوله: (نبين): تفسير ﴿نَفَّصْلُ﴾، فإن من معاني التفصيل البيان^(٥).

وقوله: (القرآن...) إلى آخره: بيان للمراد بالآيات، والحكمة من

التفصيل، وهو ظهور الحق.

وقوله: (تظهر): تفسير «تستبين».

وقوله: (طريق): تفسير ﴿سَبِيلُ﴾.

وقوله: (فتجنب): بيان لثمرة ظهور سبيل المجرمين؛ وهو اجتنابها.

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٠٠)، والدر المصون (٤/٦٥٠).

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/١٢)، والدر المصون (٤/٦٥١).

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٦٣٨).

وقوله: (وفي قراءة...) إلى آخره: يذكر في قوله: (تستبين) قراءتين «تستبين» و«يستبين»^(١)؛ بالياء والتاء، فإذا قرأ بالياء قرأ «سبيل» بالرفع على أنه فاعل، وإذا قرأ بالتاء فيجوز في سبيل الرفع على أنه فاعل أيضًا، والنصب على أن «تستبين» خطاب للنبي ﷺ^(٢)، وهذا ما مشى عليه المؤلف لقوله: (وفي أخرى بالفوقانية، ونصب «سبيل»: خطاب للنبي).

وقوله: (تعبدون): تفسير ﴿تَدْعُونَ﴾، والدعاء في القرآن اسم للعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر] الآية^(٣).

وقوله: (في عبادتها): بيان لمتعلق ﴿أَهْوَاءَكُمْ﴾، فإنهم يهونون أن يعبد النبي ﷺ ما يعبدون، ويوضح معنى هذه الآية سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون]، وجاء في الحديث أنها براءة من الشرك والمشركين^(٤).

وقوله: (إن اتبعنها): بيان لسبب الضلال؛ وهو اتباع أهواء المشركين. وقوله: (بيان): تفسير ﴿بَيِّنَةٌ﴾، ومعناه: أن ربي بين لي سبيل الرشد من سبيل الغي.

وقوله: (قد): تقدير هذا الحرف يصير الجملة حالية فتكون الواو واو الحال^(٥).

وقوله: (بربي): بيان للمراد بالضمير المجرور.

- (١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٨).
- (٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٠١)، والدر المصون (٤/ ٦٥٥).
- (٣) ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد لشيخنا (ص ٢٩٥).
- (٤) أخرجه أحمد (٢٣٨٠٧)، وأبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٥٦٩) من حديث نوفل الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٧٩٠)، والحاكم (٢٠٧٧).
- (٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٠١)، والدر المصون (٤/ ٦٥٧).

وقوله: (حيث أشركتم): بيان لصورة التكذيب بالله.

وقوله: (من العذاب): بيان للذي يستعجلون به؛ وهو العذاب.

وقوله: (ما): بيان لمعنى ﴿إِنْ﴾ بأنها نافية.

وقوله: (في ذلك وغيره): يبين أن «أل» في الحكم للاستغراق.

وقوله: (القضاء): مصدر مقدر، يريد أن ﴿الْحَقِّ﴾ صفة للمصدر المحذوف؛ أي: القضاء الحق، وهذا على القراءة التي اختارها المؤلف «يقضي»، ثم أشار إلى القراءة الأخرى ﴿يَقْضُ﴾^(١)، وفسر «يقص» بـ«يقول»؛ لأنَّ من معاني القصص الكلام؛ كقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]؛ أي: نقول لك أحسن القول.

وقوله: (الحاكمين): تفسير ﴿الْفَصْلِينَ﴾، ومن معاني الفصل: الحكم، فمن أسماء الله: خير الفاصلين، وخير الحاكمين، ومن شواهد الفصل بمعنى الحكم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٢) [السجدة] أي: يحكم بينهم^(٢).

وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول؛ وهم المشركون.

وقوله: (بأن أعجله لكم): بيان للمراد بقضاء الأمر الذي بينهم، وهو تعجيل عذابهم لو كان أمر العذاب عند الرسول، ولكنه عند الله.

وقوله: (متى يعاقبهم): تخصيص للعلم بوقت العذاب مراعاة للسياق والمقام.

وقول المؤلف: (تعالى): بيان للمراد بالضمير المجرور؛ وهو الله.

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٨).

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر للدماغاني (ص ٥٧)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٤٦١).

وقوله: (خزائنه...) إلى آخره: بيان للمراد بالمفتاح، جمع «مفتاح» بفتح الميم، وهي الخزائن، أو جمع «مفتاح» بكسر الميم؛ وهي الطرق الموصلة إلى علم الغيب^(١).

وقوله: (وهي الخمسة...) إلى آخره: عود إلى تفسير المفاتيح بذكر تفسير النبي ﷺ لها^(٢)، ولا اعتبار لقول أحد مع قوله ﷺ.

وقوله: (يحدث): تقدير لمتعلق الجار والمجرور في ﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، فيقدر يحدث أو يوجد.

وقوله: (القفار): تفسير ﴿الْبَرِّ﴾؛ وهي الصحاري الخالية من العمران. وقوله: (القرى التي على الأنهار): تفسير ﴿وَالْبَحْرِ﴾، هذا أحد القولين، والثاني: أنه الأرض المغمورة بالماء^(٣).

وقوله: (زائدة): بيان لنوع ﴿مِنْ﴾؛ وهي الداخلة على النكرة لتأكيد العموم^(٤).

وقوله: (عطف على «ورقة»): يريد أن ﴿حَبَّةٍ﴾ و﴿رَطْبٍ﴾ و﴿يَابِسٍ﴾ مجرورة بالعطف على ﴿وَرَقَةٍ﴾.

وقوله: (هو اللوح المحفوظ): أي كتاب المقادير؛ وهو أم الكتاب. وقوله: (والاستثناء بدل...) إلى آخره: يريد أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ بدل من قوله: ﴿إِلَّا يَعْزَمُهَا﴾، وهو بدل اشتمال؛ لأن علم الله شامل للكتاب وما في الكتاب^(٥).



(١) ينظر: التفسير البسيط (١٨٨/٨)، والبحر المحيط (٤/٥٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/١٥١)، وزاد المسير (٢/٣٧).

(٤) ينظر: هامش (ص ٢٤٠).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٥)، وأبي السعود (٣/١٤٣).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعَلَّمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُضْيَةً لِّئِنْ أَنْجَلْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَانظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَالَهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى أنه الذي يتوفى الناس في الليل بالنوم، وخصَّ الليل؛ لأنَّ النوم فيه في الغالب، والتوفي يكون بالموت، ويكون بالنوم، وقد ذكر الله النوعين في هذه الآية والتي بعدها. وقوله: ﴿وَيَعَلَّمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي: ما عملتم بجوارحكم^(١)، وخصَّ النهار بعلم عمل الناس فيه؛ لأنَّ العمل في الغالب إنما يكون في النهار. وقوله: ﴿ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ﴾ أي: يُحييكم بعد توفيقكم بالليل فتستيقظون من نومكم، والنوم واليقظة يُشبه بهما الموت والبعث كما في الحكمة: «إنكم تموتون كما تنامون، وتبعثون كما تستيقظون»^(٢).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٨٥-٢٨٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ٢٠٤٦).

(٢) وروي حديثاً أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٣٥)، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (١/ ٦٥٩) عن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم مرفوعاً، وقال الألباني في تخريج فقه السيرة (ص ١٠٢): «لم أجد في الرواة هذا الراوي، وإنما فيهم «جعفر بن عبد الله بن الحكم» وهو أنصاري أوسي تابعي صغير، يروي عن أنس والتابعين، فإذا كان هو هذا؛ فالإسناد مرسل ضعيف، ولم أقف على إسناده إليه، وإن كان غيره فلم أعرفه». وقال البخاري في ترجمة عبد الحكيم بن صهيب: «سمع جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم، عن النبي ﷺ، مرسل»، وقال =

وقوله: ﴿لِيُقَضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: أي لتمضي الأيام والليالي فيبلغ الناس آجالهم المقدره. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: أي الغالب لكل شيء بقدرته ومشيتته، وهو فوق عباده بذاته وبقهره، فله علو الذات وعلو القدر وعلو القهر^(١). وقوله تعالى: ﴿وُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ﴾: أي يرسل إليكم أيها الناس حفظةً من الملائكة يحفظونكم مما يسوءكم، ويحفظون أعمالكم كما قال تعالى في الإنسان: ﴿لَهُ مِعْقَبَةٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَرَامًا كَتَبِينَ ۝ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الانفطار]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾: أي جاء أجله، ونزل به الموت ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾؛ أي: قبضت روحه الملائكة الموكلون بقبض روحه؛ وهم ملك الموت، وأعوانه. وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَفْرِطُونَ ۝﴾: أي لا يقصرون ولا يضيعون ما وُكِّلوا به.

وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: أي بعد موتهم يُردُّون إلى الله؛ أي: يرجعون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الجمعة]. وقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ مَوَلَّهُمْ﴾: أي وليهم المتصرف في أمرهم بما شاء لأنه مالكهم، والعالم بأعمالهم المحصي لها. وقوله: ﴿الْحَقِّ﴾: أي الكامل الولاية الذي لا شريك له في ربوبيته، ولا في إلهيته، فلا رب غيره ولا إله سواه، لذلك كان الحكم بين العباد له وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف]. وقوله: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ۝﴾: كقوله: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝﴾ [البقرة]،

= ابن حجر: «جعفر بن أبي الحكم، وقيل: جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم. قيل له صُحْبَةٌ...». ينظر: التاريخ الكبير (٧٨٩٣)، والإصابة (١١٧١).

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص ١٩٣).

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِينٍ ۝٤٧﴾ [الأنبياء]، وهذا راجع إلى كمال علمه وكمال قدرته. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٦﴾: أمر من الله لنبيه أن يقول للمشركين مقررًا لهم، ومذكرًا بنعمة الله عليهم: ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، حين يشتدُّ الكرب فتدعونه تضرُّعًا وخفية، وتدعونه مخلصين له الدين، وتعدون بالشكر إذا نجاكم مما أنتم فيه، ثم أمر الله نبيه أن يُعلمهم بأنَّ الله هو الذي ينجيهم من هذه الكربة، ومن كل كرب، ومع ذلك إذا نجاكم تعودون إلى الشرك، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ۝٦٦﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾: أمر من الله لنبيه أن يقول للمشركين تهديدًا ووعيدًا: والله هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم؛ كالصواعق والحاصب^(١)، أو عذابًا من تحت أرجلكم؛ كالخسف. وقوله: ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾: أي يجعلكم فرقا متناحرة يقتل بعضكم بعضًا، فهذه ثلاثة أنواع من العذاب، أشدها الأول والثاني، ولهذا عصم الله منهما هذه الأمة، وبقي لمن عصى منهم النوع الثالث، وهو أن يقتل بعضهم بعضًا، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ لَمَّا نزلت عليه هذه الآية تعوَّذ بوجه الله من الأول والثاني، وقال في الثالث: هذا أهون^(٢)، وقد ساق الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ الأحاديث الواردة في الصحيحين وغيرهما المتعلقة بمعنى هذه الآية، فليُرجع إليه^(٣). ومعنى ﴿يَلْسِكُمْ﴾:

(١) أي: عذابٌ يحصبهم؛ أي يرميهم بحجارة، أو الريح التي تطلع الحصباء لقوتها. ينظر: لسان العرب (١/٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٨) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٦٩-٢٧٥).

يخاطبكم^(١)، و﴿شَيْعًا﴾ أي: فرقا^(٢). وقوله: ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يعني بالاقتيال. وقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيَاتِ﴾: أي تدبر أيها النبي أو كل من يعقل الخطاب ﴿كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيَاتِ﴾ أي: ننوعها^(٣)؛ أوامر ونواهي، ووعدًا ووعدًا، وقصصًا وأمثالا. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: أي صرفنا الآيات ليفهموا ما أريد منهم من التوحيد والإيمان بالله ورسله والإيمان باليوم الآخر. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾: أي كذب قومك - وهم قريش - بهذا القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾، جئتهم به من عند الله. وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ﴾: أي قل أيها النبي لقومك: ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فألزمكم الإيمان بالقرآن وأنتم كارهون، فليس ذلك إلي، بل ذلك إلى الله، فإنه القادر عليه، ولا أنا حفيظ لأعمالكم أحصيها عليكم وأجزيكم بها، بل ذلك إلى الله وحده. وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾: أي لكل خبر أخبر الله به ورسوله وقت يتحقق فيه^(٤). وقوله: ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تهديد للمكذبين؛ أي: سوف تعلمون ما أخبرتم به من البعث والحساب والجزاء، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾: يقبض أرواحكم عند النوم، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ﴾، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴿أي: النهار برّد أرواحكم، لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو أجل الحياة، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فيُجَازِيكُمْ بِهِ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ مُسْتَعْلِيًّا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: ملائكة تُحْصِي أَعْمَالَكُمْ. ﴿حَتَّىٰ إِذَا

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٣٣٨)، وتفسير الطبري (٩/٢٩٨).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٤)، وللسجستاني (ص ٢٩٢).

(٣) ينظر: تفسير الألوسي (٤/١٧٢)، والسعدي (ص ٢٦٠).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣١١)، والتفسير البسيط (٨/٢٠٧).

جاء أحدكم الموت توفته ﴿ وفي قراءة «توفاه» - ﴿رسلنا﴾: الملائكة
المؤكلون بقبض الأرواح، ﴿وهم لا يفرطون﴾: يقصرون فيما يؤمرون به،
﴿ثم ردوا﴾ أي: الخلق ﴿إلى الله مولاهم﴾: مالِكهم، ﴿الحق﴾: الثابت
العدل، ليُجازيهم. ﴿ألا له الحكم﴾: القضاء النافذ فيهم، ﴿وهو أسرع
الحاسبين﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، لحديث
بذلك. ﴿قل﴾ - يا مُحَمَّد - لأهل مكة: ﴿من يُنجيكم من ظلمات البر
والبحر﴾: أهوالهما في أسفاركم، حين ﴿تدعونه تضرعاً﴾: علانية
﴿وخفية﴾: سرّاً، تقولون: ﴿لئن﴾ لأم قسم ﴿أنجيتنا﴾ - وفي قراءة «أنجانا»
أي: الله - ﴿من هذه﴾ الظلمات والشدائد، ﴿لنكونن من الشاكرين﴾:
المؤمنين؟ ﴿قل﴾ لهم: ﴿الله يُنجيكم﴾ - بالتخفيف والتشديد - ﴿منها
ومن كل كرب﴾: غم سواها، ﴿ثم أنتم تُشركون﴾ به. ﴿قل﴾: هو القادر
على أن يبعث عليكم عذاباً، من فوقكم: ﴿من السماء كالحجارة والصيحة،
أو من تحت أرجلكم﴾ كالحسف، ﴿أو يلبسكم﴾: يخلطكم ﴿شيئاً﴾:
فرقاً مختلفة الأهواء، ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ بالقتال. قال ﷺ لما
نزلت: «هذا أهون» أو «أيسر»، ولما نزل ما قبله: «أعوذُ بوجهك». رواه
البخاري^(١). وروى مسلم حديث «سألت ربي ألا يجعل بأس أممي بينهم،
فمنعنيها»^(٢). وفي حديث «لما نزلت قال: أما إنها كائنة، ولم يأت تأويلها
بعد»^(٣). ﴿انظر: كيف نصرف﴾: نبين لهم ﴿الآيات﴾: الدلالات على
قدرتنا، ﴿لعلهم يفقهون﴾: يعلمون أن ما هم عليه باطل؟ ﴿وكذب به﴾:

(١) تقدم قريباً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٦٦)، والترمذي (٣٠٦٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال

الترمذي: «هذا حديث غريب»، وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي: «ضعيف الإسناد».

بِالْقُرْآنِ ﴿قَوْمُكَ، وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصِّدْقُ. ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فَأُجَازِيكُمْ، إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ، وَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ. وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ. ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: خَبِيرٌ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: وَقْتُ يَقَعُ فِيهِ وَيَسْتَقَرُّ، وَمِنْهُ عَذَابِكُمْ، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. تَهْدِيدٌ لَهُمْ.

وقول المؤلف: (يقبض أرواحكم عند النوم): تفسير «التوفي بالليل»، وهذا القبض لا يدوم بل يرسل الأرواح فيستيقظ الناس من نومهم؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].
وقوله: (كسبتم): تفسير ﴿جَرَحْتُمْ﴾، وسمي الكسب جرْحًا؛ لأنه يكون بالجوارح^(١).

وقوله: (برد أرواحكم): تفسير «البعث في النهار»؛ وهو الاستيقاظ من النوم.

وقوله: (هو أجل الحياة): يريد حياة كل شخص لا أجل الحياة الدنيا.
وقوله: (بالبعث): بيان لما يحصل به الرجوع إلى الله، والرجوع إلى الله يكون بالموت أولاً، ثم بالبعث ثانيًا.

وقوله: (فيجازيكم به): هذا تفسير للإنباء لغايته، وهو الجزاء.

وقوله: (مستعليًا): يبين أن القهر نوعٌ من العلو.

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١/٤٥١)، ولسان العرب (٢/٤٢٣).

وقوله: (ملائكة تحصي أعمالكم): تفسير للحفظة بالملائكة الموكلين بحفظ أعمال العباد، وكتابتها^(١)؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۝ كَرَامًا كَتِبِينَ ۝﴾ [الانفطار]، وهم صنف من الملائكة.

وقوله: (وفي قراءة «توفاه»): أي توفاه الرسل؛ لأنَّ الفعل المسند لجمع التكسير يجوز تذكيره وتأنيثه، فجاءت القراءة على الوجهين ﴿تَوَفَّاهُ﴾ و«توفاه»^(٢).

وقوله: (الملائكة الموكلون بقبض الأرواح): بيان للمراد بالرسل المتوفين. وقوله: (يقصرون فيما يؤمرون به): تفسير للتفريط المنفي عن الرسل. وقوله: (أي: الخلق): هذا تفسير لا يناسب السياق لما فيه من العموم، ولو قال: «أي: المتوفون من الناس» كان أولى وأظهر^(٣).

وقوله: (مالكهم): تفسير ﴿مَوْلَاهُمْ﴾؛ لأنَّ مالك الشيء وليه. وقوله: (الثابت العدل): أي الثابت الملك العدل في حكمه. وقوله: (القضاء النافذ فيهم): يريد أنَّ حكم الله بين العباد نافذ لا مردَّ له. وقوله: (يحاسب الخلق...) إلى آخره: بيان لسرعة حساب جميع العباد، وأنه يكون في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، وأشار إلى الحديث الوارد في ذلك، وكذلك أشار إليه في سورة البقرة، وسبق التعليق عليه، وتخريجه عند قوله: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝﴾ [البقرة]^(٤).

وقوله: (يا محمد لأهل مكة): بيان للمخاطب بالأمر، والمخاطب بمقول القول.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٨٩)، وزاد المسير (٢/٣٨).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات (ص ٢٥٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٢٨٣)، والتحرير والتنوير (٧/٢٧٩).

(٤) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١/٤٢٨).

وقوله: (أهو الهما): تفسير «للظلمات»^(١).

وقوله: (في أسفاركم): لأنَّ أكثر ما تعرض الأهوال في الأسفار.

وقوله: (علانية): ليس هذا تفسير «للتضرع»، بل أراد أنَّ التضرع يكون علانية كما يكون خفية.

وقوله: (سرًّا): تفسير «خفية».

وقوله: (تقولون): يبين أنَّ جملة: ﴿لَئِنْ أَنْجَدْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

مقول قول مقدر.

وقوله: (لام قسم): بيان لنوع اللام التي قبل إن الشرطية، وهذا مطرد في

هذه اللام أنها للقسم؛ كما يدل على ذلك جواب القسم ﴿لَنَكُونَنَّ﴾.

وقوله: (وفي قراءة...): إلى آخره: معنى القراءتين واحد، لكن إحداهما

بلفظ الخطاب، والأخرى بلفظ الخبر^(٢)، والمنجى هو الله على كل من القراءتين.

وقوله: (الظلمات والشدائد): بيان لمرجع اسم الإشارة في كلامهم، ولو

قال: «الشدّة» بلفظ الأفراد كان أولى؛ لأنهم يعنون الشدة المعينة التي هم فيها.

وقوله: (المؤمنين): يريد الموحّدين، والإيمان والتوحيد أعظم ما يشكر

الله به.

وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول.

وقوله: (بالتخفيف والتشديد): يشير إلى القراءتين في الفعل بتخفيف

الجيم المكسورة وتشديدها^(٣).

(١) قال ابن عطية: «ظلمات البر والبحر يراد به شدائدهما، فهو لفظ عام يستغرق ما كان من

الشدائد بظلمة حقيقية وما كان بغير ظلمة». المحرر الوجيز (٣/٣٨١)، وينظر: تفسير

الطبري (٩/٢٩٤)، والتفسير البسيط (٨/١٩٩).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٩).

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

وقوله: (غم سواها) غم: تفسير ﴿كُوبٌ﴾، و«سواها» أي: سوى الشدة التي تضرعوا إلى الله فيها.

وقوله (به): أي بالله.

وقوله: (من السماء...) إلى آخره: السماء تفسير «فوق»، والحجارة والصيحة نوعان من العذاب الآتي من فوق؛ كما فعل الله بقوم لوط وثمود.

وقوله: (كالخسف) أي: خسف الأرض، وهو أكثر ما يقع من العذاب من تحت؛ كما فعل الله بقارون.

وقوله: (يخلطكم): تفسير ﴿يَلْسَكُ﴾.

وقوله: (فرقًا مختلفة الأهواء): تفسير «شيع»، والفرقة: الشيعة، وجمعها: شيعٌ.

وقوله: (بالقتال...) إلى آخره: بيان لما يكون به ذوق البأس، ثم أشار إلى بعض ما ورد من السنة في شأن هذه الآية.

وقوله: (نبين لهم): تفسير ﴿نُصِرْفُ﴾^(١).

وقوله: (الدلالات على قدرتنا): تفسير ﴿الْآيَاتِ﴾، يريد أن آيات الله الكونية تدل على قدرته.

وقوله: (يعلمون...) إلى آخره: يريد لعلهم يفهمون بطلان ما هم عليه.

وقوله: (بالقرآن): بيان للمراد بالضمير المجرور.

وقوله: (الصدق): تفسير ﴿الْحَقُّ﴾، يريد أن القرآن صدق لا كذب فيه.

وقوله: (لهم): أي للمشركين فإنهم المخاطبون بمقول القول.

وقوله: (فأجازيكم...) إلى آخره: بيان لما تقتضيه الوكالة من التصرف.

وقوله: (خبر): تفسير ﴿نَبَأٌ﴾^(٢).

(١) تنظر: (ص ٢٤٧).

(٢) ويختار شيخنا - سده الله - أن النبا هو الخبر الذي له شأن. تنظر: (ص ٦٥).



وقوله: (وقت...) إلى آخره: تفسير ﴿مُسْتَقَرًّا﴾، وهو الوقت الذي يقع فيه مُخْبِرَ الخبر، وحقيقته.
وقوله: (تهديد لهم): بيان للمراد من هذا الخبر؛ وهو التهديد.



إِذَا مَثَلُهُمْ ﴿النساء: ١٤٠﴾، وقال بعضهم: إِنَّ آيَةَ النِّسَاءِ نَاسِخَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي﴾، وليس ببعيد^(١)؛ فَإِنَّ آيَةَ النِّسَاءِ مَتَأَخَّرَةٌ؛ لِأَنَّ سُورَةَ النِّسَاءِ مَدِينِيَّةٌ وَسُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ، وَفِي آيَةِ الْأَنْعَامِ تَسْهِيلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أَي: لِيَسُوا مَسْئُولِينَ عَنِ أَوْلِيَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَلَا مَعَاقِبِينَ بِذُنُوبِهِمْ، وَفِي آيَةِ النِّسَاءِ تَغْلِيظٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ أَي: إِذَا قَعَدْتُمْ مَعَهُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَسْتَهْزِئُونَ، وَمَتَى أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَاجْتَنَبْتُمُوهُمْ بَرْتُمْ مِنْ تَبِعْتُمْ^(٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدَرَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلٍ وَلَهْوًا﴾: أَي بِالْتَّكْذِيبِ وَالِاسْتَهْزَاءِ بِهِ، ﴿وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أَي خَدَعْتَهُمْ بِمَلَذَاتِهَا وَأَنْوَاعِ الزِينَةِ فِيهَا، وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ أَوْلِيَاءِ الْكُفَّارِ فَلَا يُؤْذِنُهُمْ وَلَا يَعَاقِبُونَهُمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْأَمْرِ بِجِهَادِهِمْ، وَقَبْلَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَكِنْ الْوَاجِبُ تَذْكَيرُهُمْ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَرْتَهِنَ نَفُوسَهُمْ بِالْمَوْتِ، وَلَيْسَ لَهُمْ حِينٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِي وَلَا شَفِيعَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدَاءً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أَي: لَثَلًا تَبْسَلُ؛ أَي تَرْتَهِنُ^(٣)، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدَلٍ لَا يُؤَخِّدُ مِنْهَا﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾: أَي ارْتَهَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَهُمْ الْكُفَّارُ، ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾: النَّارُ ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾؛ أَي بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

(١) وهو قول ابن جريج والسدي، وردَّ ابن العربي على من قال أنها محكمة، لأنها خبر بقوله:

«هذه غباوة ظاهرة! ليس هذا بخبر بل هو صريح أمر». ينظر: تفسير الطبري (٩/٣١٧-

٣١٨)، والناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٢١١).

(٢) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (٢/٥٥٦).

(٣) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ١٦٢)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ١٥٧).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: أمرٌ من الله لنبهه أن ينكر على المشركين دعوتهم المؤمنين إلى عبادة الأوثان، وهي لا تنفع ولا تضر. وقوله: ﴿وَنُرِدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾: أي نرجع مرتدين عن ديننا متحيرين. وقوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾: أي مثل الذي استهوته الشياطين؛ أي ذهب بقلبه، وحملته على اتباع هواه^(١)، فأضلته عن طريق الحق، فأصبح حيران لا يهتدي إلى الطريق. وقوله: ﴿لَهُ وَأَصْحَابُ﴾: أي له أصحاب مستقيمون على الطريق يدعون صاحبهم إلى الطريق فلا يجيب. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾: أي ما أنزل الله من الهدى هو الهدى الحق الذي به العصمة من الضلال. وقوله: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: هذا من مقول القول الذي أمر به النبي ﷺ؛ أي: قل أيها النبي: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وقوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي وأمرنا أن نقيم الصلاة، فقل لنا: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. ﴿وَأَتَّقُوهُ﴾: أي اتقوا الله في السر والعلانية بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: أي الله هو الذي يحشر العباد إليه؛ أي: يُجمعون ويحضرون لديه. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أي: والله هو الذي بدأ خلق السموات والأرض، ﴿بِالْحَقِّ﴾: يعني بقدرته ومشيئته وحكمته.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: أي حين يقول تعالى للشيء كن فيكون، وكلامه حقٌ تتحقق به الأشياء كما أراد، كما يفيد قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وكما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس]. وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَلَأُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: أي لله الملك وحده في ذلك اليوم الذي يُنْفَخُ فيه في الصور؛ أي: يوم القيامة؛ كما

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٥)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٨٤٩).

قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وقوله تعالى: ﴿الْمَلِكِ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]: أي يوم تشقق السماء بالغمام، وينزل الملائكة؛ وهو يوم القيامة، ففي ذلك اليوم لا ملك لسواه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فقد ذهب ملوك الدنيا. والصُّور: هو قرن ينفخ فيه^(١)، والموكل به إسرافيل^(٢)، وهو ينتظر متى يؤمر أن ينفخ، فإذا جاء موعد القيامة أمره الله فنفخ النفخة الأولى؛ وهي نفخة الفزع والصعق، فتموت الخلائق، ثم يؤمر بالنفخة الثانية، فيقوم الناس من القبور؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَفْخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]^(٣)، وقد ذكر الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية الأحاديث الواردة في الصور^(٤)، ومنها؛ قوله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور ينتظر متى يؤمر أن ينفخ**»^(٥). وقوله: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾: ثناء من الله على نفسه بكمال علمه وحكمته، وفي هذه الآيات دلالة على أن الأمر كله لله، فهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: القرآن بالاستهزاء
﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ. وَإِمَّا﴾

- (١) ينظر: تفسير الطبري (٣٣٩-٣٤٠)، وزاد المسير (٤٤/٢-٤٥).
- (٢) نُقل الإجماع على أن صاحب الصُّور هو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووقع التصريح به في أحاديث. ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٤٨٨)، وفتح الباري (١١/٣٦٨).
- (٣) واختلف في عدد النفخات؛ فقليل: ثلاث، وقيل: نفختان، والسنة الثابتة على أنهما نفختان. ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٤٩٠)، وفتح الباري (١١/٣٦٨).
- (٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٨١-٢٨٨).
- (٥) أخرجه أحمد (١١٦٩٦)، وابن أبي داود في البعث (١٨) - واللفظ له - من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٨٢٣)، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٠١٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه. وروي من حديث ابن عباس وزيد بن أرقم وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله والبراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: الصحيحة (١٠٧٩).

-فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة- ﴿يُنْسِينَكُ﴾، بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد، ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ أي: تذكره، ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. فيه وضع الظاهر موضع المضمرة. وقال المسلمون: إن قُمنَّا كلِّمًا خاضوا، لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف. فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله، ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: الخائضين، ﴿مِنْ﴾ -زائدة- ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوهم، ﴿وَلَكِنْ﴾ عليهم ﴿ذَكَرَى﴾: تذكيرة لهم ووعظ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض. ﴿وَذَرِ﴾: اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كُلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾، باستهزائهم به، ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، فلا تتعرض لهم -وهذا قبل الأمر بالقتال- ﴿وَذَكَرَ﴾: عِظُ ﴿بِهِ﴾: القرآنِ النَّاسِ، ﴿لِأَنَّ﴾ لا ﴿تُسَلِّ نَفْسٌ﴾: تُسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: عملته، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾: ناصر، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب، ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ عَدَلٍ﴾: تفد كل فداء ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ ما تفدى به. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾، لهم شرابٌ من حَمِيمٍ: ماءٍ بالغ نهاية الحرارة، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: بكفرهم. ﴿قُلْ: أَدْعُو﴾: أنعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾، بعبادته، ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها -وهو الأصنام- ﴿وَوُرِدَ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾: نرجع مُشركين، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام، ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾: أضلته ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾، حيرانٌ: مُتَحِيرًا لا يدري أين يذهب؟ حال من الهاء، ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾: رُفقاء ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾، أي: ليهدوه الطريق، يقولون له: ﴿إِتِّنَا﴾. فلا يُجيبهم فيهلك؟ والاستفهام للإنكار، وجملة التشبيه حال من ضمير «نرد». ﴿قُلْ: إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾، وما عداه ضلال، ﴿وَأَمْرًا لِنُسَلَّمَ﴾، أي: بأن نُسلم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وأن ﴿أَيُّ﴾: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا﴾ تعالى.

﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُجمعون يوم القيامة للحساب. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحَقَّقًا، ﴿و﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشَّيْءِ: ﴿كُنْ. فَيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة - يقول للخلق: قوموا. فيقومون - ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: الصِّدْقُ الْوَاقِعُ لَا مُحَالَةَ، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: الْقَرْنِ الْنَفْخَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ إِسْرَافِيلَ، لَا مُلْكَ فِيهِ لغيره ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ لِلَّهِ﴾، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: مَا غَابَ وَمَا سُوهَدَ، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فِي خَلْقِهِ، ﴿الْخَيْرِ﴾ بِيَاطِنِ الْأَشْيَاءِ كظَاهِرِهَا.

وقول المؤلف: (القرآن بالاستهزاء): بيان للمراد بالآيات؛ وهي القرآن، وما يكون به الخوض؛ وهو الاستهزاء بآيات الله.
 وقوله: (ولا تجالسهم): بيان لما يتحقق به الإعراض.
 وقوله: (فيه إدغام نون «إن»...) إلى آخره: يبين أن «إمًا» مركبة من حرفين «إن» الشرطية و«ما» الزائدة بسبب إدغام «إن» في «ما» الزائدة.
 وقوله: (بسكون النون...) إلى آخره: يشير إلى قراءتين؛ إحداهما بسكون النون جزمًا بأداة الشرط، والثانية بفتح النون مع التشديد^(١).
 وقوله: (فقعدت معهم): بيان لأثر النسيان؛ وهو القعود مع الخائضين.
 وقوله: (أي: تذكُّرِه): تفسير ﴿ذِكْرَى﴾.
 وقوله: (فيه وضع الظاهر موضع المضمرة): يفيد أن مقتضى السياق أن يقال: «فلا تقعد معهم»^(٢).

(١) أي: «يُنَسِّئُكَ». ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٦)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٩).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/١٦٧)، والتحرير والتنوير (٧/٢٩٢).

وقوله: (وقال المسلمون...) إلى آخره: يشير إلى سبب نزول هذه الآية:

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

وقوله: (الله): بيان لمتعلق التقوى؛ وهو الله، وهو تعالى أهل التقوى.

وقوله: (أي: الخائضين): بيان للمراد بالضمير المجرور بالإضافة.

وقوله: (زائدة): أي هي التي تدخل على النكرة لتأكيد العموم^(٢).

وقوله: (إذا جالسوهم): أي نسياناً أو اضطراراً، فليس عليهم من

إثمهم شيء.

وقوله: (عليهم): يريد أن ليس على المتقين شيءٌ من حساب الخائضين،

لكن يجب عليهم أن يعظوهم ويذكروهم وينكروا عليهم؛ لعلهم يتوبون

ويتقون الله.

وقوله: (تذكرة لهم ووعظ): تفسير ﴿ذِكْرًا﴾.

وقوله: (الخوض): تقدير لمتعلق ﴿يَتَّقُونَ﴾، ولو قال: «الله» أي: يتقون

الله؛ كان أولى^(٣).

وقوله: (اترك): تفسير «ذر».

وقوله: (الذي كلفوه): صفة للدين.

وقوله: (باستهزأهم به): بيان للمراد بـ«اللعب واللهو»؛ وهو

استهزاءؤهم بالدين.

وقوله: (فلا تتعرض لهم): بيان لثمرة الأمر بتركهم.

(١) ينظر: تفسير الثعلبي (١٢/١٠٩)، والتفسير البسيط (٨/٢١١).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٠٦). وتقدم نظيرها في (ص ٢٥٣).

(٣) وقال ابن عطية: «لعلهم يتقون الله في ترك ما هم فيه»، وقيل: يتقون الوعيد، وقيل:

الاستهزاء، وقيل: مساءتكم. ينظر: تفسير الطبري (٩/٣١٧-٣١٨)، والمحزر الوجيز

(٣/٣٨٦)، وزاد المسير (٢/٨٢).

وقوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال): يريد أن هذه الآية منسوخة بآية السيف^(١).
وقوله: (عظ): تفسير «ذکر».

وقوله: (القرآن الناس): بيان للمراد بالضمير المجرور، وتقدير للمفعول.
وقوله: (لـ «أن» لا): يريد أن هذا التركيب لا بد فيه من تقدير لام التعليل ولا النافية.

وقوله: (تُسَلِّمَ إِلَى الْهَلَاكِ): أي تصير إلى الهلاك.

وقوله: (عملته): تفسير ﴿كَسَبَتْ﴾.

وقوله: (أي: غيره): تفسير ﴿دُونِ﴾.

وقوله: (ناصر): تفسير ﴿وَلِيًّا﴾؛ لأن الولي ينصر مواليه.

وقوله: (يمنع عنها العذاب): بيان لمنفعة الولي والشفيع.

وقوله: (تفد كل فداء): تفسير ﴿تَعْدِلُ كُلَّ عَدْلٍ﴾.

وقوله: (ما تفدى به): بيان للمراد بالذي لا يؤخذ.

وقوله: (بالغ نهاية الحرارة): بيان لحالة الماء الحميم.

وقوله: (مؤلم): يريد أن ﴿أَلِيمٌ﴾ محول من مؤلم.

وقوله: (بكفرهم): يبين أن «ما» مصدرية، وأن الجملة في تأويل مصدر.

وقوله: (أنعبد): تفسير «ندعو»، والدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء

عبادة^(٢)، والدعاء في الآية من دعاء العبادة.

وقوله: (بعبادته...) إلى آخره: يبين أن عبادتها وتركها سواء، فعبادتها لا

تنفع، وتركها لا يضر.

(١) وهو قول قتادة، وأكثر الناس على أنها محكمة. ينظر: تفسير الطبري (٩/٣١٩-٣٢٠)،
والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٤١٨)، ولابن العربي (٢/٢١٢).

(٢) ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد لشيخنا (ص٢٩٥).

وقوله: (نرجع مشركين): بيان للمراد بالرد على الأعقاب، شبه المرتد عن الإسلام بمن يمشي القهقري؛ أي: إلى الوراء.
وقوله: (إلى الإسلام): بيان لمعلق الهدى، وهدى الله هو الهدى إلى الإسلام.

وقوله: (أضلته): تفسير ﴿أَسْتَهْوَتْهُ﴾ بأن ذهبَتْ بفؤاده فتحيرَ في سيره.
وقوله: (متحيراً): تفسير ﴿حَيْرَانَ﴾.

وقوله: (لا يدري: أين يذهب؟): تفسير «متحير».
وقوله: (حال من الهاء): يريد الضمير المنصوب في ﴿أَسْتَهْوَتْهُ﴾.
وقوله: (رفقة): أي له رفقة مرافقون له في سيره أو سفره.
وقوله: (ليهدوه الطريق): يريد أن أصحاب هذا الحيران يدعونه ليهدوه الطريق؛ أي: الطريق الحسي.

وقوله: (يقولون له): يريد أن ﴿أَثْنًا﴾ مقول قولهم^(١).
وقوله: (فلا يجيبهم فيهلك؟): يريد أن هذا المتحير لا يجيب أصحابه إذا ما دعوه إليه فينتهي أمره إلى الهلاك.

وقوله: (والاستفهام للإنكار): يريد قوله: ﴿أَنْدَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢).
وقوله: (وجملة التشبيه...): إلى آخره: يريد بجملة التشبيه قوله: ﴿كَأَلَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ إلى قوله: ﴿أَثْنًا﴾؛ يقول: وهذه الجملة حال من الضمير المستتر في قوله: «نرد»^(٣).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٣٢/٩)، والكشاف (٣٦٢/٢).

(٢) ينظر: التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي (١١٣/٦)، وتفسير أبي السعود (١٤٩/٣).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٥٠٧/١)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦١٢/٢).

وقوله: (الذي هو الإسلام): تفسير ﴿هُدَىٰ اللَّهُ﴾؛ لأنَّ به الهداية إلى طريق النجاة والسعادة.

وقوله: (وما عداه ضلال): يريد أنَّ جملة ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ جملة حصر؛ أي: فلا هدى إلا في هدى الله.

وقوله: (أي: بأن نسلم): يريد أنَّ المصدر المؤول في موضع جر بحرف مقدر؛ وهو الباء^(١).

وقوله: (أي: بأن): يريد أنَّ قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ معطوف على «أن نسلم».

وقول المؤلف: (تعالى): يبين أنَّ المراد بالضمير المنصوب «الله»؛ أي: واتقوا الله.

وقوله: (تجمعون...) إلى آخره: تفسير ﴿تُحْشَرُونَ﴾.

وقوله: (محققاً): يريد أنَّ الجار والمجرور في موضع الحال؛ فالمعنى: خلق الله السموات والأرض موصوفاً بالحق.

وقوله: (اذكر): يريد أنَّ «يوم» منصوب على المفعول به لا على الظرفية^(٢).
وقوله: (للشيء): بيان لمتعلق القول.

وقوله: (هو يوم القيامة): بيان للمراد «يوم».

وقوله: (يقول للخلق قوموا فيقومون): يريد أنَّ الله يقول للأموات في قبورهم «قوموا»، فيقومون أحياء، وهذا الأمر أمر تكويني؛ كالذين قال لهم «موتوا» فماتوا ثم أحياهم^(٣).

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٠٧)، والدر المصون (٤/٦٨٦).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٣)، والدر المصون (٤/٦٩٠).

(٣) يشير شيخنا حفظه الله لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة]. وينظر تفسيرها في: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١/٥٣٧).

وقوله: (الصدق الواقع لا محالة): تفسير ﴿الْحَقُّ﴾ فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى أَكْمَلُ الْقَوْلِ صِدْقًا وَعَدْلًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقوله: (القرن...) إلى آخره: تفسير للصور بأنه قرن كما جاء في الحديث، ويَبِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّفْخِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ. وقوله: (لا ملك فيه غيره): بيان لما يفيدُه قوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾، وهو تفرُّده تعالى بالملك.

وقوله: (ما غاب وما شوهد): يبين أن الغيب والشهادة مصدران، الأول بمعنى اسم الفاعل، والثاني بمعنى اسم المفعول.

وقوله: (في خلقه)، وقوله: (بباطن الأشياء كظواهرها): بيان لمتعلق الاسمين الكريمين.



وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَىٰ أُمَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ الْكُوكَبَ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ﴾: يُذَكِّرُ الله نبيَّه خليله إبراهيم حين قال لأبيه منكرًا عليه عبادة الأصنام: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَىٰ أُمَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ فحكَّم على أبيه وقومه بالضلال البيِّن عن الصراط المستقيم. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي كشفنا لإبراهيم العوالم في السماء والأرض حتى رآها بعينه وبقلبه^(١)؛ ليزداد إيمانًا وليكون من الموقنين الذين لا يخطر لهم شك في ربوبيته تعالى وإلهيته. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: أي أظلم عليه الليل وغطَّاه^(٢) رأى كوكبًا؛ أي: نجمًا في السماء^(٣)؛ قال مناظرًا^(٤) لقومه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: كما تزعمون؛ لأنَّ قومه كانوا يعبدون الكواكب. وقوله: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: أي غاب الكوكب^(٥)؛ قال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: لا أحب الذي يأفل أن يكون لي ربًّا. وقوله: ﴿فَلَمَّا

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٣/٣٩٩-٤٠٠)، وتفسير ابن كثير (٣/٢٩٠).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٦)، والمفردات في غريب القرآن (ص٢٠٣).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٦٩٥).

(٤) وهذا هو الذي يرجحه شيخنا -سده الله-: فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مناظرًا لا ناظرًا، وهو

قول ابن كثير والشنقيطي. وينظر الخلاف في: تفسير الطبري (٩/٣٥٦-٣٦١)، وابن كثير

(٣/٢٩١)، ودفع إيهام الاضطراب (ص٥٩).

(٥) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٦)، والمفردات في غريب القرآن (ص٨٠).

رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا ﴿٧٧﴾: أي أول طلوعه، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ ﴿٧٨﴾ أي: على زعمكم، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أي: غاب ﴿قَالَ لَنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ أي: الذي أو من به إن لم يهدين إلى الدين الحق؛ ﴿لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ عن طريق الحق؛ لأن من لم يهده الله لم يهتد. وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً﴾: أي أول طلوعها، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ أي: على زعمكم، ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾: أي أكبر من الكوكب والقمر، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ أي: غابت، ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أي: لا أعبد ما تعبدون، ولا أرضى لكم عبادة غير الله. وقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أي بعبادته وحده لا شريك له، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لأنني لا أعبد إلا الله، ولا أقيم بين ظهرائهم ولا أتولاهم.

﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر﴾، هو لقبه واسمه تاريخ: ﴿أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ. ﴿إِنِّي أراك وقومك﴾، باتخاذها، ﴿في ضلالٍ﴾ عن الحق ﴿مبين﴾: بين. ﴿وكذلك﴾: كما أريناه إضلال أبيه وقومه، ﴿نري إبراهيم ملكوت﴾: ملك ﴿السموات والأرض﴾، ليستدل به على وحدانيتنا، ﴿وليكون من المؤمنين﴾ بها. وجملة «وكذلك» وما بعدها اعتراض. وعطف على «قال» ﴿فلما جن﴾: أظلم ﴿عليه الليل رأى كوكباً﴾ - قيل: هو الزهرة - ﴿قال﴾ لقومه وكانوا نجابين: ﴿هذا ربي﴾، في زعمكم. ﴿فلما أفل﴾: غاب ﴿قال﴾: لا أحب الأفلين ﴿أن اتخذهم أرباباً، لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال، لأنهما من شأن الحوادث. فلم ينجع فيهم ذلك. ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾: طالماً ﴿قال﴾ لهم: ﴿هذا ربي﴾. فلما أفل قال: لئن لم يهدينني ربي﴾: يُبَيِّنُني على الهدى، ﴿لأكونن من القوم الضالين﴾. تعريض لقومه بأنهم على ضلال. فلم ينجع فيهم ذلك. ﴿فلما رأى الشمس بازغاً قال﴾ هذا ﴿- ذكره لتذكير

خبره- ﴿رَبِّيَ﴾. هذا أكبر ﴿من الكوكب والقمر﴾. ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة، ولم يرجعوا، ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله، من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى مُحدث. فقالوا له: ما تعبد؟ فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾: خلق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الله، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً إلى الدين القيم ﴿وما أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

وقول المؤلف: (اذكر): تقدير للعامل في الظرف، وهو مفعول به.
 وقوله: (هو لقبه واسمه تاريخ): يريد أن ﴿أَزَرَ﴾ لقبُ أبي إبراهيم لا اسمه، وهذا خلاف ظاهر القرآن، والصواب أن أزرا اسم أبي إبراهيم^(١)، وما قاله المفسرون الأقرب أنه من الإسرائيليات^(٢).
 وقوله: (تعبدها): لأن الآلهة هي المعبودة.
 وقوله: (استفهام توبيخ): يريد الاستفهام في قوله: ﴿أَتَتَّخِذُ﴾، والتوبيخ يتضمن النهي^(٣).
 وقوله: (باتخاذها): أي بسبب اتخاذها.
 وقوله: (عن الحق): بيان لمتعلق الضلال؛ وهو الذهاب عن طريق الحق.
 وقوله: (بين): يريد أنه من «بان».
 وقوله: (كما أريناه إضلال أبيه وقومه): بيان لمرجع اسم الإشارة في قوله: «كذلك».

(١) وهو قول السدي وابن إسحاق، واختاره الطبري. ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٤٢-٣٤٥)، والبحر المحيط (٤/٥٦١-٥٦٢).

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي (١٢/١١٨-١١٩)، والدر المنثور (٣/٢٩٩-٣٠٠).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط (٢/٢٨٩)، والتحرير والتنوير (٧/٣١٢).

وقوله: (ملك): تفسير ﴿مَلَكُوتَ﴾، وهذا تفسير قاصر، ف ﴿مَلَكُوتَ﴾ أبلغ وأوسع^(١).

وقوله: (ليستدل به على وحدانيتنا): بيان للحكمة من رؤية إبراهيم الملكوت.

وقوله: (بها): بيان لمتعلق اليقين، والضمير في «بها» يعود للملكوت.

وقوله: (وجملة «وكذلك» وما بعدها اعتراض): يريد أنها اعتراض بين قوله: ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، والجملة المعترضة مستأنفة ليست من كلام إبراهيم^(٢).

وقوله: (وعطف على «قال»): يريد أن قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ معطوف على ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾.

وقوله: (أظلم): تفسير ﴿جَنَّ﴾؛ لأن الظلمة تستر ما تغشاه.

وقوله: (قيل هو): أي الكوكب.

وقوله: (الزهرة): نجم معروف، والجزم بأن المراد بالكوكب «الزهرة» يحتاج إلى دليل^(٣).

وقوله: (لقومه، وكانوا نجامين): يريد أنهم منجمون، والمعروف أن النسبة إلى علم النجوم منجم، وأما قوله: (نجامين)؛ فهي نسبة غير معروفة^(٤).

وقوله: (في زعمكم): لأنهم يقولون: إنَّ النجم ربهم، فيكون رب إبراهيم على قولهم، ولهذا قال المؤلف: على زعمكم.

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٢٦٥)، وتفسير البغوي (٣/١٥٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/٣٦٦)، والبحر المحيط (٤/٥٦٢).

(٣) وقيل: المشتري. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٣٢٨)، والدر المثور (٣/٣٠٤-٣٠٦).

(٤) ذكر هذه النسبة فئة قليلة من أهل العلم منهم: ابن دريد، وابن سيده، والزمخشري. ينظر: جمهرة اللغة (١/٥٢٤)، والمحکم والمحيط الأعظم (٢/٧٤)، والكشاف (٥/٢١٦).

وقوله: (غاب): تفسير ﴿أَفَلَّ﴾.

وقوله: (أن أتخذهم أرباباً...) إلى آخره: بيان لمتعلق المحبة المنفية؛ وهو اتخاذ الأفلين أرباباً. وقوله: (لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال): هذا النفي من طريقة المعطلة من الجهمية ومن تبعهم؛ لأنَّ لفظ التغير يحتمل معاني، منها ما يجوز على الله، ومنها ما لا يجوز، وأمّا نفيهم للانتقال فللتوصل إلى نفي النزول والمجيء^(١). وقوله: (لأنهما من شأن الحوادث): يريد أن التغير والانتقال من صفة المخلوقين. وقوله: (فلم ينجع فيهم ذلك): يريد أنهم لم ينتفعوا بدعوة إبراهيم ومناظرتة.

وقوله: (طالعا): تفسير ﴿بَارِعًا﴾ لكن البزوغ أول الطلوع^(٢).

وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين بالقول.

وقوله: (يثبني على الهدى): فسّر الهدى بالثبوت؛ لأنَّ إبراهيم لم يزل على الهدى.

وقوله: (تعريض لقومه...) إلى آخره: يريد أن قول إبراهيم: ﴿لَأَكُونَنَّ

مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ يتضمن معنى «وأنتم القوم الضالون»^(٣).

وقوله: (ذكره لتذكير خبره): يريد أنه ذكر اسم الإشارة ﴿هَذَا﴾، والمشار

إليه ﴿الشَّمْسُ﴾ وهي مؤنث، و﴿أَكْبَرُ﴾ مذكر؛ فذكر اسم الإشارة؛ يقول: لأنَّ خبره مذكر^(٤).

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٠٩)، ومجموع الفتاوى (٦/٢٤٩) وما بعدها، (٢٨٤/٦).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٦)، وللسجستاني (ص ١٢٠).

(٣) ينظر: حاشية ابن المنيّر على الكشّاف (٢/٣٦٦)، والتحرير والتنوير (٧/٣٢١-٣٢٢).

(٤) وقيل غير ذلك. ينظر: البحر المحيط (٤/٥٦٦)، والدر المصون (٥/١٤-١٥).

وقوله: (من الكوكب والقمر): أي اللذين تقدم ذكرهما، وهما المفضل عليه.

وقوله: (وقويت عليهم الحجة): أي قامت عليهم الحجة بإبطال ربوبية الكوكب والقمر والشمس، ومع ذلك لم يرجعوا عن الشرك.

وقوله: (بالله...) إلى آخره: بيان لحقيقة الشرك؛ وهو الشرك بالله لعبادة الأصنام، وهي مخلوقة لا تنفع ولا تضر، والله تعالى هو المستحق للعبادة.

وقوله: (فقالوا له: ما تعبد؟): تقدير استفهام من قبل المشركين؛ ليكون قول إبراهيم جواباً له، ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

وقوله: (قصدت بعبادتي): تفسير لقول إبراهيم: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وأنه أراد بقوله ذلك التعبير عن الإخلاص.

وقوله: (خلق): تفسير ﴿فَطَرَ﴾؛ أي: ابتداء خلق السموات والأرض^(١).
وقوله: (أي: الله): تفسير للموصول «الذي».

وقوله: (مائلاً إلى الدين القيم): هذا تفسير «الحنيف»، وهو من الحنف: ميل يكون في القدم^(٢).

وقوله: (به): أي بالله، وهذا براءة من المشركين؛ كقوله: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، فتراها من المشركين ومن معبوداتهم من دون الله.



(١) تنظر: (ص ٢١٤).

(٢) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ١٨٤)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٦٠).

وقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾: أي قوم إبراهيم جادلوه في الله، منكرين لتوحيده في ربوبيته وإلهيته؛ ليصرفوا إبراهيم عن دينه الذي جاءهم به؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا﴾: أي إلى الدين الحق فلا أعبد إلا الله، ولا أعبد ما تعبدون، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ وهي الأصنام التي يعبدونها، فإنها لا تنفع ولا تضر. وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾: أي: إن الهدى والضلال يكون بمشيئته تعالى، فلو شاء ربي أن أخاف معبوداتكم كما تخافونها لكنت مثلكم، فالأمر لله، وهو يعلم ما يكون؛ لأنه تعالى وسع كل شيء علماً. وقوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أي أفلا تتذكرون قدرة الله وحكمته وسعة علمه. وقوله: ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾: هذا استفهام استبعاد وتعجب، وأنتم لا تخافون الله. ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: أي حجة^(١) تدل على أن عبادة الأصنام حق؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وكل من أشرك بالله فلا برهان ولا سلطان له بشركه^(٢). وقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾: أي فريق الموحدين

(١) ينظر: الوجوه والنظائر للدامغاني (ص ٢٥٨-٢٥٩)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٣٤٥).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٤٩/١٣)، والعذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير

المخلصين لله، وفريق المشركين الذين خلطوا إيمانهم بالشرك، ومعلوم بالضرورة أن المخلصين دينهم لله أحق بالأمن، وهم المهتدون بهدى الله. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾: اسم الإشارة إلى ما تقدم من قول إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، فإنه تضمّن حجة بالغة في بيان الحق، وحجة دامغة للباطل، وهذا من العلم الذي يرفع الله به من شاء درجات. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: فإن كل ما تقدم من مناظرة إبراهيم لقومه، وظهور حجته عليهم من آثار حكمته وسعة علمه، ولذا ختمت القصة بذكر الاسمين الشريفين «الحكيم، العليم».

﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ﴾: جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام أن تُصيبيه بسوء، إن تركها. ﴿قَالَ: أَتَحَاجُّونِي﴾، بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين، وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء: أَتُجَادِلُونِي ﴿فِي﴾ وحادنيّة ﴿اللَّهِ، وَقَدْ هَدَانِ﴾ - تعالى - إليها؟ ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ - به ﴿من الأصنام، أن تُصيبي بسوء لعدم قدرتها على شيء. ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يُصيبي فيكون. ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله، وهي لا تضر ولا تنفع، ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾، في العبادة، ﴿مَا لَمْ يُنَزَلْ بِهِ﴾: بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: حجة وبرهاناً، وهو القادر على كل شيء؟ ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ من العذاب، أنحن أم أنتم؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به - أي: وهو نحن - فأتبعوه. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا، وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾: يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، أي شرك، كما فسّر بذلك في حديث الصحيحين، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من العذاب، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ،

وَتِلْكَ ﴿: مُبْتَدَأٌ، وَيُبَدَلُ مِنْهُ ﴿حُجَّتْنَا﴾ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ
اللَّهِ، مِنْ أَقْوَالِ الْكُوكَبِ وَمَا بَعْدَهُ، وَالْخَبْرُ: ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾: أَرْشَدْنَاهُ لَهَا
حُجَّةً ﴿عَلَى قَوْمِهِ. نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ - بِالْإِضَافَةِ وَالْتُونِينَ - فِي الْعِلْمِ
وَالْحِكْمَةِ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ.

وقول المؤلف: (جادلوه في دينه... إلى آخره): تفسير «حاجه قومه»،
والمحاجاة والمجادلة معناهما واحد أو متقارب^(١). وقوله: (وهددوه بالأصنام):
أخذ المؤلف هذا المعنى من قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمُ﴾.
وقوله: (بتشديد النون وتخفيفها): إشارة إلى قراءتين^(٢).
وقوله: (بحذف إحدى النونين): يريد نون رفع الفعل المضارع
ونون الوقاية.

وقوله: (وهي نون الرفع... إلى آخره): يريد أن النون المحذوفة عند
النحاة هي نون الرفع الدالة على رفع الفعل المضارع، والنون المحذوفة عند
أصحاب القراءة هي نون الوقاية^(٣).

وقوله: (وحدانية): بيان لمتعلق الجدل.
وقوله: (إليها؟): بيان لمتعلق الهداية.
وقوله: (ما تشركونه«): الضمير المنصوب الذي قدره المؤلف هو
العائد إلى الموصول، والمراد بالموصول: الأصنام.

(١) ينظر: لسان العرب (٢/٢٢٨).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٥٩).

(٣) ينظر: الدر المصون (٥/١٦-١٩)، وهمع الهوامع في شرح جمع لجوامع (١/٢٦٢).

وقوله: (من الأصنام...) إلى آخره: بيان للمراد بالموصول، وتعليل لعدم الخوف منها.

وقوله: (لكن): بدل «إلا» يبين أن الاستثناء منقطع^(١).

وقوله: (من المكروه...) إلى آخره: بيان للشيء الذي قد يشاءه الله، وما شاءه الله فلا بد أن يكون.

وقوله: (وسع علمه كل شيء): بيان لإحاطة علمه، وأن كل شيء داخل في علمه فهو معلوم له.

وقوله: (هذا فتؤمنون): الإشارة إلى ما تقدم من نفاذ مشيئته تعالى وسعة علمه.

وقوله: (وهي لا تضر ولا تنفع): بيان لسبب عدم خوف الأصنام. وقوله: (أنتم من الله): تقديرٌ لضمير الخطاب المستتر، وبيانٌ لمتعلق الخوف المنفي عنهم.

وقوله: (في العبادة): بيان لموضع الشرك من عملهم؛ وهو العبادة. وقوله: (بعبادته): يريد أن الضمير المجرور بالباء على تقدير مضاف؛ وهو العبادة.

وقوله: (حجة وبرهاناً): تفسير «سلطان».

وقوله: (وهو القادر على كل شيء؟) أي: ومن ذلك إنزال السلطان فلو شاء لأنزل، ولكن ذلك ممتنع في حكمته أن يُنزل سلطاناً على الشرك.

وقوله: (من العذاب): بيان لمتعلق «الأمن».

وقوله: (أنحن أم أنتم؟): بيان لمعنى «أي الفريقين».

وقوله: (من الأحق به): تقدير لمفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

(١) وممن ذهب إلى انقطاعه: ابن عطية والحوافي وأبو البقاء في أحد الوجهين. ينظر: المحرر الوجيز (٣/٤٠٦)، والتبيان في إعراب القرآن (١/٥١٣)، والدر المصون (٥/٢٠).

وقوله: (أي: وهو نحن): بيان لما يقتضيه سياق الكلام، وهو أن الأحق بالأمن من يخاف الله ولا يخاف الأصنام؛ وهو إبراهيم ومن معه.
وقوله: (فاتبعوه): يريد إذا علمتم الأحق بالأمن فاتبعوه على طريقي، لتأمنوا مثله.

وقوله: (قال تعالى): يريد أن جواب الاستفهام من كلام الله، لا من كلام إبراهيم^(١).

وقوله: (يخلطوا): تفسير ﴿يَلْبَسُوا﴾، فاللبس معناه الخلط^(٢)، ومنه خلط الحق بالباطل، وخلط التوحيد بالشرك.

وقوله: (أي: شرك...) إلى آخره: فسر الظلم بالشرك، وهذا هو ما فسره به النبي في قوله: «إنه الشرك»^(٣)، وذكر قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان].

وقوله: (من العذاب): بيان لمتعلق ﴿الْأَمْنُ﴾.
وقوله: (مبتدأ...) إلى آخره: تضمن كلامه إعراب هذه الجملة الاسمية؛ قال: «تلك» مبتدأ، و«حجة» بدل منه، وجملة ﴿ءَاتَيْنَهَا﴾ خبر المبتدأ^(٤)، وبين المراد بالحجة؛ وهي إبطال إبراهيم ربوية الكوكب والقمر والشمس بأقولها.
وقوله: (أرشدناه لها حجة): تفسير قوله: ﴿ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ﴾.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٦٧/٩). ويرى شيخنا - سده الله - أنه يحتمل أن يكون من تمام قول إبراهيم، ويحتمل أن يكون جواباً من الله. ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد (ص ٤٦).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٥٦)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٧٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥١٤-٥١٥)، والدر المصون (٥/٢٤).

وقوله: (بالإضافة والتنوين): يشير إلى قراءتين في ﴿دَرَجَاتٍ﴾ بالإضافة إلى ﴿مَنْ﴾، وبالتنوين؛ أي: بغير إضافة^(١).

وقوله: (في العلم والحكمة): بيان لما به الرِّفْعَة.

وقوله: (في صنعه) و(بخلقه): بيان لمتعلّق الاسمين الكريمين «الحكيم» و«العليم».



(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ كُلًّا هَدَيْنَا ۗ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ۗ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ ۗ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ ۗ وَلُوطًا ۗ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۗ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۗ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى أنه وهب لإبراهيم ابناً اسمه إسحاق، وابتاً من ابنه إسحاق اسمه يعقوب، وأنه تعالى هداهم بالعلم، والتوفيق للعلم الصالح، ثم أخبر تعالى أنه كما هدى إبراهيم وإسحاق ويعقوب هدى نوحاً من قبل، وهدى من ذرية إبراهيم^(١): داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس، وهدى لوطاً، وكل هؤلاء من أنبياء بني إسرائيل، من ذرية يعقوب إلا لوطاً؛ فإنه ابن أخي إبراهيم، ثم أخبر تعالى أنه فضل كل من ذكر من إبراهيم وذريته على العالمين، وأنه فضل من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم، وأنه اختارهم وهداهم إلى صراط مستقيم، والأظهر أن ليس المراد بالآباء والذرية الأذنين؛ بل المراد الآباء وإن علوا؛ فيدخل فيهم نوح، ومن حمل من ذريته في السفينة؛ بل يدخل في اسم الآباء المهديين الأب الأول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمراد بالذرية ذرية الأنبياء المذكورين

(١) فالضمير يرجع لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعطاء. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧٥٥٧)، والتفسير البسيط (٢٥٧/٨)، وزاد المسير (٥٠/٢)، وسيأتي مزيد بيان في التعليق.

وإن نزلوا؛ فيدخل فيهم كل من هدى الله من ذريات أولئك الأنبياء إلى آخر الدهر، ثم أخبر أن هذا الهدى الذي أنعم به على من ذكر؛ هو هدى الله الذي يهدي به من يشاء من عباده، وأخبر أن كل من هدى الله فهم موحدون لله، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، ثم أمر الله نبيه بالافتداء بهم؛ فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْلِهِمْ أَقْتَدَ﴾ وأمره أن يقول للكفار: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: على دعوتكم وتبليغكم القرآن، فما هذا القرآن إلا ذكرى؛ أي: تذكرة وتبصير للعالمين؛ أي: لجميع الناس.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه، ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿داوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه، ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب، ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ - وَكَذَلِكَ﴾: كما جزيناهم، ﴿نَجَّزِي الْمُحْسِنِينَ - وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ ابنه، ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم، يُفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت، ﴿وإلياس﴾ ابن أخي هارون أخى موسى - ﴿كُلُّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ - وإسماعيل﴾ ابن إبراهيم. ﴿وَاليَسَعَ﴾، السلام زائدة، ﴿ويونس ووطى﴾ ابن هاران أخى إبراهيم. ﴿وكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة، ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ - عطف على «كُلًّا» أو «نوحًا»، ومن: للتبويض لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر - ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: اخترناهم، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هُودوا إليه ﴿هُدَى﴾ الله، يهدي به من يشاء من عباده، ولو أشركوا ﴿فَرَضًا﴾ لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أولئك الذين آتيناهم الكتاب - ﴿بمعنى الكتب - وَالْحُكْمَ﴾: الحكمة ﴿وَالنَّبُوَّةَ﴾. فإن يكفر بها ﴿أي﴾: بهذه الثلاثة ﴿هُؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: أرصدنا لها ﴿قَوْمًا، لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾،

هم المهاجرون والأنصار. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ﴾: طريقهم من التوحيد والصبر ﴿اِقْتَدِهِ﴾، بهاء السكت وقفًا ووصلًا، وفي قراءة بحذفها وصلًا. ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تُعْطُونِيهِ. ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَى﴾: عِظَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: الإنس والجن.

وقول المؤلف: (ابنه) أي: يعقوب ابن إسحاق. وقوله: (منهما): يريد إسحاق ويعقوب، والأظهر أن المراد بـ «كل»: إبراهيم وإسحاق ويعقوب^(١).

وقوله: (قبل إبراهيم): لأنَّ نوحًا أول الرسل، فجميع الرسل من بعده، يدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقوله: (أي: نوح): ردَّ الضمير إلى نوح؛ لأنه أقرب مذكور، وقيل: من ذرية إبراهيم لأنَّ سياق الآيات فيه، وكل من القولين حق^(٢)، واختار الأول ابن جرير^(٣).

وقوله: (ابنه) أي: إنَّ سليمان ابن داود، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص].

وقوله: (ابن يعقوب): يبين أنَّ يوسف أبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، كما يدل لذلك قوله ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ يوسف بن

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٣٧/٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٦٩/٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣٨١-٣٨٢/٩).

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(١)، وقوله تعالى عن يوسف: ﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ
ءَابَائِي إِتْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨].

وقوله: (كما جزيناهم): بيان لمراجع اسم الإشارة في قوله تعالى:
﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله: (ابنه): يبين أن يحيى ابن زكريا، كما يدل لذلك ما جاء في قصة
زكريا في سورة مريم، وسورة آل عمران.

وقوله: (ابن مريم...) إلى آخره: يبين أن المراد بعيسى؛ عيسى ابن مريم
الصديقة، وليس في القرآن عيسى آخر؛ بل هو ابن مريم في جميع الآيات، ثم
أشار المؤلف إلى فائدة فقهية؛ وهي أن أولاد البنات يدخلون في الذرية؛ فإن
الله قال: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُ﴾؛ نوح أو إبراهيم^(٢)، وذكر منهم عيسى^(٣).

وقوله: (ابن أخي هارون...) إلى آخره: الصواب إسقاط «أخ» الأولى^(٤)،
والمفسرون مضطربون في المراد بـ «إلياس» وفي نسبة^(٥)، والواجب الإمساك
عن الخوض في ذلك لعدم ما يجب التعويل عليه؛ فإن الخوض فيما لا دليل
عليه يتضمن القول بلا علم، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، والذي يجب القطع به أن «إلياس»: رسول إلى قوم
مشركين لهم صنمٌ يقال له: البعل، فنهاهم عن ذلك، وأنه يسمى «إلياس»
و«إلياسين» كما جاء في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٣٣] إِذْ قَالَ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) على الخلاف السابق.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٩/٣)، وتفسير القرطبي (٣١-٣٢).

(٤) وجاء حذفها في بعض النسخ. ينظر: المفصل في تفسير القرآن الكريم (ص ٤٩٢).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٣٨٣/٩)، والثعلبي (١٤٠/١٢).

لِقَوْمِهِمْ أَلَّا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ
إِلِّ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصفات].

وقوله: (منهم) أي: المذكورين، وهم زكريا ويحيى وعيسى وإلياس،
ويحتمل أن الضمير يعود على كل من تقدم.
وقوله: (ابن إبراهيم): بيان لنسبه.
وقوله: (اللام زائدة): يقتضي أن اسم النبي «يسع»، وهذا يحتاج إلى دليل.
وقوله: (ابن هاران أخي إبراهيم): هذا هو المشهور عند المفسرين^(١)،
وعليه: فإبراهيم عم لوط، والله أعلم.
وقوله: (منهم): من المذكورين، وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط،
ويحتمل أن الضمير يعود على كل من تقدم.
وقوله: (بالنبوة): لأن النبوة أعلى درجات التفضيل.
وقوله: (عطف على «كلًّا» أو «نوحًا»): يريد «كلًّا فضَّلنا»، فيكون المعنى:
وفضَّلنا من آبائهم، يقول: «أو نوح» أي: وهدينا من آبائهم^(٢).
وقوله: (ومن للتبعيض...) إلى آخره: أي: وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم.
وقوله: (لأن بعضهم لم يكن له ولد): كيحيى وعيسى، ومنهم من ولده كافرٌ
ك«نوح».
وقوله: (اخترناهم): تفسير «اجتبيناهم»^(٣).

(١) ينظر على سبيل المثال: تفسير الثعلبي (١٢/١٤١)، وزاد المسير (٣/٢٠١)، وتفسير ابن
كثير (٥/٣٥٤)، (٦/١٥٧).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥١٦)، والدر المصون (٥/٣٠).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٣٨٦). وقال الراغب: «واجتباء الله العبد: تخصيصه إياه بفيض
إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم
من الصديقين والشهداء». المفردات في غريب القرآن (ص ١٨٦).

وقوله: (الدين الذي هدوا إليه): بيان لمرجع اسم الإشارة في قوله:

﴿ذَلِكَ﴾.

وقوله: (فرضاً) أي: تقديرًا، يريد أن الشرك لا يقع منهم، لكن لو وقع منهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون.

وقوله: (بمعنى الكتب): يبين أن المراد بالكتاب الجنس، فيشمل كل كتاب أنزله الله.

وقوله: (الحكمة): تفسير «الحكم»؛ لأنَّ بالحكمة يحصل الحكم^(١).

وقوله: (بهذه الثلاثة): يريد الكتاب والحكم والنبوة.

وقوله: (أهل مكة): بيان للمراد باسم الإشارة ﴿هَؤُلَاءِ﴾.

وقوله: (أرصدنا لها): تفسير ﴿وَكَلَّمْنَا﴾^(٢)، ومعنى أرصدنا: أعتدنا^(٣).

وقوله: (هم المهاجرون والأنصار): بيان للمراد بالقوم.

وقوله: (هم): تقدير لمفعول ﴿هُدَى﴾.

وقوله: (من التوحيد والصبر): بيان لما هدوا إليه، وهو التوحيد والصبر.

وقوله: (بهاء السكت...) إلى آخره: يريد أن الهاء بعد فعل الأمر فيها

قراءتان: بإثباتها ساكنة وصلًا ووقفًا، وفي قراءة بحذفها^(٤).

وقوله: (لأهل مكة): بيان للمخاطبين بمقول القول، وهو ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا﴾.

وقوله: (أي: القرآن): بيان للمراد بالضمير المجرور بـ«على».

وقوله: (تعطونه) أي: تبذلونه لي؛ جزاءً على تبليغكم القرآن.

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (١٧١/٢)، والنسفي (٥١٦/١).

(٢) ينظر: التفسير البسيط (٢٦٥/٨)، والبحر المحيط (٥٧٧/٤).

(٣) ينظر: لسان العرب (١٧٧/٣).

(٤) ينظر: السبعة في القراءات (ص ٢٦٢)، والمبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٨).



وقوله: (ما القرآن): يبين أنَّ ﴿إِنَّ﴾ نافية، والمراد بالضمير المنفصل: القرآن.

وقوله: (عظة): تفسير ﴿ذَكَرَى﴾.

وقوله: (الإنس والجن): بيان للمراد بالعالمين؛ لأنَّ الرسول مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ.



وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مَوْسَى نُورًا وَهَدَى لِّلنَّاسِ سُبُلَهُ فَأَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا وَعَرَبِيًّا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَرَاهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةَ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى في هذه الآيات عن المشركين بأنهم ما قدروا الله حق قدره؛ أي: ما عظموه التعظيم الذي يستحقه، إذ جحدوا بأن الله أنزل كتاباً على بشر، فرد الله عليهم بأن الله أنزل التوراة على موسى، وهم يعلمون ذلك، وكما أنزل التوراة؛ أنزل القرآن مصداقاً لها، وأخبر تعالى أن هذا القرآن أنزله على محمد ﷺ لينذر أمم القرى، وهي مكة ومن حولها^(١)؛ فقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾، ثم أخبر تعالى أن من أظلم الظلم افتراء الكذب على الله، وادّعاء النبوة ممن لم يوح إليه شيء، أو زعم أنه سيأتي من عنده بمثل ما أنزل الله؛ فقال تعالى: ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن زعم شيئاً من

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٢٠)، وزاد المسير (٢/٥٤).

ذلك، ثم ذكر حال الظالمين عند الموت، وما يقال لهم من التوبيخ؛ فقال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٣)

ثم أخبر تعالى أنه يُقال للظالمين عند الموت أو يوم القيامة: قد جئتم فرادى، لا مال ولا أهل ولا ولد، وتركتم كل ذلك وراء ظهوركم في الدنيا، وكذلك تخلى عنكم من جعلتموهم شركاء لله وشفعاء لكم، وذهب عنكم كل ما كنتم تزعمون، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١٤).

﴿وما قدرُوا﴾ أي: اليهود ﴿اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حقَّ عظمته، أو ما عَرَفوه حقَّ معرفته، ﴿إِذْ قَالُوا﴾ للنبيِّ وقد خاصموه في القرآن: ﴿ما أنزلَ اللهُ علىٰ بشرٍ من شيءٍ. قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ أنزلَ الكتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ موسىٰ نُورًا وهدىٰ للناسِ، يجعلُونَهُ﴾ -بالياء والتاء في المواضع الثلاثة- ﴿قراطيسَ﴾ أي: يكتبونه في دفاتر مقطَّعة، ﴿يُبدُونَهَا﴾ أي: ما يُحبُّون إبداءه منها، ﴿ويُخفون كثيرًا﴾ ممَّا فيها كنعت مُحَمَّدٌ؟ ﴿وعَلِّمْتُمْ﴾ -أيها اليهود- ﴿في القرآن ما لم تعلمُوا أنتم ولا آباؤكم﴾ من التوراة، بيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه. ﴿قُلْ: اللهُ﴾ أنزله. إن لم يقوله، لا جوابَ غيره. ﴿ثمَّ ذرهم في حوضهم﴾: باطلهم ﴿يلعبون﴾. ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتابٌ أنزلناه، مباركٌ مُصدِّقُ الَّذي بين يديه﴾: قبله من الكتب، ﴿ولتُنذِرْ﴾، بالتاء والياء عطفٌ على معنى ما قبله، أي: أنزلناه للبركة والتصديق، ولتُنذِرَ به ﴿أمَّ القرى ومن حولها﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس، ﴿والَّذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به، وهم علىٰ صلاتهم يحافظون﴾ خوفًا من عقابها. ﴿ومن﴾ أي:

لا أحد ﴿أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾، بادعاء النبوة ولم يُنبأ، ﴿أو قال: أوحى إليّ. ولم يُوح إليه شيء﴾ - نزلت في مُسيلمة - ﴿و﴾ من ﴿من قال: سأُنزل مثل ما أنزل الله﴾؟ وهم المُستهزئون قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا. ﴿ولو ترى﴾ - يا مُحَمَّد - ﴿إذ الظالمون﴾ المذكورون ﴿في عمّرات﴾: سكرات ﴿الموت﴾، والملائكة بأسطو أيديهم ﴿إليهم بالضرب والتعذيب﴾، يقولون لهم تعنيفاً: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ إيلنا لنقبضها. ﴿اليوم تُجزون عذاب الهون﴾: الهوان، ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً، ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾: تتكبرون عن الإيمان بها. وجواب «لو»: لرأيت أمراً فظيعاً. ﴿و﴾ يقال لهم، إذا بعثوا: ﴿لقد جئتمونا فرادى﴾: منفردين عن الأهل والمال والولد، ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ أي: حفاة عراة غرلاً، ﴿وتركتم ما حوّلناكم﴾: أعطيناكم من الأموال، ﴿وراء ظهوركم﴾: في الدنيا بغير اختياركم، ﴿و﴾ يقال لهم توبيخاً: ﴿ما نرى معكم شفعاءكم﴾: الأصنام ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم﴾ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شركاء﴾ لله. ﴿لقد تقطع بينكم﴾: وصلكم أي: تشّئت جمعكم - وفي قراءة بالنصب ظرف، أي: وصلكم بينكم - ﴿وضل﴾: ذهب ﴿عنكم ما كنتم تزعمون﴾ في الدنيا، من شفاعتها.

وقول المؤلف: (أي: اليهود): بيان للمراد بالمخبر عنهم على أحد القولين^(١)، وقيل: المراد المشركون، واختاره ابن جرير؛ لأنّ سياق الآيات فيهم^(٢).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٩٣/٩)، وزاد المسير (٥٢/٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣٩٧/٩).

وقوله: (ما عظموه...) إلى آخره: ذكر في تفسير الجملة قولين، وكلاهما صحيح، وهما متلازمان^(١).

وقوله: (للنبي): بيان للمخاطب من قبل المشركين.
وقوله: (وقد خاصموه): بيان لمناسبة دعواهم: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

وقوله: (لهم) أي: للمشركين^(٢)، وفيه بيان المخاطبين بمقول القول.
وقوله: (بالياء والتاء): إشارة إلى قراءتين «بالياء» على أنه خبر، و«بالتاء» على أنه خطاب^(٣).

وقوله: (في المواضع الثلاثة): يريد الأفعال الثلاثة: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ و﴿تُبَدُّونَهَا﴾ و﴿تُخْفُونَ﴾، فكلها قرئت بالياء والتاء.

وقوله: (يكتبونه في دفاتر مقطعة...) إلى آخره: يريد أن الكتاب الذي جاء به موسى يكتبونه في أوراق متفرقة، يُظهرون منها للناس ما شاءوا، ويخفون منها كثيرًا، خاصة ما فيه صفة النبي ﷺ، وخبر بعثته.

وقوله: (أيها اليهود في القرآن): بيان للمخاطبين في قوله: ﴿وَعَلَّمْتُمْ﴾، وهذا على ما مشى عليه المؤلف، وهو أن الآية في اليهود.

وقوله: (من التوراة...) إلى آخره: يريد أن المعنى علمتم بالقرآن ما لم تعلموه من التوراة.

(١) وقال ابن الفارس في الآية: «قال المفسرون: ما عظموا الله حق عظمته. وهذا صحيح، وتلخيصه أنهم لم يصفوه بصفته التي تنبغي له تعالى». مقاييس اللغة (٥/ ٦٣)، وينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤١٥)، وزاد المسير (٢/ ٥٣-٥٤).

(٢) على ترجيح شيخنا -سده الله-، بخلاف ما مشى عليه المؤلف أن الآية في اليهود.

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).

وقوله: (أنزله...) إلى آخره: بيان لمعنى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، وأنه هو جواب الاستفهام في قوله: (من أنزل التوراة)، فالمعنى: إن لم يُجيبوا فهذا هو الجواب: «الله أنزله»^(١).

وقوله: (باطلهم): تفسير «الخوض»، وهو الكلام الذي لا خير فيه^(٢).

وقوله: (القرآن): بيان للمراد باسم الإشارة.

وقوله: (قبله من الكتب): بيان للمراد بالموصول ﴿الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كالتوراة والإنجيل.

وقوله: (بالتاء والياء...) إلى آخره: يشير أولاً إلى قراءتين في فعل: «ينذر»^(٣)، وأنَّ الفعل معطوف على معنى ما قبله، وهو التعليل للإنزال، فيكون إنزال الكتاب معللاً بثلاثة أمور: لتصديق ما بين يديه، ولما فيه من البركة، وللإنذار به.

وقوله: (أهل مكة وسائر الناس): بيان للمراد بـ ﴿أُمَّرَ الْقُرَى﴾، وهي مكة ومن حولها؛ هم أهل البلاد القريبة من مكة، والمراد إنذار جميع الناس؛ كما قال تعالى: ﴿لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج: ٤٩].

وقوله: (خوفاً من عقابها): بيان للباعث لهم على المحافظة على الصلاة، وهو الخوف من عقاب الآخرة.

وقوله: (لا أحد): بيان لمعنى الاستفهام وهو النفي.

وقوله: (بادعاء النبوة ولم ينبأ): بيان لما كان به الكذب.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٠٠)، والبحر المحيط (٤/٥٨٢).

(٢) ينظر: لسان العرب (٧/١٤٧).

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٠).

وقوله: (نزلت في مسيلمة): بيان للمعنى بهذه الآية^(١).
 وقوله: (من): يبين أن قوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ﴾: معطوف على قوله: ﴿مِمَّنْ أَفْتَرَى﴾^(٢) فهو داخل في المفضل عليه في الظلم.
 وقوله: (وهم المستهزون...) إلى آخره: يبين أن قول من قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؛ استهزاء، كقول من قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١]^(٣).

وقوله: (يا محمد): بيان للمخاطب.
 وقوله: (المذكورون): بيان للمراد بالظالمين في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، لأنهم المذكورون في أول الآية من المفترين والمستهزئين.
 وقوله: (سكرات): تفسير ﴿عَمَرَاتٍ﴾^(٤).
 وقوله: (بالضرب والتعذيب): بيان لما يدل عليه قوله: ﴿بِأَسْطُوأَيْدِيهِمْ﴾^(٥).

وقوله: (يقولون لهم تعنيفاً...) إلى آخره: بيان لما يدل عليه قوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾.
 وقوله: (الهوان): تفسير ﴿الهُونُ﴾، وهو الذل.
 وقوله: (بدعوى النبوة والإيحاء كذباً): يريد أن غير الحق الذي كانوا يقولونه؛ هو ما تقدم في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ الآية.
 وقوله: (تتكبرون عن الإيمان بها): بيان للمراد بالاستكبار عن آيات الله.

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ٢٢٠)، وتفسير الطبري (٩/ ٤٠٥).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٦١)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٢٠).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٧٢)، والتفسير البسيط (٨/ ٢٨٦).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٧٧)، والطبري (٩/ ٤٠٩).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٤١٠)، والتفسير البسيط (٨/ ٢٨٨).

وقوله: (وجواب «لو» لرأيت أمراً فظيماً): هذا تقدير لجواب «لو» في

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾^(١).

وقوله: (يقال لهم، إذا بعثوا): يبين أن قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ [الأنعام:

٩٤] الآية: يُقال لهم يوم القيامة.

وقوله: (منفردين عن الأهل والمال والولد): يبين أن «فرادى» منصوب

على الحال، ويبين ما انفردوا عنه، وهم: الأهل والمال والولد.

وقوله: (حفاة عراة غرلاً): بيان لصفة الحال المشبه بها.

وقوله: (أعطيناكم): تفسير ﴿حَوَّلْنَاكُمْ﴾^(٢).

وقوله: (في الدنيا بغير اختياركم): بيان لمعنى: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ

وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾.

وقوله: (يقال لهم توبيخاً): يبين أن قوله: ﴿وَمَا تَرَى﴾ الآية: مقول

قول مقدر.

وقوله: (الأصنام): تفسير «شفعاء»، ولو قال: «المعبودات» لتعمم الأصنام

وغيرها؛ كان أولى.

وقوله: (أي: في استحقاق عبادتكم): بيان لمتعلق شركة الشركاء. وقوله

تعالى: ﴿أَنهَمْ فِيكُمْ﴾ أي: عندكم^(٣).

وقوله: (لله): بيان لمن كانت معبوداتهم له شركاء بزعمهم.

وقوله: (وصلكم): يعني تقطعت الصلة التي بينكم وتفرقتم.

(١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٦٤٠)، والدر المصون (٥/٤١).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٣٠٤)، والمحرر الوجيز (٣/٤٢٢).

(٣) ينظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص٩٩)، وزاد المسير (٢/٥٧).



وقوله: (وفي قراءة بالنصب): يشير إلى أن في ﴿بَيْنَكُمْ﴾ قراءتين بالرفع والنصب^(١)، وأنها على النصبِ ظرفٌ^(٢).

وقوله: (ذهب): تفسير «ضل»^(٣).

وقوله: (في الدنيا، من شفاعتها): بيان لما كانوا يزعمون لآلهتهم ومتى كان، وكانوا يزعمون في الدنيا أن آلهتهم تشفع لهم عند الله.



(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).
 (٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٦٢)، والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٢٢).
 (٣) ينظر: التفسير البسيط (٨/ ٣٠١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٢٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ ۗ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنَوانٌ دَانِيَةٌ وَجَعَلَتِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى أنه هو فاعل هذه الأفعال؛ من فلق الحب والنوى، وهو شقُّ النواة والحبّة؛ حتى تكون النواة فلقتين فتنب منها الشجرة، والحبّة كسرتين فتنب الزرعة، والحب غلة الزرع، والنوى نوى التمر^(١). ومن أفعاله تعالى: إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي. وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾: خطاب للمشركين، والاستفهام للإنكار والتعجب؛ أي: فكيف تُصرفون عن عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة ما لا يفعل من ذلك شيئاً، وقوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴿٩٥﴾﴾ أي: مطلع ضوء النهار من بين ظلام الليل، وهو الذي جعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباً، يعرف بهما عدد السنين والحساب، وهو الذي جعل النجوم في السماء ليهتدي بها العباد في الظلمات، وهو الذي أنشأ الناس من نفس واحدة، وجعل لهم مستودعاً ومستقراً، وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به أنواع النبات، وأخرج به الزرع الأخضر، وأخرج من الزرع حباً متراكماً في سنبله، وأخرج من النخل طلعاً، ومن طلعتها قنوانٌ دانيةٌ، وأنشأ بالماء بساتين فيها الأعناب والزيتون والرمان، ومن ثمرها مشتبه، ومنها غير

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٢٠)، والتفسير البسيط (٨/٣٠١).

متشابه، ثم أمر الله بالنظر في ثمر البستان نظرَ تفكّر عند إثماره ونضجه، ثم ينبّه تعالى إلى ما في هذه المخلوقات والنعم من الدلالات على قدرته تعالى ورحمته وحكمته وربوبيته وإهيته، وهذه الآيات إنما ينتفع بها المؤمنون، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٤٩.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾: شاقُّ ﴿الْحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَالنَّوَى﴾ عن النخل - ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة - ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾: النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ - ذَلِكُمْ ﴿الفالق المخرج﴾ الله. فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿فكيف تُصرفون عن الإيمان، مع قيام البرهان؟﴾ - ﴿فالِقُ الإِصْبَاحِ﴾: مصدر بمعنى الصبح أي: شاقُّ عمودِ الصُّبْحِ - وهو أول ما يبدو من نور النهار - عن ظلمة الليل، ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾: تسكن فيه الخلق من التعب، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ - بالنصب عطفًا على محلِّ «الليل» - ﴿حُسْبَانًا﴾: حسابًا للأوقات. أو الباء محذوفة وهو حال من مُقَدَّر أي: يجريان بحُسابان، كما في آية «الرحمن». ﴿ذَلِكُ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ، لِيَتَهَدَّوْا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، في الأسفار - ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بيَّنا ﴿الآيَاتِ﴾: الدلالات على قُدرتنا، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبرون - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، هي آدم، ﴿فَمُسْتَقَرًّا﴾ منكم في الرَّحِمِ، ﴿وَمُسْتَوْدَعًا﴾ منكم في الصُّلب. وفي قراءة بفتح القاف أي: مكان قرارٍ لكم. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ، لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ما يقال لهم. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجْنَا﴾ - فيه التفات عن الغيبة - ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَنْبُتُ، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النباتِ شَيْئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضر، ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾: من الخَضِرِ ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: يركب بعضه

بعضاً كسنابل الحنطة ونحوها - ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾: خبرٌ ويبدل منه ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾: أوّل ما يخرج منها، والمبتدأ ﴿قِنَوَانٌ﴾: عراجين ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريب بعضها من بعض - ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جَنَاتٍ﴾: بساتين ﴿مِنَ أَعْنَابٍ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا﴾ ورقهما: حال، ﴿وغير مُتَشَابِهٍ﴾ ثمرهما. ﴿انظُرُوا﴾، يا مخاطبين، نظر اعتبارٍ ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ - بفتح الشاء والميم وضمّهما. وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة وخشب - ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: أوّل ما يبدو كيف هو؟ ﴿و﴾ إلى ﴿يَنْعِهِ﴾: نُضِجِهَ إِذَا أَدْرَكَ كَيْفَ يَعُودُ؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾: دلالاتٍ على قدرته - تعالى - على البعث وغيره، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. خُصُّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين.

وقول المؤلف: (شاق): تفسير ﴿فَالِقُ﴾^(١).

وقوله: (عن النبات): يريد نبات الزرع، فإذا انشقت الحبة خرجت النبتة.

وقوله: (عن النخل): يريد أنّ النواة تنشق عن نبتة النخلة.

وقوله: (كالإنسان...) إلى آخره: هذا مثال لإخراج الحي من الميت؛

فالإنسان والطائر مثال الحي، والنطفة والبيضة مثال الميت.

وقوله: (النطفة والبيضة): مثال الميت، يريد يُخرجها من الإنسان والطائر.

وقوله: (الفالق المخرج): بيان لمرجع اسم الإشارة.

وقوله: (فكيف تصرفون...) إلى آخره: تفسير ﴿فَأَنَّى تُؤَفَّكُونَ﴾، مع بيان

معنى: ﴿تُؤَفَّكُونَ﴾ أي: تُصرفون^(٢)، والاستفهام للتعجب.

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٣٦١)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٦٤٥).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٧٩)، وتفسير الطبري (٩/ ٤٢٤).

وقوله: (مصدر بمعنى الصبح... إلى آخره: يبين أن الإصباح مصدر «أصبح»، والمراد به الصبح، وهو أول النهار، ومعنى: ﴿فَالْقُورَى﴾ شاقٌّ؛ يريد شقَّ الصبح من ظلمة الليل؛ أي أطلعه^(١).

وقوله: (تسكن فيه الخلق من التعب): بيان لمعنى «جعل الليل سكناً» أي: إنه وقتٌ لسكون الخلق بعد التعب في النهار.

وقوله: (بالنصب... إلى آخره: بيان لإعراب الشمس والقمر، وهو النصب، وبيان لوجهه، وهو العطف على محل الليل في قوله: (جاعل الليل)^(٢).
وقوله: (حساباً للأوقات... إلى آخره: يبين أن في إعراب «حسبان» وجهين^(٣):

أحدهما: أنه منصوبٌ على المصدرية، وهو قوله: (حساباً).

والثاني: أنه منصوب بنزع الخافض، وهو الباء، والتقدير: بحسبان، ونظرها بآية «الرحمن»، وهي قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن]^(٤).

وقوله: (المذكور): بيان لمرجع اسم الإشارة.

وقوله: (في ملكه) (بخلقه): بيان لمتعلق العزة والعلم.

(١) وهذا قول الطبري وعامة المفسرين، وتعقبهم الواحدي فقال: «ولا أدري كيف قالوا هذا؛ فإن الليل يشق عن عمود الصبح لا الصبح عن الليل». وقال الزمخشري: «فإن قلت: فما معنى فلق الصبح، والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد فالق ظلمة الإصباح... والثاني: أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره». ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٢٤)، والكشاف (٢/٣٧٦)، والتفسير البسيط (٨/٣٠٥-٣٠٦).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٢٣)، والدر المصون (٥/٦١).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٢٣)، والدر المصون (٥/٦٤).

(٤) ينظر: معاني القرآن للأخفش (١/٣٠٧-٣٠٨).

وقوله: (في الأسفار): بيان للحال التي يُحتاج فيها إلى الاهتداء بالنجوم، والآية أعم من ذلك.

وقوله: (بيننا): تفسير ﴿فَصَلْنَا﴾؛ لأنَّ المفصَّل أوضح من المجمل.
 وقوله: (الدلالات على قدرتنا): تفسير ﴿الآيَاتِ﴾، وهي الآيات الكونية.
 وقوله: (يتدبرون): تفسير ﴿يَعْلَمُونَ﴾، لأنَّ التدبُّر يحصل به العلم.
 وقوله: (خلقكم): تفسير ﴿أَنْشَأَكُمُ﴾.
 وقوله: (هي آدم): بيان للمراد بالنفس.

وقوله: (منكم في الرحم) و(منكم في الصلب): هذا أشهر الأقوال في «المستقر والمستودع»، وهو قول جمهور المفسرين، وفي الكلمتين أقوال أخرى تحتملها الآية، ومنها ما تشهد له بعض الآيات؛ كمن يقول المستقر: ظهر الأرض مدة الحياة، والمستودع: بطن الأرض بعد الموت في القبور؛ يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة^(١)].

وقوله: (وفي قراءة... إلى آخره): يشير إلى أن في «مستقر» قراءتين؛ بفتح القاف اسم مكان، وكسر القاف اسم فاعل^(٢)، وقراءة الفتح أرجح لأنَّ به التناسب بين «مستقر ومستودع»^(٣).

وقوله: (ما يقال لهم): بيان لمتعلق ﴿يَفْقَهُونَ﴾؛ لأنَّ معنى الفقه الفهم^(٤).
 وقوله: (فيه التفات عن الغيبة) يريد: أن في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ انتقالاً من ضمير الغيبة ﴿وَهُوَ﴾ إلى ضمير المتكلم «أخرجنا»، فلم يقل: فأخرج به.
 وقوله: (بالماء): تفسير للضمير المجرور بالباء.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٣٣-٤٤٢)، وزاد المسير (٢/٥٩).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ١٩٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٠).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٤٣).

(٤) ينظر: الصحاح (٦/٢٢٤٣).

وقوله: (ينبت) أي: من شأنه النبات.

وقوله: (أي: النبات شيئاً): بيان لمفسر الضمير المجرور بـ «من»، وتقديرًا للموصوف بـ «خضر».

وقوله: (بمعنى: أخضر): تفسير «خضر» بأخضر.

وقوله: (من الخضر): بيان لمفسر الضمير في قوله: ﴿مِنْهُ﴾.

وقوله: (يركب بعضه بعضًا...) إلى آخره: تفسير «متراكب»، ومثّل له بسنابل الحنطة والشعير.

وقوله: (خبر، ويبدل منه) يريد: أن الجار والمجرور «من النخل» خبر مقدم، و﴿مِنْ طَلَعَهَا﴾؛ بدل منه، و﴿قِنَوَانٌ﴾: مبتدأ مؤخر^(١).

وقوله: (أول ما يخرج منها): تفسير «طلع».

وقوله: (والمبتدأ): يريد المبتدأ الذي خبره «من النخل»، وهو ﴿قِنَوَانٌ﴾.

وقوله: (عراجين): تفسير ﴿قِنَوَانٌ﴾^(٢)؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ آدَاءَ كَالْعُرْجُونِ﴾

الْقَدِيرِ ﴿٢٩﴾ [يس].

وقوله: (قريب بعضها من بعض): تفسير ﴿دَانِيَةٌ﴾، وفي هذا التفسير

نظر^(٣) بل معنى ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة من تناولها^(٤).

وقوله: (أخرجنا به): تقدير للعامل في «جنات».

وقوله: (بساتين): تفسير «جنات».

(١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٦٥٣-٦٥٤)، والدر المصون (٥/٦٩).

(٢) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٣٨٥)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٦٨٦).

(٣) نسبه الزمخشري للحسن، ونقله ابن عطية احتمالاً بلا نسبة. ينظر: الكشاف (٢/٣٧٩)، والمحرم الوجيز (٣/٤٢٩).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٤٦-٤٤٨)، وزاد المسير (٢/٦٠).

وقوله: (ورقهما: حال) يريد: أن الاشتباه في الورق؛ فورقهما فاعل مشتبه، ومشتبه: حال من الزيتون أو الرمان.

وقوله: (ثمرهما): يريد أن ثمر الزيتون والرمان غير متشابه، وورقهما متشابه^(١).

وقوله: (يا مخاطبين، نظر اعتبار): بيان للمراد بضمير الجمع، وهو الواو؛ قال: وهم المخاطبون، وبيان لنوع النظر، وهو نظر الاعتبار.

وقوله: (بفتح الثاء...) إلى آخره: كأنه يشير إلى قراءتين في «ثمر»: بفتح الثاء والميم، وضمهما^(٢)، ونظره بشجر وخشب.

وقوله: (أول ما يبدو كيف هو؟): تفسير لقوله تعالى: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾؛ لأنه في هذه الحال أعظم دلالة على القدرة.

وقوله: (إلى): يبين أن الواو عاطفة؛ فالمعنى: وانظروا إلى ينعه.

وقوله: (نضجه...) إلى آخره: تفسير «ينع»، و«ينع» مصدر ينع كأينع، أي: نضج^(٣).

وقوله: (دلالات...) إلى آخره: تفسير «آيات»، وأشار المؤلف إلى أن المراد بالدلالة على قدرة الله على البعث.

وقوله: (خصوا بالذكر...) إلى آخره: بيان لسبب تخصيص المؤمنين بالذكر.



(١) وهو قول قتادة. ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٤٩)، وزاد المسير (٢/٦٠).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص١٩٩)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٠).

(٣) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥٧)، والغريبين في القرآن والحديث (٦/٢٠٦١).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبْتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١٣﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٥﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى أن المشركين جعلوا لله شركاء من الجن يعبدونهم، ويتقربون إليهم بأنواع القربات، هذا والله قد خلقهم فكيف يجعلون له شريكاً، وزادوا في الكفر فافتروا على الله الكذب، وزعموا له ولداً؛ بنين وبنات، ثم سبحانه تعالى نفسه عما افتراه عليه المشركون، ثم أخبر تعالى أنه ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: مبدعهما على غير مثال^(١)، فكيف يكون له ولدٌ، ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾، وأنه تعالى خلق كل شيء، والوكيل على كل شيء، وأنه ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: لا تحيط به، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؛ لأنه خالقها ومعطيها، ولو شاء لأخذها، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ في علمه، فيعلم دقائق الأشياء وحقائقها.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾: مفعولٌ ثانٍ ﴿شُرَكَاءَ﴾: مفعولٌ أوَّل، ويُبدل منه ﴿الْجِبْتِ﴾، حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان، ﴿و﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾، فكيف يكونون شركاءه؟ ﴿وَخَرَقُوا﴾، بالتخفيف والتشديد، أي: اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، حيث قالوا: عزير ابن الله، والملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً له! ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن له ولداً. هو ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما من غير مثال سبق، ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾: زوجة، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢/٤٦٤)، (٩/٤٥٧)، وابن أبي زَمَيْن (٢/٨٩).

شيءٌ ﴿، من شأنه أن يُخلَق، ﴿وهو بكلِّ شيءٍ عَلِيمٌ﴾؟ ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ - فاعْبُدُوهُ﴾: وحّدوه- ﴿وهو على كلِّ شيءٍ وَكِيلٌ﴾: حفيظ، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: لا تراه- وهذا مخصوص، لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ وحديث الشيخين «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(١). وقيل: المراد لا تُحيط به- ﴿وهو يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي: يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يُدْرِكَ البصرَ وهو لا يُدْرِكُهُ، أو يُحيطَ به علمًا، ﴿وهو اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه، ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم.

وقول المؤلف: (مفعول ثان... إلى آخره: يريد أنه مفعول «جعلوا»؛ لأنَّ جعلَ تنصب مفعولين؛ فالمؤلف يقول أنَّ «الله» هو المفعول الثاني لـ«جعلوا»، و﴿شُرَكَاءُ﴾ هو المفعول الأول.

وقوله: (ويبدل منه) أي: يبدل من ﴿شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾؛ فالجن بدل من ﴿شُرَكَاءَ﴾، ويحتمل أنَّ الجن منصوب بنزع الخافض^(٢).

وقوله: (حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان): يريد أنَّ اعتبار الجن شركاء لله؛ بسبب طاعة المشركين لهم في عبادة الأصنام.

وقوله: («و» قد): يريد أنَّ الجملة حالية.

وقوله: (فكيف يكونون شركاءه؟): هذا استفهام اقتضاه الخبر بأنَّ

الله خلقهم.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

(٢) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٦٥٧-٦٥٨)، والدر المصون (٥/٨٣).

وقوله: (بالتخفيف والتشديد): يشير إلى قراءتين، ومعناها واحد، هو اختلقوا^(١).

وقوله: (حيث قالوا: عزيز ابن الله، والملائكة بنات الله): فسّر البنين بقول اليهود عزيز ابن الله، وكان اللائق أن يقول: والمسيح ابن الله؛ ليجمع بين قول اليهود والنصارى، وفسّر البنات بقول العرب^(٢).

وقوله: (تنزيهاً له): بيان للمقصود من التسييح.

وقوله: (بأن له ولدًا): بيان لما أُبهم في قوله: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وكان اللائق أن يقول: بأن له ولدًا وشريكًا، لأنهم وصفوه بهذا وهذا.

وقوله: (هو): هذا تقدير «مبتدأ»، ليدل على أن ﴿بَدِيعٌ﴾ خبر المبتدأ^(٣).

وقوله: (مبدعهما من غير مثال سبق): تفسير لـ ﴿بَدِيعٌ﴾ حسب ما تقتضيه اللغة^(٤).

وقوله: (كيف): بيان لمعنى ﴿أَنَّى﴾ بأنه استفهام.

وقوله: (زوجة): تفسير ﴿صَاحِبَةٌ﴾، والولد والزوجة كلاهما ممتنع في حق الرب سبحانه.

وقوله: (من شأنه أن يخلق): قيد لا وجه له إلا أن يريد ما تقتضي الحكمة خلقه.

وقوله: (وحدوه): تفسير «اعبدوه» لأن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد^(٥).

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص ١٤٧)، والمبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٤٥٥/٩)، والمحزر الوجيز (٤٣١/٣).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٥٢٧/١)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦٦٠/٢).

(٤) ينظر: لسان العرب (٦/٨).

(٥) ينظر: شرح القواعد الأربع لشيخنا (ص ١١).

وقوله: (حفيظ): تفسير ﴿وَكَيْلٌ﴾، وهو تفسير حسن؛ لأنَّ الوكيل يحفظ ما وُكِّل عليه^(١).

وقوله: (أي: لا تراه...) إلى آخره: ذكر في الإدراك المنفي عن الأبصار قولين^(٢):

أحدهما: الرؤية، أي: لا تراه الأبصار، وقوله: (وهذا مخصوص، لرؤية المؤمنين له في الآخرة) يريد أنه عام مخصوص، ولو قال: «إنه مقيد في الدنيا»؛ كان أولى، فيكون من قبيل المطلق والمقيد فيكون المعنى: لا تراه الأبصار في الدنيا؛ كما قال به بعض السلف^(٣).

القول الثاني: الإدراك المراد به الإحاطة؛ فالمعنى: لا تحيط به، وهذا أجود، فإنه على هذا القول لا يحتاج في الآية إلى تقييد أو تخصيص^(٤).

وقوله: (أي: يراها...) إلى آخره: فيما ذكر تفسير الإدراك بالجملة الثانية بالقول الأول الذي فسَّر به الجملة الأولى، وهو الرؤية، لكن الإدراك في الجملة الأولى منفيٌّ، وفي الجملة الثانية مثبتٌ، ولو فسَّر الإدراك في الجملة الأولى والثانية بالإحاطة؛ كان أولى، وهو الصواب.

وقوله: (بأوليائه) و(بهم): بيان لمتعلق الاسمين الكريمين.



(١) ينظر: تفسير الطبري (٤٥٩/٩)، وابن كثير (٣٠٩/٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٤٥٩/٩)، وزاد المسير (٦٢/٢).

(٣) منهم عائشة وإسماعيل بن علية وهشام بن عبيد الله؛ فأخرج البخاري (٧٣٨٠) - واللفظ له -، ومسلم (١٧٧) عن مسروق، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، وهو يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾»، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧٧٤٠)، (٧٧٤١).

(٤) ينظر: منهاج السنة (٣١٧/٢-٣٢١)، وحادي الأرواح (٦١٨/٢).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۗ﴾ (١٤) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى ممتناً على العباد بما أنعم عليهم من إرسال الرسول، وإنزال الكتاب، فإنَّ بهما يحصل الاستنصار والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ثم يخبر تعالى أنَّ مَنْ قَبِلَ الهدى فأبصر فَنَفَعُ ذلك لنفسه، ومَنْ أَعْرَضَ عن الهدى فعمي فهو الجاني على نفسه، وهذا ما تضمنه قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾، وهذه الجملة في هذه الآية مقول قول مقدر، وهو أمرٌ من الله لنبيه أن يقول ذلك، وتقدير الكلام: قل أيها الرسول للمشركين ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(١) أي: ما أنا موكل عليكم لأحفظ أعمالكم وأحصيها.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٥) أي: ننوع الحجج والبيّنات كما فعلنا ذلك فيما سبق من الآيات، وقوله: ﴿وَلِيُقُولُوا دَرَسْتَ﴾ أي: صرفنا الآيات بهداية الخلق ابتلاءً للمشركين؛ ليقولوا ما جئنا به قد درسته؛ أي: تعلّمته من أهل العلم كأهل الكتاب، وأخبر تعالى أنه صرّف الآيات لبيّن الحقّ لقوم يعلمون ما ينفع وما يضر، لذلك يؤثرون الحق على الباطل، ويعقلون ما يلقي إليهم من البيان؛ كما

(١) ينظر: الكشّاف (٢/ ٣٨٤)، والتحرير والتنوير (٧/ ٤١٨).

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت]، ثم أمر الله نبيه باتباع ما يوحى إليه من القرآن والحكمة، وهو العمل بما فيهما، وأمره تعالى بالإعراض عن المشركين، وذلك بترك التعرض لهم بقتالٍ أو ضربٍ أو سبٍّ، وذلك في مكة قبل فرض الجهاد^(١)، ثم أخبر تعالى أن شرك المشركين واقع بقدرٍ من الله، وأنه تعالى لو شاء ألا يشركوا ما أشركوا، وأن الله لم يجعل الرسول حفيظاً على المشركين يحصي أعمالهم ويحاسبهم، ولا وكيلاً عليهم يلزمهم الإيمان، ويعاقبهم على تركه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: نهي من الله للمؤمنين عن سبِّ آلهة المشركين؛ لأن ذلك يحملهم على سبِّ الله، وهذا من باب سدِّ الذرائع، وليس من سبِّ آلهة المشركين بيان أنها باطلة، فإن ذلك من معنى لا إله إلا الله؛ بل السبُّ المنهي عنه؛ كاللعن والتقيح، ثم أخبر تعالى أنه زين لكل أمة من المؤمنين والكفار عملهم، وأنهم جميعاً سيرجعون إلى الله فينبئهم بما عملوا ويحاسبهم ويجزيهم.

قل - يا مُحَمَّد - لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾: حُجَجٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، فَمَنْ أَبْصَرَ ﴿هَا فَاْمَنْ﴾ ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أبصر، لأن ثواب إبطاره له، ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبألٍ إضلاله، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾: رقيب لأعمالكم. إنما أنا نذير. ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما بيّنا ما ذكر، ﴿نُصِرْفُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ﴾ ليعتبروا، ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر: ﴿دَارَسْتَ﴾: ذاكرت أهل الكتاب - وفي قراءة «دَرَسْتَ» أي: كُتِبَ الماضين وجئت بهذا

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص ٤٤١)، ونواسخ القرآن (ص ١٤٠).

منها- ﴿وَلِنَبِيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، -أي: القرآن- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا، وما جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيباً فُتْجَازِيهِمْ بأعمالهم، ﴿وما أنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، فُتْجَبَرَهُمْ على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالقتال. ﴿ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَهم﴾ هم ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾: اعتداءً وظلمًا، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً منهم بالله. ﴿كَذَلِكَ﴾: كما زَيَّنَّا لَهُمْ ما هم عليه، ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشرِّ فاتوه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة، ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فَيُجَازِيهِمْ به.

وقول المؤلف: (قل يا محمد لهم): يبين أنَّ جملة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: مقول قول مقدر؛ أمرٌ من الله.

وقوله: (حجج): تفسير ﴿بَصَائِرُ﴾؛ لأنَّ بها يحصل الإبصار^(١).
 وقوله: (ها فامن): تقدير مفعول ﴿أَبْصَرَ﴾؛ فالتقدير: أبصرها.
 وقوله: (أبصر): بيان لمتعلق الجار والمجرور لنفسه، وهو فعل ﴿أَبْصَرَ﴾.
 وقوله: (لأن ثواب إبصاره له): تعليل لتعلق الجار والمجرور بـ ﴿أَبْصَرَ﴾.
 وقوله: (عنها فضل): بيان لمعمول ﴿عَمِيَ﴾ وما ترتب على ذلك، وهو الضلال أي: مَنْ عَمِيَ عن الآيات ضلَّ.

وقوله: (وبال إضلاله): المناسب «ضلاله»؛ لأنه أثر عماه، والوبال: سوء العاقبة^(٢)؛ فمعنى الآية: مَنْ عَمِيَ عن الآيات ضلَّ عن الصراط، وسوء عاقبة ذلك على نفسه.

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ١٢١)، والغريبين في القرآن والحديث (١/ ١٨٢).

(٢) ينظر: تاج العروس (٣١/ ٦٤).

وقوله: (رقيب لأعمالكم. إنما أنا نذير): بيان لمعنى «حفيظ» وهو رقيب؛ المعنى: أنه ﷺ لم يكلف بحفظ أعمال العباد، وإنما كُلف بالإنذار والبلاغ. وقوله: (كما بينا ما ذكر): بيان لمرجع اسم الإشارة، وهو ما سبق في السورة من البيان.

وقوله: (نبين): تفسير ﴿نُصِّفُ﴾، والتصريف نوع من طُرُق البيان، وهو التنويع؛ أي: تنويع الحجج، وما تدل عليه الآيات^(١).

وقوله: (ليعتبروا): بيان لتعليل تصريف الآيات، وليعطف عليه ما بعده.

وقوله: (أي: الكفار): بيان للمراد بالواو في «يقولوا».

وقوله: (في عاقبة الأمر): يبين أن اللام في «ليقولوا» للعاقبة^(٢).

وقوله: (ذاكرت...) إلى آخره: يشير إلى قراءتين في ﴿دَرَسْتَ﴾؛ بالألف

وبدونها^(٣)، وفسر «دارست» بـ«ذاكرت»، و﴿دَرَسْتَ﴾ بقراءة.

وقوله: (أي: القرآن): بيان للمراد بالموحى أنه القرآن.

وقوله: (رقيباً، فتجازيهم بأعمالهم): تقدم مثل ذلك قريباً، فإحصاء

الأعمال والجزاء عليها لله، وإنما على الرسول النذارة والبلاغ.

وقوله: (فتجبرهم على الإيمان): هذا مما يفسر معنى الوكيل؛ لأنَّ الوكيل

ذو سلطان على ما وكلَّ عليه، ومَنْ كان ذا سلطان استطاع أن يُجبر غيره

على مراده.

(١) تنظر: (ص ٢٤٧)، (ص ٢٦٧).

(٢) وهي التي يسميها الكوفيون لام الصيرورة. ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٨٠)، والتفسير البسيط (٨/ ٣٤٣)، واللامات (ص ١١٩).

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦١).

وقوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال): يريد قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦]، فإنَّ الأمر بالإعراض التام يقتضي الكف عن أذاهم؛ فكيف بالقتال، ولهذا قال المؤلف: (وهذا قبل الأمر بالقتال).

وقوله: (هم): تقدير لمفعول «يدعون»، ومرجع الضمير آلهة المشركين. وقوله: (أي: الأصنام): بيان للمراد بالمدعين من دون الله. وقوله: (اعتداءً وظلمًا): تفسير «عدونا»، وسبُّ الله أعظم اعتداء وظلم. وقوله: (جهلاً منهم بالله): تفسير لقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وهو سبب سبِّهم لله.

وقوله: (كما زينا لهؤلاء ما هم عليه): بيان لمرجع اسم الإشارة في قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كهذا التزيين.

وقوله: (من الخير والشر فأتوه): يبين أنَّ التزيين عام في الشر والخير للمؤمنين والكفار؛ كما قال في المؤمنين: ﴿حَبَّبَ إِلِكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام].

وقوله: (في الآخرة): بيان لوقت الرجوع إلى الله. وقوله: (فيجازيهم به): بيان لما يتبع إنباءهم بأعمالهم؛ وهو مجازاتهم.



وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلُوبُ إِنْ مَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿٢٣﴾ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أُمَّتِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمَازِينِ ﴿٢٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى عن الكفار أنهم أقسموا بالله، واجتهدوا في القسم إن جاءتهم آية من الآيات التي اقترحوها ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهَا﴾، ثم أمر الله نبيه أن يقول لهم إنما الآيات عند الله يرسلها إذا شاء بحسب علمه وحكمته، ثم قال تعالى للمؤمنين: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: ما الذي أعلمكم أن الآية لو جاءت للكفار - كما طلبوا - لم يؤمنوا، ثم أخبر تعالى أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم، فيصرفهم عن الإيمان عقوبة على عدم إيمانهم أول ما جاءهم الرسول، وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي: نتركهم في كفرهم وعنادهم يتخبطون^(١) في الظلمات لا يهتدون إلى الحق سبيلاً، ثم أخبر تعالى أنه لو نزل عليهم الملائكة، وكلمهم الموتى، وحشر إليهم كل شيء، لم يؤمنوا إلا أن يشاء

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٣٢١)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٥٨٨).

الله، فَأَمُرُ إِيْمَانَهُمْ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ هِدَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ تَرْكَهُمْ فِي الضَّلَالِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أَنَّ الْهُدَى وَالضَّلَالِ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ الْآيَةُ خَبَرَ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَدُوًّا مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يَكْذِبُونَهُمْ وَيُؤْذِنَهُمْ، وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَتَصْبِيرًا لَهُ عَلَى إِيْذَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَعَدَاوَتِهِمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ مِنْ زُخْرَفِ الْقَوْلِ الَّذِي يَخْدَعُونَ بِهِ النَّاسَ، وَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْإِيْمَانِ بِالرَّسُولِ، وَيَتَعَاوَنُونَ فِي ذَلِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ شَيَاطِينِ الْجِنِّ يُوحون إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ بِالشَّبَهَاتِ؛ لِيَجَادِلُوا الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيُشَكِّكُوهُمْ فِي دِينِهِمْ وَيَزَيِّنُوا لَهُمُ الرَّدَةَ عَنِ الْإِسْلَامِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُنَافِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهُؤْلَاءُ أَعْدَاءُ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا كَانَ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ أَنَّ هَذِهِ الْعَدَاوَاتِ وَالْأَذَى وَالتَّكْذِيبَ بِقَدْرِ مَنْ اللَّهُ، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَهُ تَعَالَى الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَكُلُّ مَا يَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ، وَفِي ذَلِكَ مَزِيدٌ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَدَرَّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: أَمْرٌ لِنَبِيِّهِ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ أَوْلِيَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْأَشْرَارِ، الَّذِينَ هُمْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، وَذَلِكَ بِتَرْكِ أَذَاهِمُ الْمَفْضِي إِلَى تَسْلُطِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرُ الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا، ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ حِكْمَتِهِ فِيمَا قَدَّرَهُ وَشَاءَهُ مِنْ أَفْعَالِ هؤْلَاءِ الْأَعْدَاءِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَصَعِيَ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوهُ وَيَقْتِرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ (١٣)

فهذه ثلاثة أمور: الصغي؛ أي ميل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة^(١) إلى فعل أولئك الشياطين، ثم الرضا به، ثم اقرار ما يقتضيه ذلك الصغي والرضا من السيئات، وهذه الثلاثة بسبب خذلان الله لهم، عقوبة على عدم إيمانهم بالآخرة. والواو في قوله: ﴿وَلِتَصْغَى﴾ عاطفة على علة مقدرة، وهي الابتلاء؛ فالتقدير: ليتليهم ولتصغى، وقيل: اللام للعاقبة^(٢)، وهذا لا يجوز في فعل الرب، فإنه تعالى عليم بالعواقب، وإنما تكون اللام للعاقبة في فعل المخلوق الذي لا يعلم عاقبة فعله، أو يعلمها ولا يقصدها^(٣)، وقيل: اللام للتعليل، والعلل الثلاث معطوفة على المفعول لأجله ﴿عُرُورًا﴾، وكلها تعليلٌ لوحي الشياطين بعضهم إلى بعض؛ فالمعنى: فعلوا ذلك ليغروا المؤمنين بالقول المزخرف^(٤)، ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ فهذه أربعة أمور يقصدها الشياطين في وحي بعضهم إلى بعض ما يزخرفونه من القول، وكل ذلك واقع بمشيئة الله لقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾: هذا مقول قول مقدر أي: قل أيها الرسول للمشركين: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾^(٥)، والاستفهام للإنكار يفيد النفي^(٦)؛ فالمعنى: لا أطلب حكماً بيني وبينكم إلا الله، وهو الذي أنزل هذا الكتاب - القرآن - مفصلاً مبيناً واضحاً. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: بعض أهل الكتاب يعلمون

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٤٨٥)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص ٢٠٢).

(٢) وهو قول الزمخشري. ينظر: الكشاف (١١٧/٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٤/٨)، (١٨٧/٨)، (١٧/١٠٠-١٠١)، وشفاء العليل (١١٨/٢).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٤/٦٢٥-٦٢٦)، والدر المصون (١١٧/٥).

(٥) ينظر: التفسير البسيط (٨/٣٨٣)، والتحرير والتنوير (١٨/١٨).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٤/٦٢٧)، وفتح القدير للشوكاني (١٧٦/٢).

أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَنزُورٌ مِنْ رَبِّكَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: كن أيها الرسول على يقين بما آتاك الله من هذا القرآن، فإنه الحقُّ الذي لا ريب فيه. وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: كلام ربك. ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي: بلغت الكمال صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام^(١). وقوله: ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: نفي معناه النهي؛ أي: لا تبدلوا كلام الله؛ بل آمنوا به واعملوا به^(٢). وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: اسمان من أسماء الله دالَّان على إحاطة سمعه بالمسموعات، وإحاطة علمه بكل شيء.

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كُفَّار مَكَّة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها، ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ ممَّا اقترحوا ﴿لِيُؤْمِنُنَّ بِهَا. قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، يُنزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير، ﴿وما يُشعِرُكُمْ﴾: يُدريكم بإيمانهم إذا جاءت؟ أي: أنتم لا تدرُونَ ذلك. ﴿إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِي - وفي قراءة بالتاء خطابًا للكفار، وفي أخرى بفتح «أَنْ» بمعنى «لعلَّ» أو معمولة لما قبلها - ﴿وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ﴾: نُحَوِّلُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ فلا يفهمونه، ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ عنه فلا يُبصرونه، فلا يُؤْمِنُونَ ﴿كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَنَذَرَهُمْ﴾: نتركهم ﴿في طغيانهم﴾: ضلالتهم: ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يترددون متحيرين. ﴿ولو أنَّا نزلنا إليهم الملائكة، وكلمهم الموتى﴾ كما اقترحوا، ﴿وحشرونا﴾: جمعنا ﴿عليهم كلَّ شيءٍ قُبَلًا﴾ بضمَّتين: جمع قبيل أي فوجًا فوجًا، وبكسر القاف وفتح الباء أي: مُعَايِنَةً، فشهدوا بصدقك، ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾، لِمَا

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٣/٤٤٦)، وتفسير ابن كثير (٣/٣٢٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٨/٢١).

سبق في علم الله، ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنون، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه ﴿شَاطِئِينَ﴾: مَرَدَةٌ ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يُوحِي﴾: يُوسِسُ ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ مُمَوِّهَةً مِنَ الْبَاطِلِ، ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغرئوهم - ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاء المذكور. ﴿فَذَرَهُمْ﴾: دَعِ الْكُفَّارَ ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر وغيره، مِمَّا زَيْنَ لَهُمْ. وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿وَلِتَصْغَى﴾ عطفٌ على «غُرُورًا» أي: تَمِيلَ ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزُّخْرَفِ ﴿أَفْنِدَةٌ﴾: قَلُوبُ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: يكتسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الذُّنُوبِ، فَيُعَاقَبُوا عَلَيْهِ. ونزل، لَمَّا طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَكَمًا، قُلْ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أَطْلُبُ ﴿حَكَمًا﴾: قَاضِيًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿مُفَصَّلًا﴾ مُبَيِّنًا فِيهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؟ ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةَ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾ - بِالْتَخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ. فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فِيهِ. وَالمُرَادُ بِذَلِكَ التَّقْرِيرُ لِلْكَفَّارِ أَنَّهُ حَقٌّ. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ بِالْأَحْكَامِ وَالمَوَاعِيدِ، ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾: تَمْيِيزًا، ﴿لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بِنَقْصٍ أَوْ خُلْفٍ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لَمَّا يُقَالُ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِمَا يُفْعَلُ.

- وقول المؤلف: (أي: كفار مكة): بيان للمراد بالذين «أقسموا».
 وقوله: (أي: غاية اجتهادهم فيها) أي: أشد التخليط في اليمين.
 وقوله: (مما اقترحوا) أي: التي طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم به.
 وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول، وهم المشركون.

وقوله: (ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير): بيان لمقتضى أن الآيات عند الله، وهو أن إنزالها بمشيئته، وليس للرسول قدرة على ذلك، وإنما الذي هو عليه الإنذار.

وقوله: (يدريكم...) إلى آخره: تفسير ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾^(١)، وبيان للمخاطبين بذلك، وبيان لمعنى الاستفهام، وهو نفي الشعور بعدم إيمانهم.
وقوله: (لما سبق في علمي): بيان لسبق علم الله بأنهم إذا جاءتهم الآية لا يؤمنون.

وقوله: (وفي قراءة...) إلى آخره: يشير إلى قراءتين في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بالياء فالخطاب في ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ للمؤمنين، وبالتاء فالخطاب للمشركين، كما يشير المؤلف إلى القراءتين في «أنهم»: بكسر الهمزة خبر من الله تعالى بعدم إيمانهم، وبتفتح الهمزة^(٢)؛ قيل بمعنى لعل، وقيل مصدرية، فالجمله مصدر مؤول مفعول ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾^(٣).

وقوله: (نحول): تفسير «نقلب»، والمعنى: نصرف قلوبهم عن الإيمان.
وقوله: (عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون): يريد نصرف أبصارهم عن الحق فلا يبصرونه، فلا يؤمنون لصرف أبصارهم عن الحق.

وقوله: (أي: بما أنزل من الآيات): بيان للمراد بالضمير المجرور.

وقوله: (نتركهم): تفسير «نذرهم».

وقوله: (ضلالتهم): تفسير ﴿طُعِينَهُمْ﴾.

(١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٥٣١)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ١٦١).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦١).

(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٦٦٨-٦٧٠)، والدر المصون

وقوله: (يترددون متحيرين): تفسير ﴿يَعْمَهُونَ﴾^(١).

وقوله: (كما اقترحوا): يشير إلى أن المشركين اقترحوا على الرسول أن يبعث لهم «قُصِيًّا» كما جاء في سبب النزول^(٢).

وقوله: (جمعنا): تفسير «حشرنا».

وقوله: (بضميتين...): إلى آخره: يشير إلى قراءتين في «قبل»^(٣): بضميتين جمع قبيل؛ أي: جماعات، والقراءة الأخرى بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: معانين، المعنى: يرونهم عياناً^(٤).

وقوله: (لما سبق في علم الله): يريد أن عدم إيمانهم لسبق علم الله بأنهم لا يؤمنون، فيمتنع أن يقع خلاف علم الله.

وقوله: (لكن): يشير بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لكن تفسير ﴿إِلَّا﴾^(٥).

وقوله: (إيمانهم فيؤمنون): مفعول ﴿يَشَاءُ﴾، فإذا شاء الله إيمانهم آمنوا.

وقوله: (ذلك): تقدير لمفعول ﴿يَجْهَلُونَ﴾، ومرجع اسم الإشارة أن إيمانهم لا يكون إلا بمشيئة الله.

وقوله: (كما جعلنا هؤلاء أعداءك): بيان لمرجع اسم الإشارة في قوله: (كذلك)، وهو المشبه به أي: مثل هذا الجعل جعلنا لكل نبي.

وقوله: (ويبدل منه) يظهر أن هذه الجملة متقدمة؛ فإن الجعلين ليس الثاني بدل من الأول بل ﴿شَيْطَانٍ﴾ بدل من «عدو»^(٦).

- (١) ينظر: غريب القرآن للسجستاني (ص ٣٢١)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٥٨٨).
- (٢) ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٤٢)، والتحرير والتنوير (٥/ ٨).
- (٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦١ - ٢٦٢).
- (٤) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٩٤) وما بعدها، وزاد المسير (٢/ ٦٧).
- (٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٣٢)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن (٢/ ٦٧٤).
- (٦) تنظر المراجع السابقة.

وقوله: (مردة): تفسير ﴿شَيْطَانٍ﴾ جمع مارد، وهم الموغلون في الشر من الإنس والجن^(١).

وقوله: (يوسوس): تفسير ﴿يُوحِي﴾، يريد أن شياطين الجن يوسوسون لشياطين الإنس.

وقوله: (مموهه من الباطل) أي: القول المموّه بما يحسنه لدى السامع. وقوله: (ليغروهم): يريد أن ﴿غُرُورًا﴾ مفعول لأجله لتمويه الكلام؛ المعنى: يموّهون ليغروا^(٢).

وقوله: (الإيحاء المذكور): بيان للمراد بالضمير المنصوب. وقوله: (دع الكفار): تفسير «ذرهم». وقوله: (من الكفر...): إلى آخره: بيان للمراد بالاسم الموصول. وقوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال): يريد أن الأمر بترك الكفار منسوخ بالأمر بالقتال^(٣).

وقوله: (عطف...): إلى آخره: يبين أن الصغي علة ثانية لما يفعله الشياطين من وحي بعضهم إلى بعض، وفسر الصغي بالميل، ومنه صغا بأذنه إذا مال لسمع^(٤).

وقوله: (أي: الزخرف): بيان لمرجع الضمير المجرور بـ ﴿إِلَى﴾.

وقوله: (قلوب): تفسير ﴿أَفْئِدَةٌ﴾.

وقوله: (يكتسبوا): تفسير «يقترفوا»، والاقتراف أخص بالسيئات.

(١) ينظر: لسان العرب (٣/٤٠٠).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٣٢)، والدر المصون (٥/١١٦).

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ للمقري (ص ٨٨)، ولابن العربي (٢/٢١٣).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٤٨٥)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص ٢٠٢).

وقوله: (من الذنوب): بيان للمراد بالوصول.
 وقوله: (فيعاقبوا عليه): بيان لما يترتب على الذنوب، وهو العقاب إلا أن يغفر الله.

وقوله: (ونزل...) إلى آخره: إشارة إلى سبب النزول^(١). وقوله: (قل):
 يبين أن جملة ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ مقول قول مقدر.

وقوله: (أطلب): تفسير ﴿أَبْتَعِي﴾.

وقوله: (قاضيًا): تفسير ﴿حَكَمًا﴾.

وقوله: (بيني وبينكم): إشارة إلى ما ورد في سبب النزول.

وقوله: (القرآن): بيان للمراد بالكتاب.

وقوله: (مبينًا فيه الحق من الباطل؟): تفسير للتفصيل بالبيان.

وقوله: (التوراة...) إلى آخره: بيان للمراد بالكتاب، وبالذي أتوه؛ وهم
 مؤمنو أهل الكتاب.

وقوله: (بالتخفيف والتشديد): إشارة إلى قراءتين في الآية: «مُنزَل» من
 أنزل، و«مُنزَل» من نزل^(٢).

وقوله: (الشاكين فيه): تفسير لـ «ممترين».

وقوله: (والمراد...) إلى آخره: بيان للمراد بذكر علم أهل الكتاب، ونهي
 الرسول عن الامتراء، وهو إقناع المشركين بأن القرآن حق.

وقوله: (بالأحكام والمواعيد): بيان لما يدخل في كلمات الله، من
 كلمات الأحكام؛ كالأوامر والنواهي، وكلمات المواعيد وهي الأخبار،
 والأخبار ليست مقصورة على المواعيد لكن المؤلف اكتفى بالإشارة إلى
 الأخبار بذكر الوعد والوعيد.

(١) ينظر: تفسير الماوردي (٢/١٦٠).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠١)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٢).



وقوله: (تمييز): بيان لوجه نصب المصدرين^(١).
 وقوله: (بنقص أو خلف): بيان لما يقع به التبديل، والخلف هو المخالفة،
 وهذا النفي خبر بمعنى النهي.
 وقوله: (لما يقال) وقوله: (بما يفعل): بيان لمتعلق السمع والعلم.



(١) وممن قال بكونه تمييزاً: الطبري وأبو البقاء، وقال ابن عطية: «وهو غير صواب». ينظر:
 تفسير الطبري (٥٠٧/٩)، والتبيان في إعراب القرآن (١/٥٣٤)، والمحزر الوجيز
 (٤٤٧/٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ [الأنعام].

يحذّر تعالى من طاعة أكثر أهل الأرض لأنهم ضالّون، فمن يطيعهم يضلّونه عن سبيل الله، ويبين تعالى أن أصل ضلالهم اتباع الظن والخرص، ثم أخبر تعالى أنه أعلم بمن يضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين. وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أمر من الله للمؤمنين بالأكل مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح أمر بإباحة. وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَأْكُلُوا﴾ أي: أي شيء يمنعكم من الأكل مما أباح لكم، والحال أن الله قد فصل لكم الحلال والحرام الذي حرّم عليكم إلا الحرام الذي اضطررتم إليه فقد أباحه لكم. وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: امتنان من الله بأنه بين لعباده ما حرّم عليهم إلا ما اضطرروا إليه، ثم أخبر تعالى أن كثيراً من الناس يضلّون من أطاعهم بالدعوة إلى أهوائهم بجهل منهم. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: تهديد من الله لمن يتعدّى حدوده، ثم نهى تعالى عن الإثم كله ظاهره وباطنه، وتوعّد الذين يكسبون الإثم بالجزاء على ما اقترفوا من الإثم، فقال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه. ﴿إِنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميثة،

إذ قالوا: ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه ممَّا قتلتم، ﴿وإن﴾: ما ﴿هم إلا﴾
 يخرصون﴾: يكذبون في ذلك. ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿من يضلُّ﴾
 عن سبيله، وهو أعلمُ بالمُهتدين﴾، فيجزي كلاً منهم. ﴿فكُلُوا ممَّا ذُكِرَ﴾
 اسمُ اللهِ عليه﴾ أي: ذبح على اسمه، ﴿إن كُنتُم بآياته مؤمنين﴾، وما لكم إلا
 تأكلوا ممَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه﴾، من الذبائح، ﴿وقد فصل﴾ - بالبناء
 للمفعول وللفاعل في الفعلين - ﴿لكم ما حرم عليكم﴾، في آية «حُرِّمَتْ
 عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ»، ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ منه فهو أيضاً حلال لكم؟ المعنى:
 لا مانع لكم من أكل ما ذُكر، وقد يُبين لكم المحرَّم أكله، وهذا ليس منه.
 ﴿وإن كثيراً ليضلُّون﴾ - بفتح الياء وضمِّها - ﴿بأهوائهم﴾: بما تهواه
 أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها، ﴿بغير علم﴾ يعتمدونه، في ذلك. ﴿إنَّ
 رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحلال إلى الحرام. ﴿وذروا﴾:
 اتركوا ﴿ظاهر الإثم وباطنه﴾: علانيته وسرّه - والإثم قيل: الزنى، وقيل:
 كلُّ معصية. ﴿إنَّ الذين يكسبون الإثم سيُجزون﴾، في الآخرة، ﴿بما كانوا
 يفترون﴾: يكتسبون -.

وقول المؤلف: (أي: الكفار): بيان للمراد بالأكثر، وهم أكثر من

في الأرض.

وقوله: (دينه): تفسير لـ ﴿سبيل الله﴾.

وقوله: (ما): يريد أن ﴿إن﴾ نافية.

وقوله: (في مجادلتهم...) إلى آخره: بيان لمتعلق الظن.

وقوله: (ما): نظير التي قبلها.

وقوله: (يكذبون): تفسير ﴿يَخْرُصُونَ﴾، والخرص نوع من الكذب^(١).
 وقوله: (عالم): تفسير ﴿أَعْلَمُ﴾، وفي هذا التفسير نظر، فإنَّ الأَعْلَمَ أكمل
 من العالم^(٢).

وقوله: (فيجازي كلاً منهم): بيان للمعنى المراد بذكر العلم، وهو المجازاة.
 وقوله: (أي: ذبح على اسمه) أي: ذبح مع ذكر اسم الله عند الذبح.
 وقوله: (من الذبائح): بيان للمراد بالموصول.

وقوله: (بالبناء للمفعول...) إلى آخره: يبين أنَّ في الفعلين ﴿فَصَلَّ﴾
 و﴿حَرَّمَ﴾ قراءتين بالبناء للفاعل، والبناء للمفعول أي: بفتح الفاء
 والحاء وضمهما^(٣).

وقوله: (في آية «حرمت عليكم الميتة»): بيان للآية المشار إليها في قوله:
 ﴿فَصَلَّ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾، وهي في «المائدة»، ومثلها في «البقرة»^(٤)، وقد
 أُعْتَرِضَ ذلك بأنه لا يستقيم إحالة التفصيل في سورة الأنعام على ما في سورة
 المائدة؛ فإن سورة المائدة مدنية بالاتفاق، والأنعام مكية بالاتفاق^(٥)، ولا يُحَالُ
 في متقدم على متأخر، والفعالان: ﴿فَصَلَّ﴾ و﴿حَرَّمَ﴾ ماضيان، و«قد» تفيد

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٢٧٩)، والغريبين في القرآن والحديث (٢/ ٥٤٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٥١٠-٥١١)، والتحرير والتنوير (٨/ ٢٩).

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٢).

(٤) هذا قول جماعة من المفسرين. ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٥١٣)، والتفسير البسيط
 (٨/ ٣٩٤).

(٥) ينظر: البيان في عد أي القرآن (ص ١٤٩)، (ص ١١٥)، ومصاعد النظر للإشراف على
 مقاصد السور (٢/ ١٠٤)، (٢/ ١١٥).

التحقيق والتحقق، وقد علمنا أن هذا التفصيل لم يأت بعد؛ لتأخر سورة المائدة عن سورة الأنعام^(١).

وقوله: (منه...) إلى آخره: أي: مما حرم عليكم، ويريد أن معنى الجملة: لا شيء يمنعكم من الأكل مما ذُكر اسم الله عليه، وقد بين لكم الحلال من الحرام، وليس ما ذكر اسم الله عليه مما حرم عليكم.

وقوله: (بفتح الياء وضمها): يشير إلى القراءتين في «يُضِلُّون» بفتح الياء «يُضِلُّون في أنفسهم» من ضَلَّ، وضم الياء «يُضِلُّون غيرهم» من أَضَلَّ^(٢).
وقوله: (بما تهواه...) إلى آخره: بيان للمراد بالهوى بأنه ما تهواه النفس، ومنه تحليل الميتة.

وقوله: (يعتمدونه، في ذلك): يريد أنهم ليس عندهم حجة تصلح للاعتماد عليها في تحليل الميتة.

وقوله: (المتجاوزين الحلال إلى الحرام): تفسير «المعتدين».

وقوله: (اتركوا): تفسير «ذروا».

وقوله: (علانيته وسره...) إلى آخره: تفسير لـ ﴿ظَهَرَ الْإِتْرَابُ وَبَاطِنُهُ﴾
عموماً وخصوصاً، ومنه الزنا سرّاً أو علانية.

وقوله: (في الآخرة): بيان لوقت الجزاء، وهو يوم القيامة.

وقوله: (يكتسبون): تفسير ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾.



(١) ينظر: تفسير الرازي (١٣/١٢٩)، والعذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢/٢١٧).

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠١)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ^(١) وَإِنِ اطَّعْتُمْهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ^(٢) أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٣) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ^(٤) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ^(٥)﴾ [الأنعام].

هذا نهي من الله للمؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما لم يذكر اسم الله عليه، فقيل: إن المراد متروك التسمية، وقيل: المراد ما ذكر عليه غير اسم الله، وهو ما أهل به لغير الله^(١). وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ أي: إن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه فسقٌ، وقيل المراد: أن ما أهل به لغير الله فسقٌ، كما يدل له قوله تعالى -فيما سيأتي-: ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥]^(٢). ثم أخبر تعالى أن الشياطين من الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوكم في أمر الذبائح، ويدعونكم إلى استحلال الميتة؛ لأن الله هو الذي ذبحها، وسيأتي ذكر سبب نزول هذه الآية^(٣)، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾، يقولون ما ذبحتموه بأيديكم حلال عندكم، وما ذبحه الله حرام، يعنون الميتة^(٤). وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اطَّعْتُمْهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ يعني: إن أطعتم

(١) وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٢٧-٥٢٩)، وزاد المسير (٢/٧٢).

(٢) تنظر: (ص ٣٦٧).

(٣) تنظر: (ص ٣٤٥).

(٤) أخرج الترمذي (٣٠٦٩) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أتى أناس النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، أأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّكُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنِ اطَّعْتُمْهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام]. وقال: =

المشركين في استحلال الميتة فإنكم بذلك مشركون، فإن طاعة أحد في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله شرك بالله، فإن هذه الطاعة نوع من العبادة^(١)، كما قال ﷺ لَعَدِيٌّ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُمْ يَطِيعُونَ أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، قَالَ ﷺ: «فَتلك عبادتهم»^(٢). وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ أي: لا يستويان، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن الذي أحياه الله بالإيمان، وجعل له نورًا يهتدي به في الظلمات، ومثل للكافر الذي هو ميت لأنه فاقد لسبب الحياة وهو الإيمان، ولم يكن له نورًا يهتدي به، لذلك لا يزال في ظلمات ليس بخارج منها^(٣). وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: كما زَيْن لهذا الكافر البقاء في كفره والبقاء في الظلمات، المعنى: مثل هذا التزيين زَيْن لسائر الكفرة ما هم عليه من الكفر والجهل والأعمال الفاسدة^(٤)، ثم أخبر تعالى أنه جعل في كل قرية من قرى الكافرين أكابر من أهلها من المجرمين أي:

= «هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن عباس أيضًا، ورواه بعضهم عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن النبي ﷺ مرسلًا». وأخرج أبو داود (٢٨١٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فذكره بنحوه. وله طرق أخرى، وصححه البزار (٥٠٥٩)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٥١٠) وقال: «لكن ذكر اليهود فيه منكر، والمحفوظ أنهم المشركون».

(١) ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد لشيخنا (ص ٥٩١).
 (٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٠٦/٧ رقم ٤٧١)، وابن جرير (٤١٧/١١)، والطبراني في الكبير (٢١٨) بهذا اللفظ، وأخرجه الترمذي (٣٠٩٥) بنحوه وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث». وللحديث طرق أخرى تنظر في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢/٦٥-٦٦ رقم ٥٣٨)، لذلك حسنه جمع من أهل العلم منهم: شيخ الإسلام في الإيمان (ص ٥٨)، والألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥٣٢/٩)، والتحرير والتنوير (٤٦/٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٥٣٦/٩)، والمحرر الوجيز (٤٥٢/٣).

من الكفار المعاندين المستكبرين. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما كان في قرينك من المشركين كبراء مجرمين جعلنا في كل قرية مثلهم، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان]، ثم أخبر بحكمته في ذلك وهي أن يمكروا في القرية بالمؤمنين، وهذا من سنته تعالى في الابتلاء، فيبتلي المؤمنين بالكافرين والكافرين بالمؤمنين؛ كما قال تعالى في أول السورة: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: أن عاقبة مكرهم السيئة، واقعة عليهم كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، فعاد ضرر مكرهم بالمؤمنين إلى المجرمين الماكرين فكانهم مكروا بأنفسهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وهو نظير قوله تعالى في المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩]. وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن سوء عاقبة مكرهم راجع إليهم كما قال مثل ذلك في المنافقين: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَ تَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ يقول تعالى: إن الأكابر المجرمين الماكرين إذا جاءهم الرسول بآية قالوا لن نؤمن بما جاء به الرسول، حتى نؤتى مثل ما أوتي رسول الله أي: يوحى إلينا كما أوحى إليه، وينزل علينا مثل ما أنزل عليه، فنكون رسلاً مثله، فرد الله عليهم بأنه أعلم من هو أهل لرسالاته، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ والنبوة: فضل من الله ورحمة، والله يختص برحمته من يشاء، ويؤتي فضله من يشاء لأنه تعالى أعلم بمواضع فضله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء]، ثم أخبر تعالى بأنه معاقب أولئك المجرمين الماكرين بالصغار والعذاب الشديد، فقال تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ

أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١١٤﴾ ❀ أي: بسبب
مكرهم بالرسول والمؤمنين.

❀ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، بأن مات أو ذبح على
اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم، ولم يُسمَّ فيه عمداً أو نسياناً، فهو
حلال - قاله ابن عباس، وعليه الشافعي - ﴿وَاتَّهُ﴾، أي: الأكل منه،
﴿لَفِسْقٌ﴾: خروج عما يحل، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يُوسوسون،
﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾: الكفار، ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة، ﴿وَإِنْ
أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. ونزل في أبي جهل وغيره:
﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا بِالْكَفْرِ﴾، ﴿فَأَحِينَاهُ﴾ بالهدى، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي
بِهِ فِي النَّاسِ﴾: يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾
- مثل: زائدٌ - أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾، وهو
الكافر؟ لا. ﴿كَذَلِكَ﴾: كما زُيِّنَ للمؤمنين الإيمان، ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة
أكبرها، ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا﴾، ليمكروا فيها ﴿بِالْصِّدْقِ
عَنِ الْإِيمَانِ﴾، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأنَّ وبالهم عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
بذلك. ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾، على صدق النبي، ﴿قَالُوا:
لَنْ نُؤْمِنَ﴾ به، ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ من الرسالة ويوحى
إلينا، لأننا أكثر مالا وأكبر سنًا. قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
رِسَالَاتِهِ﴾، بالجمع والإفراد. وحيث: مفعول به لفعل دلَّ عليه «أعلم»،
أي: يعلمُ الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾، بقولهم ذلك، ﴿صَغَارٌ﴾: ذُلٌّ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، بما كانوا يَمْكُرُونَ ﴿أَي: بسبب مكرهم.

وقول المؤلف: (بأن مات...) إلى آخره: بيان لأنواع ما لم يُذكر اسم الله عليه، وذكر ثلاثة: ما مات حتفَ أنفه، وما ذبح وذُكر عليه اسم غير الله، والثالث: ما ذبحه المسلم ولم يذكر اسم الله عمداً أو نسياناً فالأولان حرام، والثالث: يقول إنه حلال، وهو مذهب الشافعي^(١)، والصواب: أن متروك التسمية نسياناً حلال وعمداً حرام^(٢).

وقوله: (الأكل منه): بيان للمراد بالضمير المنصوب ﴿وَأْتَهُ﴾.

وقوله: (خروج عما يحل): تفسير «فسق».

وقوله: (يوسوسون): تفسير «يوحون».

وقوله: (الكفار): بيان للمراد «بأولياء».

وقوله: (في تحليل الميتة): بيان لمتعلق الجدل من أولياء الشياطين.

وقوله: (فيه): يريد تحليل الميتة.

وقوله: (ونزل في أبي جهل وغيره): إشارة إلى سبب نزول الآية^(٣)،

والشاهد منها المناسب لما ذكره المؤلف قوله تعالى: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ

لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، وكان اللائق أن يقول: ونزل في أبي جهل: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

الظُّلُمَاتِ﴾، أو يقول: ونزل في المؤمن والكافر: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا﴾ الآية.

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب (٣٨٧/٨)، وتفسير ابن كثير (٣٢٤/٣).

(٢) وهو قول الحنفية والمالكية والمشهور عند الحنابلة. ينظر: العناية في شرح البداية

(٩/٤٨٩)، والشرح الكبير للدردير بحاشية الدسوقي (١٠٦-١٠٧)، والمغني

(١٣/٢٩٠).

(٣) ينظر: أسباب النزول (ص ٢٢٤)، وتفسير الطبري (٩/٥٣٣).

وقوله: (بالكفر): بيان لنوع الموت.

وقوله: (بالهدى): بيان لسبب الحياة من الموت بالكفر، وهو الهدى.

وقوله: (يتبصر به...) إلى آخره: يريد: يبصر به الحق، ويكون لديه فرقان

بين الحق والباطل.

وقوله: (مثل: زائدٌ) أي: لا تدل على التشبيه لاقترانها بالكاف، والصواب

أنَّ «مثل» بمعنى صفة؛ فلا تكون زائدة، وكاف التشبيه على بابها^(١).

وقوله: (كمن هو): هذا التقدير بناء على أنَّ «مثل» زائدة عنده^(٢).

وقوله: (وهو الكافر؟): بيان للمراد للذي في الظلمات.

وقوله: (لا): تقدير لجواب الاستفهام، فالمعنى ليس مَنْ كان حياً كَمَنْ

مثله في الظلمات.

وقوله: (كما زين للمؤمنين الإيمان): يريد أنَّ الكفار زُيِّنَتْ لهم أعمالهم

كما زُيِّنَتْ للمؤمنين أعمالهم^(٣).

وقوله: (من الكفر والمعاصي): بيان لنوع أعمال الكفار.

وقوله: (كما جعلنا فساق مكة أكابرها): بيان لمرجع اسم الإشارة في

«كذلك» وهو جَعَلَ أكابر مكة مجرميها.

وقوله: (بالصد عن الإيمان): بيان لنوع مكر المجرمين، وهو الصد

عن الإيمان.

وقوله: (لأن وبالهِ عليهم): بيان لسبب أنَّ مكرهم بأنفسهم، وهو سوء

عاقبة مكرهم.

وقوله: (بذلك): بيان لمتعلق ﴿يَشْعُرُونَ﴾.

(١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٦٨٤)، والكشاف (٢/ ٣٩٢).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٣٧)، والتفسير البسيط (٨/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٣) ينظر: التفسير البسيط (٨/ ٤٠٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٥٣).

وقوله: (أهل مكة): بيان للمراد بالضمير المنصوب في قوله: ﴿جَاءَتْهُمْ﴾.
 وقوله: (على صدق النبي): بيان لمتعلق دلالة الآية.
 وقوله: (به): بيان لمتعلق الإيمان المنفي، أي: لن نؤمن بالرسول.
 وقوله: (من الرسالة، ويوحى إلينا): بيان لمطلوبهم، وهو الوحي والرسالة.
 وقوله: (لأننا أكثر مآلاً وأكبر سنًا): بيان لسبب تفضيلهم أنفسهم.
 وقوله: (قال تعالى): بيان لقائل جملة: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.
 وقوله: (بالجمع والافراد): يشير إلى قراءتين في «رسالاته»؛ فقرأ
 ﴿رِسَالَتَهُ﴾ و«رسالاته»^(١).

وقوله: (وحيث... إلى آخره): بيان لإعراب ﴿حَيْثُ﴾، والمؤلف يرى أنه
 مفعول به لفعل مقدر مفهوم من ﴿أَعْلَمُ﴾، والتقدير: والله يعلم حيث، أي: يعلم
 الموضوع الذي يصلح لرسالات الله فيضعها فيه^(٢)، والقائلون: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ
 نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلَ اللَّهِ﴾ لا يصلحون لرسالات الله.
 وقوله: (بقولهم ذلك): بيان لسبب هذا الوعيد.
 وقوله: (ذل): تفسير ﴿صَغَارٌ﴾.
 وقوله: (أي: بسبب مكرهم): يبين أن «الباء» سببية.



(١) ينظر: التيسير في القراءات السبع (ص ٣٤٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٢).
 (٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٣٧)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد
 (٢/ ٦٨٧).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا فَدَفَضْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيُّ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّيْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءآخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ لِقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى أن من أراد الله هدايته شرح صدره أي: وسَّعه لقبول الإسلام دينًا، ومن يرد إضلاله يجعل صدره ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ أي: شديد الضيق، إذا عُرِضَ عليه الإسلام فلا يقبله، ثم شبهه مع ما يعانیه من ضيق الصدر بمن يتصعد في السماء أي: يتكلَّف الصعود وما يجد من المشقة^(١)، ولذا إذا ذكر الله وحده اشمأز قلب المشرك، وتولَّى معرضًا، ونفر من سماع

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥٤٩/٩)، وزاد المسير (٧٦/٢).

القرآن، وجعل أصبعيه في أذنيه. وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥) أي: وكذلك يفعل الله من ضيق الصدر والحرج بالذين لا يؤمنون. وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ (١٢٦) أي: وهذا دين الله قد يسره الله للسالكين. ﴿وَقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾ (١٢٧) أي: بينها لقوم يتذكرون أي: يتذكرون ما خلقوا له، وما يجب عليهم، ويتذكرون الجزاء على الأعمال فيعدون له العدة، ثم ذكر تعالى جزاءهم وهو الجنة دار السلام؛ فقال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: وفوق ذلك يتولاهم الله برحمته وكرامته، ورضاه عنهم جزاء بما كانوا يعملون، ثم ذكر تعالى باليوم العظيم يوم القيامة يوم يحشر الكفار من الجن والإنس، ثم يوبخ الجن على إضلال كثير من الإنس؛ فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾، ثم أخبر تعالى أن الإنس الذين أضلهم شياطين الجن يعتذرون قائلين ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا﴾، فيقول الله لهم جميعاً: ﴿التَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إن خلودهم فيها بمشيئة الله، ثم أخبر تعالى عن كمال حكمته في أفعاله، وكمال علمه بعباده؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٢٨) أي: مثل ما جعلنا لشياطين الجن أولياء من الإنس يطيعونهم، وتوحي الشياطين إلى أوليائهم من الإنس ما يضلون به، فيستجيب لهم الإنس، فيتسلط الشياطين عليهم؛ يقول تعالى: كما جعلنا الجن والإنس بعضهم أولياء بعض؛ كذلك نفعل بالظالمين فنسلط المستكبرين على المستضعفين عقوبة لهم على موالاتهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَأُولَى بَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾، ثم أخبر تعالى أنه يخاطب الكفرة من الجن والإنس موبخاً لهم على كفرهم وعصيانهم، وأنه لا عذر لهم، فقد أقام الحجة عليهم فأرسل إليهم رُسلًا منهم يقصُّون عليهم الآيات أي: يتلونها وينذرونهم لقاء ذلك اليوم الذي هم فيه حاضران سامعون مبصرون، وحينئذ يقرُّون على أنفسهم بأنهم كفروا وعصوا وغرَّتهم الحياة الدنيا، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمَعَّشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٢﴾، ثم أخبر تعالى أنه ليس من سنته أن يهلك القرى بظلم وأهلها غافلون؛ بل يرسل إليهم الرسل فيذكرونهم لقاء ربهم فتقوم عليهم الحجة، وحينئذ تنقطع المعذرة، ولا تكون لهم حجة على الله؛ فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ ﴿١٣﴾. وقوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي: لجميع المكلفين منازل متفاوتة بعضها أعلى من بعض؛ كحال أهل الجنة، وبعضها أسفل من بعض؛ كمنازل الكفار في النار. وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ أي: إن علمه محيط بأعمال العباد لا يغفل عن شيء منها، وسيجزئهم بها برّهم وفاجرهم، ثم أخبر تعالى بغناه عن عباده ورحمته بهم، وأنه تعالى قادر على أن يذهب بالجيل الموجود من الناس، ويستخلف من بعدهم ما يشاء كما أنشأ من قبلهم من قوم آخرين، ثم أكّد الوعد بالبعث، وأنه عليه قادر، ولن يعجزه بعثهم ونشرهم وحشرهم وحسابهم، ثم أمر الله نبيه أن يقول لقومه: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾. وقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِمَّن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

(١) وهو قول ابن زيد. ينظر: تفسير الطبري (٥٥٩/٩)، وزاد المسير (٧٨/٢)، والعذب النмир من مجالس الشنيطي في التفسير (٢٥٦/٢).

الظالمون ﴿١٣٥﴾: وهذا تعريض بالمشركين بأنهم ظالمون^(١)، وأن الظالمين لا يفلحون.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، بأن يقذف في قلبه نورًا فينفسح له ويقبله، كما ورد في حديث، ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ - بالتخفيف والتشديد - عن قبوله، ﴿حَرَجًا﴾: شديد الضيق، بكسر الراء: صفة، وفتحها: مصدرٌ وُصِفَ به مبالغةً، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ - وفي قراءة «يَصَّاعِدُ»، وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها - ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، إذا كُفِّفَ الإِيمانَ لِشِدَّتِهِ عَلَيْهِ. ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ﴾: العذاب، أو الشيطان أي: يُسَلِّطُهُ، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿وَهَذَا﴾ الذي أنت عليه - يا مُحَمَّد - ﴿صِرَاطٌ﴾: طريقٌ ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوجَ فيه. ونصبه على الحال المؤكدة للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا بَيْنَنَا﴾ الآيات، لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿- فيه إدغام التاء في الأصل في الذال - أي: يتعظون. وخصوا بالذكر لأنهم المتفعون، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾، أي: السلامة - وهي الجنة - ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَهُوَ وَلِيُّهُمْ، بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ﴿و﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ - بالنون، والياء أي: الله - الخلق ﴿جَمِيعًا﴾، ويقال لهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ، قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾، بإغوائكم. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمُ﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنْسِ: رَبَّنَا، اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: انتفع الإنسُ بتزيين الجنِّ لهم الشهوات، والجنُّ بطاعة الإنس لهم، ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾. وهو يوم القيامة. وهذا تحسرٌ منهم. ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم، على لسان الملائكة: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: مأواكم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب

(١) ينظر: فتح القدير (١٨٧/٢).

الحميم. فإنه خارجها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِي الْجَحِيمِ﴾. وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون. ف «ما» بمعنى: من. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه. ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض، ﴿نُوَلِّي﴾ من الولاية ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: على بعض، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من المعاصي. ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، أي: من مجموعكم الصادق بالإنس، أو رسل الجن: نذُرهم الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم، ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي، وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا؟ قَالُوا: شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ أن قد بلغنا - قال تعالى: ﴿وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، فلم يؤمنوا - ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ. ذَلِكَ﴾، أي: إرسال الرسل، ﴿أَنْ﴾ - اللام مقدرة وهي مخففة - أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ منها، ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾: لم يرسل إليهم رسول يبين لهم. ﴿وَلِكُلِّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجَاتٌ﴾: جزاء، ﴿مِمَّا عَمَلُوا﴾ من خير وشر، ﴿وما رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء، ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ، إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبِكُمْ﴾ - يا أهل مكة - بالإهلاك، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾، من الخلق، ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أذهبهم. ولكنه أبقاكم رحمة لكم. ﴿إِنَّ مَا تُوَعَدُونَ﴾، من الساعة والعذاب، ﴿لَاتٍ﴾ لا محالة، ﴿وما أنتم بمُعْجِزِينَ﴾: فائتين عذابنا. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَا قَوْمِ، اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم. ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾: موصولة مفعول العلم، ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾، أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم؟ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾: يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون.

وقول المؤلف: (بأن يقذف...) إلى آخره: بيان لما يفعله الرب لمن أراد هدايته، وهو أن يجعل في قلبه نورًا فينشرح صدره فيقبل الحق الذي يدعى إليه؛ وهو دين الإسلام، ثم أشار المؤلف إلى الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره، ولفظه: «**إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح**». قالوا: فهل لذلك من أمانة يعرف بها؟...» الحديث^(١).

وقوله: (بالتخفيف والتشديد): يريد أن لفظ «ضيق» قرئ بالتخفيف على وزن «ريب»، والتشديد على وزن «سيء»^(٢).

وقوله: (عن قبوله) أي: عن قبول الإسلام.

وقوله: (شديد الضيق...) إلى آخره: تفسير «حرج»، وفيه قراءتان^(٣) بكسر الراء وفتحها؛ فبالكسر صفة للصدر، وبالفتح مصدر، وهو صفة أيضًا^(٤). وقوله: (وفي قراءة...) إلى آخره: يشير إلى أن في لفظ «يَصْعَدُ» ثلاث قراءات^(٥)؛ بتشديد العين بلا ألف، وفتح العين مع الألف بعد الصاد، والقراءة الثالثة بسكون التاء، وفتح الصاد «يَتَّصِدُ».

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٥٤٢/٩) - واللفظ له - من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه الطبري (٥٤١/٩)، وابن أبي حاتم (١٣٨٤/٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأبي جعفر. وقال ابن كثير (٣٣٦/٣): «فهذه طرق لهذا الحديث مرسلّة ومتصلة، يشد بعضها بعضًا، والله أعلم»، وتعقبه الألباني في الضعيفة (٩٦٥) بقوله: «وجملة القول: أن هذا الحديث ضعيف لا يطمئن القلب لثبوته عن رسول الله ﷺ لشدة الضعف الذي في جميع طرقه، وبعضها أشدّ ضعفًا من بعض، فليس فيها ما ضعفه يسير يمكن أن ينجر، خلافا لما ذهب إليه ابن كثير».

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٢).

(٣) تنظر المراجع السابقة.

(٤) ينظر الخلاف في: الدر المصون (٥/١٤٢) وما بعدها.

(٥) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٢).

وقوله: (إذا كلف الإيمان لشدته عليه): بيان لسبب هذا الضيق، وهو التكذيب بالإيمان.

وقوله: (الجعل): بيان لمرجع اسم الإشارة.

وقوله: (العذاب...) إلى آخره: تفسير ﴿الرَّحْسَ﴾^(١).

وقوله: (الذي أنت عليه يا محمد): بيان للمراد باسم الإشارة.

وقوله: (طريق): تفسير «الصراط» في اللغة^(٢).

وقوله: (لا عوج فيه...) إلى آخره: تفسير ﴿مُسْتَقِيمًا﴾، وأعربه المؤلف

حال مؤكدة للجملة أي: لجملة «هذا صراط»^(٣).

وقوله: (والعامل فيها) أي: في الحال، (معنى الإشارة) وهي: هذا؛ لأنَّ

اسم الإشارة يتضمن معنى فعل أشير^(٤).

وقوله: (بيننا): تفسير ﴿فَصَلْنَا﴾.

وقوله: (فيه إدغام التاء...) إلى آخره: يريد أن أصل ﴿يَذْكُرُونَ﴾:

يتذكرون؛ فقلبت التاء ذالاً فأدغمت في الذال الأصلية.

وقوله: (السلامة): تفسير ﴿السَّلَامِ﴾^(٥).

وقوله: (الجنة): بيان للمراد بـ ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾، وهو اسم من أسمائها^(٦).

(١) ينظر: مجاز القرآن لمعمر بن المثنى (١/٢٠٦)، وتفسير الطبري (٩/٥٥١-٥٥٢).

(٢) ينظر: تاج العروس (١٩/٤٣٧).

(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٦٨٩)، والدر المصون (٥/١٤٧).

(٤) تنظر المراجع السابقة.

(٥) قال ابن القيم: «وفي إضافتها إلى السلام ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها إضافة إلى مالکها السلام

سبحانه. الثاني: أنها إضافة إلى تحية أهلها؛ فإن تحيتهم فيها «سلام». الثالث: أنها إضافة

إلى معنى السلامة، أي: دار السلامة من كل آفة ونقص وشر. والثلاثة متلازمة، وإن كان

الثالث أظهرها». بدائع الفوائد (٢/٦٠١).

(٦) ينظر: حادي الأرواح (١/١٩٤).

وقوله: (اذكر): تقدير لمتعلق «يوم».

وقوله: (بالنون والياء): إشارة إلى قراءتين معناهما واحد، وهو إضافة الحشر إلى الله بصيغة الإفراد، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الله، أو بصيغة الجمع الدالة على التعظيم «نحشرهم» أي: نحن، والضمير عائد إلى الله^(١).

وقوله: (أي: الله - الخلق): تقدير لفاعل «يحشر»، وهو الله، ومفعوله وهو الخلق.

وقوله: (ويقال لهم): يبين أن جملة ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ﴾: مقول قول مقدر^(٢).
وقوله: (ياغواكم): بيان لسبب الاستكثار.

وقوله: (الذين أطاعوهم): بيان لما كانت به الولاية.

وقوله: (انتفع الإنس...) إلى آخره: بيان لنوع الاستمتاعين.

وقوله: (وهو يوم القيامة): بيان للمراد بالأجل الذي أجله الله لهم، وهو يوم القيامة.

وقوله: (وهذا تحسر منهم): بيان لوجه تحسرهم.

وقوله: (لهم): بيان للمراد بالمخاطبين في قوله: ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ﴾.

وقوله: (على لسان الملائكة): يبين أن الذي باشر أهل النار بالخطاب

هم خزنتها^(٣).

(١) ينظر: التيسير في القراءات السبع (ص ٣٤٨)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٥٥)، والتحرير والتنوير (١٨/ ٦٧).

(٣) واختار الطبري وابن عطية والبغوي أنه خبر من الله عما هو قائل لهؤلاء. ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٥)، والبغوي (٣/ ١٨٨)، والمحزر الوجيز (٣/ ٤٦١). ولم نجد بعد البحث فيما تيسر لنا من مراجع من ذكر أنه قول الله على لسان الملائكة، ولعل حجة المؤلف أن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً، وبهذا وجه الصاوي. ينظر: حاشية الصاوي على الجلالين (٢/ ٤٣).

وقوله: (مأواكم): تفسير ﴿مَثْوَاكُمْ﴾^(١).

وقوله: (من الأوقات...) إلى آخره: بيان لمتعلق المشيئة، وهو الأوقات التي لم يكونوا فيها كلبثهم في البرزخ، وقيل: المراد ما بين بعثهم ودخلوهم النار^(٢). وقوله: (التي يخرجون فيها لشرب الحميم): تفسير لا وجه له، فإنَّ هذا خروج لا ينافي الخلود، والأثر الذي ذكره عن ابن عباس الأقرب أنه لا يصح عنه^(٣)، وكذا قال ابن عطية^(٤)، لأنَّ الاستثناء ورد في خطاب الكفار المستوجبين لدخول النار، وهناك لا يطلب من أحد منهم الإيمان، وقول المؤلف: (ف «ما» بمعنى: «من»): يريد على قول ابن عباس الذي نقله.

وقوله: (في صنعه): بيان لمتعلق الحكمة.

وقوله: (بخلقه): بيان لمتعلق العلم.

وقوله: (كما متعنا...) إلى آخره: بيان لمرجع اسم الإشارة.

وقوله: (من الولاية): بفتح الواو أي: نجعل بعضهم أولياء بعض.

وقوله: (على بعض): هذا يقتضي أنه جعلها من الولاية بكسر الواو، فيصير المعنى: جعل لبعضهم سلطاناً على بعض، واختار ابن جرير أنها من الموالاتة، فهي من الولاية بفتح الواو^(٥).

وقوله: (من المعاصي) أي: بسبب ذنوبهم.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٣٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٥٧)، وزاد المسير (٢/٧٨).

(٣) أخرجه الطبري (٩/٥٥٨)، وابن أبي حاتم (٧٨٩٧) ولفظه عند الطبري: «إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه؛ لا ينزلهم جنة ولا ناراً» وما نقله المؤلف هو بنحوه عند الثعلبي (١٢/٢١٣)، ومختصره البغوي (٣/١٨٩)، ورد ابن تيمية بنحو ما ذكره شيخنا -سده الله-. ينظر: الرد على من قال بفناء النار (ص ٦٠-٦١).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٣/٤٦١-٤٦٢).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٥٩).

وقوله: (أي: من مجموعكم...) إلى آخره: يريد أن الرسل لم يكونوا من الجنسين بل من المجموع، ولكن الرسل من الإنس، وأمّا الجن فمنهم نُذُرٌ يستمعون من الرسول، ويذهبون إلى قومهم ينذرونهم^(١)؛ كما قال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف].

وقوله: (أن قد بلغنا): بيان لما شهدوا به على أنفسهم، وهو أن الرسل قد بلغوهم.

وقوله: (قال تعالى): يريد أن ﴿وَعَرَّزَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ كلام مبتدأ من الله عطفًا على قوله: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا﴾^(٢).

وقوله: (فلم يؤمنوا): بيان لأثر غرورهم في الحياة الدنيا.

وقوله: (إرسال الرسل): بيان لمرجع اسم الإشارة.

وقوله: (اللام مقدره...) إلى آخره: يريد أن الجملة تعليل لإرسال الرسل.

وقوله: (منها) أي: من أهل القرى.

وقوله: (لم يرسل إليهم رسول): بيان لسبب غفلتهم.

وقوله: (من العاملين): بيان لنوع «كل».

وقوله: (جزاء): يريد أن جزاءهم درجات بحسب أعمالهم.

وقوله: (من خير وشر): يبين أن التفاوت في الجزاء عام في أهل

الخير والشر.

وقوله: (بالياء والتاء): يشير إلى قراءتين: بالياء خبرًا عن غائبين، وبالتاء

خطاب لحاضرين^(٣).

(١) نص على ذلك مجاهد، وابن جريج، وهو قول أكثر العلماء. ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٦٠ -

٥٦٢)، وابن أبي حاتم (٧٩٠٣)، والتفسير البسيط (٨/ ٤٤٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٦٢)، والتحرير والتنوير (٨/ ٧٩).

(٣) أي: «يعملون» و«تعملون». ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٢-٢٦٣).

وقوله: (عن خلقه وعبادتهم): بيان للمستغنى عنه.
 وقوله: (يا أهل مكة): بيان للمراد بالمخاطبين.
 وقوله: (من الخلق): بيان للمراد بالموصول في قوله: ﴿مَا يَشَاءُ﴾.
 وقوله: (أذهبهم...) إلى آخره: يريد أن الله أذهب مَنْ قبلكم،
 واستخلفكم بعدهم.

وقوله: (من الساعة والعذاب): بيان للمراد بالموصول في قوله: ﴿مَا
 تُوعَدُونَ﴾.

وقوله: (لا محالة): يريد أنه يقين لا يخلف.
 وقوله: (فائتين عذابنا): المعنى أن عذاب الله مدرركم.
 وقوله: (لهم) أي: للمشركين.
 وقوله: (حالتكم) أي: اعملوا على ما أنتم عليه من الحال.
 وقوله: (على حالتي) أي: على الحال التي أنا عليها.
 وقوله: (موصولة مفعول العلم): يريد أن ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب مفعول
 به، والعامل فيها ﴿تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقوله: (العاقبة المحمودة...) إلى آخره: يبين أن المراد بالعاقبة العاقبة
 الحسنة، وهي للمؤمنين.

وقوله: (يسعد): تفسير ﴿يُفْلِحُ﴾؛ لأنَّ الفلاح هو الفوز بالمطلوب^(٢).
 وقوله: (الكافرون): بيان للمراد بالظالمين.



(١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٦٩٥)، والدر المصون (٥/١٥٨).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٦٤٤).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَيْنَا أَرْوَجْنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَلَةُ فَهْمٍ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى عن المشركين بأنهم جعلوا مما خلق الله لهم من الحروث والأنعام نصيباً ادَّعوا أنه لله، ونصيباً لشركائهم، فإذا انتقل شيء من نصيب الشركاء إلى ما هو لله ردوه إلى نصيب الشركاء، وإذا انتقل شيء من نصيب الله إلى نصيب الشركاء لم يردوه زاعمين أن الله غني عنه^(١)، وكذلك أخبر تعالى أن كثيراً من المشركين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم إما خشية الفقر، وإما خشية العار، وأخبر تعالى أن الشركاء فعلوا ذلك ليُردوا المشركين؛ أي: يهلكوهم^(٢)، ويخلطوا عليهم أمر دينهم فلا يميزون حقاً من باطل، ثم أخبر تعالى أن ذلك كله بمشيئة الله فلو شاء ألا يفعلوه ما فعلوه، ثم أمر الله نبيه بالإعراض عنهم وتركهم، ثم أخبر تعالى أن المشركين حرَّموا بعض الحروث والأنعام على غيرهم إن شاءوا أي: حرَّموا أكلها،

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٥٧٠-٥٧١)، وابن أبي حاتم (٧٩١٥).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦١)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ١٦٢).

وَحَرَّمُوا أَيْضًا ظُهُورَ بَعْضِ الْأَنْعَامِ فَلَا يَرْكَبُونَهَا، وَمَنْ بَدَعَهُمْ وَافْتَرَأَ اتِّهَمَ: أَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا عِنْدَ ذَبْحِهَا، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ عَلَى افْتِرَائِهِمْ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ جَعَلُوا مَا فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ حَلَالًا لَذِكْوَرِهِمْ وَحَرَامًا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً، فَإِنَّهُ يَكُونُ مَشْتَرَكًا بَيْنَ الذَّكَورِ وَالنِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكَورِ بِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ وَكَكِيمٌ عَلَيْهِمْ﴾، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ طَاعَةَ لِشُرَكَائِهِمْ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ خَسِرُوا وَضَلُّوا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا﴾ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿لِللَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خَلْقٌ، ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾: الزَّرْعِ ﴿وَالْأَنْعَامِ، نَصِيبًا﴾ يَصْرَفُونَهُ إِلَى الضَّيْفَانِ وَالْمَسَاكِينِ، وَلشُرَكَائِهِمْ نَصِيبًا يَصْرَفُونَهُ إِلَى سَدَنَتِهَا، ﴿فَقَالُوا: هَذَا لِلَّهِ، بِزَعْمِهِمْ﴾ - بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ - ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾. فَكَانُوا إِذَا سَقَطَ فِي نَصِيبِ اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِهَا التَّقْطُوهَ، أَوْ فِي نَصِيبِهَا شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِهِ تَرْكُوهُ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَي: لِجِهَتِهِ، ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ. سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ هُوَ حُكْمُهُمْ هَذَا! ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كَمَا زَيْنَ لَهُمْ مَا ذُكِرَ، ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بِالْوَادِ ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ مِنَ الْجَنِّ - بِالرَّفْعِ: فَاعِلٌ «زَيْنٌ». وَفِي قِرَاءَةِ بِنَائِهِ لِلْمَفْعُولِ وَرَفْعِ «قَتَلَ» وَنَصْبِ الْأَوْلَادِ بِهِ وَجَرَّ «شُرَكَائِهِمْ» بِإِضَافَتِهِ. وَفِيهِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ بِالْمَفْعُولِ، وَلَا يُضَرُّ. وَإِضَافَةُ الْقَتْلِ

إلى الشركاء لأمرهم به- ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾: يهلكوهم، ﴿وَلِيَلْبَسُوا﴾: يخلطوا
﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾، ولو شاء الله ما فعلوه. فذرهم وما يفترون. ﴿وقالوا: هذه
أنعامٌ وحَرْتٌ حِجْرٌ﴾: حرام، ﴿لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خَدَمَةِ
الأوثان وغيرهم، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: لا حُجَّةَ لهم فيه، ﴿وأنعامٌ حُرِّمَتْ
ظُهُورُهَا﴾ فلا تُركب كالسَّوَابِغِ والحَوَامِي، ﴿وأنعامٌ لا يذكُرُونَ اسمَ اللهِ
عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم. ونسبوا ذلك إلى الله ﴿افتراءً
عَلَيْهِ﴾- سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿عليه﴾- ﴿وقالوا: ما في بَطُونِ هَذِهِ
الأنعامِ﴾ المُحَرَّمَةِ- وهي السَّوَابِغِ والبَحَائِرُ- ﴿خَالِصَةٌ﴾: حلال
﴿لِذُكُورِنَا، وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ أي: النساء، ﴿وإن يَكُنْ مِيتَةً﴾- بالرفع
والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره- ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ سَيَجْزِيهِمُ اللهُ
﴿وَصَفَهُمُ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي: جزاءه. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه،
﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾- بالتخفيف والتشديد-
﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بالوَأَدِ، ﴿سَفَهًا﴾: جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ
﴿مِمَّا ذُكِّرَ﴾ افتراءً على الله. قَدْ ضَلُّوا وما كانوا مُهْتَدِينَ.

وقول المؤلف: (كفار مكة): بيان للمراد بالجاعلين، وهم كفار مكة.

وقوله: (خلق): تفسير ﴿ذَرَأً﴾^(١).

وقوله: (الزراع): تفسير «الحرث».

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦٠)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص ١٢٨).

وقوله: (يصرفونه إلى الضيفان...) إلى آخره: بيان لمصرف النصيب الذي جعلوه لله، ومصرف النصيب الذي جعلوه للشركاء^(١).

وقوله: (بالفتح والضم) أي: بفتح الزاي، وضمها لغتان، وهما قراءتان، وقراءة الجمهور بالفتح^(٢).

وقوله: (فكانوا إذا سقط...) إلى آخره: بيان لكيفية ما قال الله فيه: ﴿فَمَا كَانَ لَشُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرْكَائِهِمْ﴾.

وقوله: (أي: لجهته): يريد النصيب الذي جعلوه لله.

وقوله: (بئس): تفسير ﴿سَاءَ﴾، وأنه فعل للذنب.

وقوله: («ما يحكمون» هـ): تقدير لعائد الموصول.

وقوله: (حكمهم هذا!): تقدير للمخصوص بالذنب.

وقوله: (كما زُيِّنَ لهم ما ذُكِرَ): بيان لمرجع اسم الإشارة، وهو ما زُيِّنَ لهم من الشرك.

وقوله: (بالوَاد): بيان لصفة قتل الأولاد، وهو دفنهم وهم أحياء، وهذا

هو الوَاد^(٣)، وهو عند أهل الجاهلية أخص بالبنات، يدل له قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

الْمَوءُ وُدَّةٌ سُلِّتَ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير]^(٤).

(١) ينظر: تفسير الثعلبي (٢٢٢/١٢)، والتفسير البسيط (٤٥٣/٨).

(٢) أي: «بزعهم». ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٣).

(٣) ينظر: لسان العرب (٤٤٢/٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٤٧-١٤٨)، والدر المثور (٤٢٨/٨) وما بعدها.

وقوله: (من الجن...) إلى آخره: بيان للمراد بالشركاء، وهم المعبودون من الجن^(١)، وبيان لوجه رفع «شركاء»، وهو فاعل ﴿زَيْنَ﴾^(٢)، وأنَّ الفعل ﴿زَيْنَ﴾ قرئ بالبناء للمفعول أي: «زَيْن»^(٣)، ونائب الفاعل «قَتْلُ»^(٤).

وقوله: (وفيه الفصل...) إلى آخره: يبين أنه على قراءة بناء الفعل للمفعول، وإضافة القتل إلى «شركاء» يلزم منه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهو الأولاد؛ قال: (ولا يضر) أي: جائز؛ كقولك: ضرب عمراً زيدٍ شديد^(٥).

وقوله: (وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به): يبين وجه إضافة القتل إلى الشركاء، وهو أمرهم به.

وقوله: (يهلكوهم): تفسير «يردوهم»، فإنَّ الردى هو الهلاك^(٦).

وقوله: (يخلطوا): تفسير ﴿يَلْبَسُوا﴾^(٧)، ولبس الشيء بالشيء خلطه، ومنه لبس الحق بالباطل.

(١) وهو قول مجاهد والسدي. ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٧٤-٤٧٥)، وزاد المسير (٢/٨١).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٤٠-٥٤١)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٦٩٧).

(٣) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٣).

(٤) ينظر إعراب هذه القراءات في: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٤٠-٥٤١)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٦٩٧)، والدر المصون (٥/١٦١) وما بعدها.

(٥) قال أبو حيان: «وهي مسألة مختلف في جوازها؛ فجمهور البصريين يمنعونها -متقدموهم ومتأخروهم- ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة». البحر المحيط (٤/٦٥٧)، وينظر: الدر المصون (٥/١٦١) وما بعدها.

(٦) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٤٦١)، وللسجستاني (ص ٤٣١).

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٧٣٥).

وقوله: (حرام): تفسير «حجر» لأنَّ الحرام محجور أي: ممنوع قربانه^(١).
 وقوله: (من خدمة الأوثان وغيرهم): يبين أنَّ مما يشاءون إطعامه خدمة الأوثان الذين يقال لهم السدنة^(٢).

وقوله: (لا حجة لهم فيه): يريد أنَّ هذا التحريم مما ابتدعه وافتروه على الله.

وقوله: (فلا تركب كالسوائب والحوامي): بيان لمعنى تحريم ظهور الأنعام، ومثل لذلك بالسوائب والحوامي التي يحرم أهل الجاهلية ركوبها^(٣).
 وقوله: (عند ذبحها...) إلى آخره: بيان لمحل ترك ذكر اسم الله، وهو عند الذبح بل ويذكرون اسم أوثانهم^(٤).

وقوله: (عليه) أي: على الله، لأنهم ينسبون ما ابتدعه من الأحكام إلى الله.

وقوله: (المحرمة، وهي: السوائب والبحائر): بيان للمراد بالأنعام المحرمة المشار إليها في قوله: (هذه الأنعام).

وقوله: (حلال): تفسير لـ ﴿خَالِصَةٌ﴾، وهو من التفسير باللازم، وإلا فمعنى ﴿خَالِصَةٌ لِّذَكَورِنَا﴾: خاص بذكورنا؛ كما يدل عليه قوله فيما بعد: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، وحاصل المعنى: أنَّ ما في بطون الأنعام حلال عندهم بالذكور وحرام على الإناث، وإن كان في البطون ميتاً فإنهم يشتركون فيه.

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦١)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٢٠)

(٢) ينظر: لسان العرب (٢٠٧/١٣).

(٣) تنظر: (ص ١٧٢).

(٤) وقال أبو وائل: «لا يحجون عليها». وقال مجاهد: «لا يذكرون اسم الله عليها، ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوها، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن منحوها، ولا إن عملوا شيئاً». ينظر: تفسير الطبري (٥٨٢/٩-٥٨٣)، والمحزر الوجيز (٤٧١/٣).

وقوله: (أي: النساء): بيان للمراد بالأزواج.
 وقوله: (بالرفع والنصب...) إلى آخره: يشير إلى قراءتين في «ميتة»^(١)؛
 فقرأ بالنصب خبر **يَكُنْ**، وبالرفع فاعل «تكن»، وعلى كل من القراءتين
 يجوز تأنيث الفعل، وتذكيره: تكن ويكن^(٢).
 وقوله: (الله): بيان للفاعل «يجزي».
 وقوله: (ذلك بالتحليل والتحریم): اسم الإشارة راجع إلى وصفهم، وهو
 قولهم «هذا حلال وهذا حرام».
 وقوله: (أي: جزاءه): يبين أن وصفهم على تقدير مضاف، فالمعنى:
 سيجزيهم جزاء وصفهم^(٣) أي: قولهم بالتحليل والتحریم.
 وقوله: (في صنعه): بيان لمتعلق اسمه «الحكيم».
 وقوله: (بخلقه): بيان لمتعلق العلم.
 وقوله: (بالتخفيف والتشديد): يريد التاء في **قَتَلُوا**؛ فإنه قُرئ
قَتَلُوا، وقُرئ «قَتَلُوا»^(٤).
 وقوله: (بالوَأد): بيان لصفة قتل البنات.
 وقوله: (جهلاً): تفسير **سَفَهًا**^(٥).
 وقوله: (مما ذُكر): بيان للموصول في قوله: **مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ**، وهو ما
 ذكر الله قبل من الحرث والأنعام.



- (١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٥).
- (٢) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/ ٧٠٤)، والدر المصون (٥/ ١٨٦).
- (٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٩٥)، والبحر المحيط (٤/ ٦٦٢).
- (٤) ينظر: السبعة في القراءات (ص ٢٧١)، والمبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٤).
- (٥) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦٢)، وتفسير الطبري (٩/ ٥٩١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَیَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ بِاللَّهِ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ [الأنعام].

يخبر تعالى مذكراً عباده بأنه هو الذي أنشأ لهم أي: خلق، ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين بما فيها من الأشجار والثمار منها ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ أي: مرفوعات كالأعنان، ومنها غير معروشات، وهو يعم ما لم يُرفع من الأعنان ونحوها، وما ليس من شأنه الرفع؛ كالذُّبَّاء والبطيخ، أو الشجر الذي يقوم على ساق، وهي أكثر الأشجار^(١)، ومنها الزيتون والرمان متشابه وغير متشابه، ثم أمر تعالى بالأكل من ثمار هذه البساتين أمر إباحة، وبإيتاء حق الأرض عند حصاده؛ فقال

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥٩٣/٩)، وزاد المسير (٨٤/٢).

تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَیَوْمَ حَصَادِهِ﴾، ونهى عن الإسراف في الأكل والصدقة، ونهى تعالى عن الإسراف لأنه لا يحب المرففين، ثم أخبر تعالى أنه خلق لعباده الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، فمنها ﴿حَمُولَةٌ﴾؛ وهي الإبل، ﴿وَقَرَشَاءُ﴾؛ وهي الغنم وصغار الإبل^(١)، ثم أخبر أن الأنعام ثمانية أصناف، أربعة هي الغنم من المعز والضأن ذكورها وإناثها، وأربعة هي الإبل والبقر ذكورا وإناثا، وأخبر أنه لم يحرم شيئا من ذلك، وما حرّمه المشركون من الأنعام كما في الآيات هو تحريم من عند أنفسهم افتروه على الله، ولهذا وبّخهم الله في هذه الآيات في قوله: ﴿نِعُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَلَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، ثم أمر الله نبيه أن يخبر الناس بأنه لا يجد فيما أوحى إليه محرما من الطعام على طاعم يطعمه إلا الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير الله به أي: ما ذكر عليه اسم غير الله، ثم ذكر تعالى حكم المضطر إلى شيء من هذه المحرمات، وهو غير باغ ولا عادٍ، وهو أن المضطر لا إثم عليه؛ لقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ثم أخبر تعالى أنه حرّم على اليهود -أي في التوراة- كلّ ذي ظفر من الحيوان، وهو ما ليس مشقوق الأصابع، وهي الإبل ونحوها؛ كالنعامة والإوزّ والبطّ^(٣)، وحرّم عليهم من البقر والغنم شحومهما، إلا الشحوم التي حملته ظهورهما أو شحوم الحوايا، أو الشحوم المتصلة بالعظام، ومنها الألية؛ لاتصالها بالعصعص، وهو المراد بقوله: ﴿أَوْ مَا

(١) ينظر الخلاف في: تفسير الطبري (٦١٨/٩)، والتفسير البسيط (٤٨٤/٨)، وزاد المسير (٨٥-٨٦/٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦٣٨/٩)، وزاد المسير (٨٨/٢). ويقارن بما في: سفر اللاويين (الإصحاح ١١/١-٨)، والثنية (الإصحاح ١٤/٣-٨).

أَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ؛ فتحذر أن الشحوم المحرمة عليهم من البقر والغنم هي الثروب، وهي الغشاء الذي فوق الكرش والأمعاء من الشحم، وشحم الكلى^(١). أفاده شيخنا محمد الأمين الشنقيطي^(٢)، ثم أخبر أنه حرّم ذلك على اليهود عقوبة بسبب بغيهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿فِيظَلِمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَحَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] الآيتين.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾: خلق ﴿جَنَاتٍ﴾: بساتين، ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾: مبسوطات على الأرض كالبطيخ، ﴿وغيرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخل، ﴿و﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ، مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾: ثمره وحبّه في الهيئة والطعم، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا﴾ ورقهما: حال، ﴿وغيرَ مُتَشَابِهٍ﴾ طعمهما - ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ، إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج، ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ﴾: زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، بالفتح والكسر، من العشر أو نصفه، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء كله، فلا يبقى لعيالكم شيء. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾: المتجاوزين ما حدّ لهم - ﴿و﴾ أنشأ ﴿مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾: صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار، ﴿وَفَرَشًا﴾: لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم، سُمِّيَتْ فرشًا لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها. ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾: طرائقه من التحريم والتحليل. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بينُ العداوة. ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: أصنافٍ: بدلٌ من «حَمُولَةٌ وَفَرَشًا»، ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ زوجين ﴿اِثْنِينَ﴾ ذكرٌ وأُنثى ﴿وَمِنَ الْمَعَزِ﴾، بالفتح والسكون، ﴿اِثْنِينَ - قُلْ﴾ يا مُحَمَّدٌ لمن حرّم ذكور الأنعام تارة وإنّائها أخرى، ونسب

(١) ينظر: لسان العرب (١/٢٣٤).

(٢) ينظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢/٣٨٩).

ذلك إلى الله: ﴿الذَّكْرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَمَ﴾ الله عليكم، ﴿أُمِ الْأُنثَيْنِ﴾ منهما، ﴿أُمٌ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ﴾ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى؟ ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قِبَلِ الذُّكُورَةِ فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتمالِ الرحم فالزوجان. فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار- ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾. قُلْ: الذَّكْرَيْنِ حَرَمَ أُمِ الْأُنثَيْنِ، أُمٌ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ؟ أُمٌ: بل أُمَّ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ: ﴿حُضُورًا﴾، ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك؟ لا، بل أنتم كاذبون فيه. ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾، مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿بِذَلِكَ﴾، ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ، بِغَيْرِ عِلْمٍ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ﴿قُلْ: لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ شيئًا ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾، بالياء والتاء، ﴿مَيْتَةً﴾ -بالنصب. وفي قراءة بالرفع مع التحتائية- ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾: سائلًا بخلاف غيره كالكبد والطحال، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ -فإنه رِجْسٌ ﴿حَرَامٌ﴾ - ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لِيغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذُبْحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ. ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما ذكر فأكله، ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ ﴿لَهُ مَا أَكَلَ﴾، ﴿رَحِيمٌ﴾ به. ويُلْحَقُ بِمَا ذُكِرَ، بِالسُّنَّةِ، كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَمَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ -وهو ما لم تُفَرِّقْ أَصَابِعَهُ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ- ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾: الثُّرُوبُ وَشَحْمُ الْكُلَى، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بها منه، ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَايَا﴾: الأمعاء جمع حواياء أو حاوية، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه. وهو شحم الآية. فإنه أُحِلَّ

لهم. ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾ به ﴿بِغِيهِمْ﴾: بسبب ظلمهم بما سبق في سورة «النساء». ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

وقول المؤلف: (خلق): تفسير ﴿أَنشَأَ﴾.

وقوله: (بساتين): تفسير ﴿جَنَّاتٍ﴾.

وقوله: (مبسوطات على الأرض كالبطيخ): هذا خلاف ما يدل عليه لفظ «المعروشات» فهو من العرش، وهو أن يجعل للشجر عريشاً يرتفع عليه كالعنب، فإنَّ منه ما يجعل له عريش وهو المعروف، ومنه ما يترك منبسطاً على الأرض، وهو غير المعروش، ومن فسر المعروش بالمنبسط على الأرض أراد ما من شأنه أن يجعل له عريش يرفع عليه، وتمثيل المؤلف بالبطيخ غير مناسب^(١)؛ لأنَّ البطيخ ليس من شأنه أن يجعل له ما يُرتفع عليه؛ لأنَّ ثمره لا يناسبه إلا الانبساط على الأرض لثقله؛ ومثله القرع.

وقوله: (بأن ارتفعت على ساق كالنخل): هذا تفسير «غير المعروشات»؛ فسره بما لا يحتاج إلى رفع؛ كالشجر الذي يقوم على ساق كالنخل.

وقوله: (أنشأ): يريد أن الواو في ﴿وَالنَّخْلَ﴾ عاطفة لفعل مقدّر على فعل ﴿أَنشَأَ جَنَّاتٍ﴾، ولا ريب أن هذا هو المعنى.

وقوله: (ثمره وحبه): تفسير ﴿أَكْلُهُ﴾، والثمر للشجر والحب للزرع.

وقوله: (في الهيئة والطعم): يريد أن ثمر النخل، وحب الزرع مختلفان

في الهيئة والطعم، وهو ظاهر.

(١) المؤلف مسبق بهذا التمثيل. ينظر: تفسير الثعلبي (١٢/٢٣٣)، والتفسير البسيط

وقوله: (ورقهما: حال): يبين فاعل اسم الفاعل «متشابه»، وإعراب اسم الفاعل، وأنه منصوب على الحال^(١).

وقوله: (طعمهما): بيان لمتعلق التشابه المنفي^(٢).

وقوله: (قبل النضج): يبين أن إباحة الأكل لا تتوقف على نضج الثمرة، بل يباح الأكل من أول ما تظهر الثمرة.

وقوله: (زكاته): بيان للمراد بالحق الذين أمر الله بإيتائه، وهو الزكاة هذا قول جمهور المفسرين، وقيل: هو حق غير الزكاة^(٣).

وقوله: (بالفتح والكسر) أي: بفتح الحاء وكسرها، وهو يشير إلى قراءتين في ﴿حَصَادِهِ﴾^(٤).

وقوله: (من العشر أو نصفه): بيان لمقدار زكاة الزرع إذا بلغ خمسة أو سق، وهو العشر فيما سُقي بلا مؤنة، ونصف العشر فيما سُقي بمؤنة^(٥).

وقوله: (بإعطاء كله): بيان للإسراف المنهي عنه، وهو الصدقة بكل المال المؤدي إلى إضاعة العيال.

وقوله: (المتجاوزين ما حد لهم): بيان لـ ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾.

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٤٣)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧٠٦/٢).

(٢) قاله ابن جريج. ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٩٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٥٩٥)، وزاد المسير (٢/٨٤).

(٤) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٦).

(٥) لما أخرجه البخاري (١٤٨٣) عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**فِيمَا سَقَّتِ السَّمَاءَ وَالْعَيُونَ أَوْ كَانَ عَثْرِيًّا الْعَشْرُ وَمَا سُقِيَ بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعَشْرِ**»، ولمسلم (٩٨١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه. وينظر: المغني (٤/١٦٤).

ومعنى: «**عَثْرِيًّا**»: هو من النخيل الذي يشرب بعروقه؛ كأن يُغرس في أرض يكون الماء قريباً من وجهها، فيصل إليه عروق الشجر فيستغني عن السقي. ينظر: النهاية (٣/١٨٢)، وفتح الباري (٣/٣٤٩).

وقوله: (أَنْشَأَ): يريد أن السواو في ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ عاطفة لفعل مقدر على فعل ﴿أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾، وهذا صحيح.
 وقوله: (صالحة للحمل عليها): تفسير ﴿حَمُولَةً﴾، وهذا ينطبق على الإبل الكبار.

وقوله: (لا تصلح له... إلى آخره): يريد لا تصلح للحمل، وهو ينطبق على الغنم وصغار الإبل، ثم يبيّن وجه تسميتها فرشاً، وهو أنها لدنوها من الأرض كالشيء المنفرش عليها^(١).

وقوله: (طرائقه في التحريم والتحليل): تفسير ﴿حُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ في تحليل الحرام، وتحريم الحلال.

وقوله: (بين العداوة): تفسير ﴿مُيِّنٌ﴾.

وقوله: (أصناف): تفسير ﴿أَزْوَاجٍ﴾.

وقوله: (بدل): يريد ثمانية بدل كل من كل^(٢).

وقوله: (زوجين): تفسير ﴿أَثْنَيْنِ﴾.

وقوله: (ذكر وأنثى): بيان للمراد بالزوجين.

وقوله: (بالفتح والسكون): يريد بفتح العين وسكونها، وهما قراءتان^(٣).

وقوله: (يا محمد... إلى آخره): بيان للمخاطب بالأمر وهو النبي، والمخاطب بالاستفهام وهم المشركون، والمراد من الاستفهام الإنكار على

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٦٢٢-٦٢٣)، والكشاف (٢/٤٠٥).

(٢) وهو قول الطبري، والزجاج، وقال السمين الحلبي: أنه أحسن الأوجه. ينظر: تفسير الطبري

(٩/٦٢٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٢٩٩)، والدر المصون (٥/١٩١).

(٣) أي: «المعز». ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٤)، والنشر في القراءات العشر

(٢/٢٦٦).

المشركين تحريم ما حرموا من بهيمة الأنعام، ونسبة ذلك إلى الله، فمعنى الاستفهام هو نفي نسبة ذلك إلى الله بإبطال كل ما يمكن أن يكون علة للتحريم^(١). وقوله: (من الضأن والمعز)، وقوله: (منهما): بيان للجنس المراد الذي منه الذكريين والأنثيين، فالمراد من الذكريين ذكر الضأن وذكر المعز، والمراد من الأنثيين أنثى الضأن وأنثى المعز.

وقوله: (الله عليكم): بيان لمتعلق التحريم حاكمًا أو محكومًا. وقوله: (ذكرًا كان أو أنثى؟): يبين أن ما اشتملت عليه الأرحام يشمل الذكر والأنثى.

وقوله: (عن كيفية تحريم ذلك): يبين بذلك أن قوله ﴿بَعُونِي﴾ للتعجيز^(٢)، لأنهم لا يعلمون كيفية تحريم ما يزعمون أن الله حرمه من بهيمة الأنعام. وقوله: (فيه...) إلى آخره: بيان لمتعلق الصدق إن كان منهم، وهو تحريم ما حرموا من بهيمة الأنعام، ثم يوضح المؤلف معنى الاستفهام، وهو نفي كل ما يحتمل أنه علة لهذا التحريم من الذكورة والأنوثة واشتمال الأرحام، فإذا بطل كل ذلك بطل التحريم.

وقوله: (والاستفهام للإنكار): يريد أن هذا الاستفهام يفيد النفي؛ لأن الاستفهام للإنكار يفيد النفي.

وقوله: (بل أكنتم شهداء): يريد أن يبين أن ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ هي المنقطة التي تفسر بـ«بل»، وهمزة الاستفهام^(٣).

وقوله: (حضورًا): تفسير ﴿شُهَدَاءَ﴾^(٤).

(١) ينظر: تفسير الخازن (٢/١٦٥)، والبحر المحيط (٤/٦٧١).

(٢) ينظر: تفسير ابن جزى (١/٦٧٨)، والبحر المحيط (٤/٦٨٣).

(٣) ينظر: الكشاف (٢/٤٠٦)، والدر المصون (٥/١٩٥).

(٤) ينظر: الوجوه والنظائر للدماغاني (ص ٢٩١)، ونزهة الأعين النواظر (ص ٣٧٩).

وقوله: (التحريم...) إلى آخره: بيان لمرجع اسم الإشارة، وهو التحريم، وقول المؤلف: (لا) يبين أن الاستفهام للإنكار، فيفيد نفي أن الله وصَّاهم، وإذن؛ فهم مفترون.

وقوله: (لا أحد): يبين أن الاستفهام يفيد النفي العام.

وقوله: (بذلك): بيان لمتعلق الكذب، وهو تحريم ما حرّموا.

وقوله: (شيئاً): تقدير مفعول ﴿لَا أَحَدٌ﴾.

وقوله: (بالياء والتاء): يشير إلى قراءتين ﴿يَكُونُ﴾ و﴿تَكُونُ﴾^(١).

وقوله: (بالنصب...) إلى آخره: يبين أن في ﴿مَيْتَةً﴾ قراءتين بالنصب^(٢)

خبر لـ ﴿يَكُونُ﴾، وبالرفع فاعل ﴿يَكُونُ﴾ تامة أي: يوجد مائة^(٣).

وقوله: (سائلاً...) إلى آخره: تفسير ﴿مَسْفُوحًا﴾، وضد السائل الجامد،

ومثّل له المؤلف بالكبد والطحال.

وقوله: (حرام): تفسير ﴿رَجَسٌ﴾، وفي هذا التفسير نظر، فإن التحريم

مستفاد من الاستثناء، والرجس هو الخبيث النجس^(٤).

وقوله: (أي: ذبح على اسم غيره): يريد ما ذبح وذكر عليه غير اسم الله.

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٦).

(٢) تنظر المراجع السابقة.

تبييه: قراءة «أن يكون مَيْتَةً» قراءة غير منسوبة كما في تفسير القرطبي (٧/١٢٣)، ولعل المؤلف صادر عن تفسير الكواشي (٢/١٦٩)، والبيضاوي (٢/١٨٦)، ونسبها هذا الأخير لابن عامر وهو وهم أو تصحفت «التاء» إلى «الياء». وقال الصاوي: «فقول المفسر: (وفي قراءة بالرفع مع التحتانية) سبق قلم، والصواب: الفوقانية». حاشية الصاوي على الجلالين (٢/٤٩).

(٣) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٧١٠)، والدر المصون (٥/١٩٧)، وتقدم نحوها في (ص..).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٣٤٢).

وقوله: (إلى شيء مما ذكر فأكله): بيان لمتعلق الاضطرار، وهي المحرمات المذكورة.

وقوله: (له ما أكل): بيان لمتعلق المغفرة، وهو المضطر.

وقوله: (به): بيان لمتعلق الرحمة، وهو المضطر.

وقوله: (ويلحق...) إلى آخره: يبين أن التحريم ليس قاصراً على الأربعة المذكورة؛ بل يزداد عليها ما حرّمته السنة، ومنه ما ذكره المؤلف، كل ذي ناب من السباع، وذي مخلب من الطير^(١).

وقوله: (اليهود): تفسير ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾.

وقوله: (وهو ما لم تفرق أصابعه) أي: تنفرج أصابعه كالإبل والنعام والوز^(٢).

وقوله: (الثروب وشحم الكلى): بيان لنوع الشحوم المحرمة على اليهود.

وقوله: (أي: ما علق بها منه): يريد الشحوم التي علق بالظهور.

وقوله: (حملته): يبين أن ﴿أَوْ﴾ عاطفة لفعل تقديره: حملت معطوفاً على ﴿حَمَلَتْ﴾ الأولى.

وقوله: (الأمعاء): تفسير ﴿الْحَوَايَا﴾، والحوايا: جمع حاوياء أو حاوية

كما ذكر المؤلف^(٣).

وقوله: (منه...) إلى آخره: أي: من الشحوم، ومثّل له بالآلية لأنها

متصلة بالعُصْصِ.

وقوله: (التحريم): بيان لمرجع اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾.

وقوله: (به) أي: بذلك التحريم.

(١) أخرجه مسلم (١٩٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الوز: لغة في الإوز. ينظر: لسان العرب (٤٢٩/٥).

(٣) ينظر: تاج العروس (٥٠١/٣٧).



وقوله: (بسبب ظلمهم...) إلى آخره: تفسير ﴿يَبْعِيهِمْ﴾ أي: حرمنا ما حرمنا عليهم بسبب بغيهم كما تقدم في سورة النساء: ﴿فِيظَلِمِ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] الآية.

وقوله: (في أخبارنا ومواعيدنا): بيان لمتعلق الصدق الذي أثنى الله به على نفسه.



وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شُهَدَاءَ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ .

يأمر الله نبيه أن يقول للمكذبين من اليهود والمشركين مثنياً على الله ومهدداً لهم: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾، ثم أخبر تعالى بأن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريم ما حرموه؛ لأن ذلك بمشيئة الله، ولو شاء الله ما كان، وقد سمى الله ذلك تكذيباً؛ فقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾، لأنهم لم يريدوا بذلك الإقرار بعموم مشيئة الله؛ بل أرادوا بذلك رد دعوة الرسل وتكذيبهم فقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾: كلمة حق أريد بها باطل، وقد أخبر تعالى في سورة النحل أنهم قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥] مصداقاً لقوله هنا: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾^(١)، ثم أمر الله نبيه أن يطالبهم بإخراج ما لديهم من علم إن كان، ثم أخبر أنه ليس لديهم فيما قالوا إلا الظن والخرص، وأن الحجة البالغة لله، وأن مرد الأمر إلى الله، فلو شاء لهدى الناس جميعاً، ثم أمر الله نبيه أن يدعو المشركين ليأتوا بشهادتهم إن كان لديهم شهود، على أن ما حرمه قد حرمه الله، ثم قال الله لنبيه: ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٥٧-٣٥٨)، والتدمرية بشرح شيخنا (ص ٦٦٠).

وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾، فنهى الله عن اتباع أهواء المشركين الذين جمعوا بين التكذيبِ بآياتِ الله والتكذيبِ بالآخرة هذا وهم مشركون، فهذه ثلاث خصال من خصال المجرمين؛ التكذيب بآيات الله، والتكذيب بالآخرة، وأقبح هذه الخصال الشرك بالله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، كما قال في أول السورة: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام]، ومعنى ﴿يَعْدِلُونَ﴾ أي: يجعلون له عدلاً؛ أي: ندّاً يألوهونه من دون الله؛ أي: يعبدونه مع الله.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾، فيما جئت به، ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَّاسِعَةٍ﴾، حيث لم يعاجلكم بالعقوبة - وفيه تلطّف بدعائهم إلى الإيمان - ﴿وَلَا يَرُدُّ بِأَسْفِهِ﴾: عذابه إذا جاء ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ. سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَا آبَاؤُنَا، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾. فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راضٍ به. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾: كما كذب هؤلاء، ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلَهُمْ، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: عذابنا. ﴿قُلْ: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ بأنّ الله راضٍ بذلك، ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟﴾ أي: لا عِلْمَ عِنْدَكُمْ. ﴿إِنْ﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنْ﴾: ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه. ﴿قُلْ﴾: إن لم يكن حُجَّةٌ ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التامة. ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ. قُلْ: هَلُمَّ﴾: أَحْضِرُوا ﴿شُهَدَاءَ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ الذي حرّمتموه. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يُشْرِكُونَ.

وقول المؤلف: (فيما جئت به): بيان لمتعلق التكذيب.

وقوله: (لهم): بيان للمخاطبين بمقول القول.

وقوله: (حيث لم يعاجلكم...) إلى آخره: بيان لوجه تذكيرهم بسعة رحمة الله، وترغيب لهم في الدخول في الإسلام.

وقوله: (عذابه إذا جاء): تفسير «لا يرد بأسه»^(١).

وقوله: (نحن): توضيح للضمير المتصل بالضمير المنفصل.

وقوله: (فإشراكنا...) إلى آخره: بيان لمرادهم من قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، وهو أن الله راضٍ بشركهم وتحريمهم.

وقوله: (قال تعالى): يبين أن ﴿كَذَلِكَ﴾ استئناف من كلام الله^(٢).

وقوله: (كما كذب هؤلاء): تفسير ﴿كَذَلِكَ﴾.

وقوله: (رسلهم): بيان للمكذِّبين، وهم الرسل.

وقوله: (عذابنا): تفسير ﴿بِأَسَانَا﴾.

وقوله: (بأن الله راضٍ بذلك): بيان لمتعلق العلم المسؤول أن يُخرجوه إن كان عندهم.

وقوله: (لا علم عندكم): بيان للغرض من الاستفهام، وهو نفي أن يكون عندهم علم^(٣).

وقوله: (ما): تفسير ﴿إِنْ﴾ لبيان أنها نافية.

وقوله: (في ذلك): بيان لموضع اتباعهم، وهو قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾.

(١) ينظر: الوجوه والنظائر للدماغاني (ص ١٢٨)، ونزهة الأعين النواظر (ص ١٨٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/٦٥٠)، والبغوي (٣/٢٠١).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٤/٦٨٢)، والعذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢/٤٣٠).

وقوله: (ما): تفسير «إِنْ» كالتي قبلها.

وقوله: (تكذبون فيه): تفسير ﴿تَحْرُصُونَ﴾^(١) في قولكم ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾.

وقوله: (إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ حِجَّةٌ): تقدير لمقول القول المناسب لسياق الكلام^(٢).

وقوله: (التامة): تفسير ﴿الْبَلِغَةُ﴾^(٣).

وقوله: (هدايتكم): تقدير لمفعول ﴿شَاءَ﴾.

وقوله: (أحضرُوا): تفسير ﴿هَلُمُّوا﴾^(٤).

وقوله: (الذي حرمتموه): بيان لمرجع اسم الإشارة.

وقوله: (يشركون): تفسير ﴿يَعْدِلُونَ﴾؛ لأنَّ المشرك جعل لله عدلاً؛

أي: مثلاً.



(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٢٧٩)، والغريبين في القرآن والحديث (٢/ ٥٤٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٦٥٢)، وإعراب القرآن للدعاس (١/ ٣٤٣).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٠٢)، وابن كثير (٣/ ٣٥٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٦٥٤)، والمححر الوجيز (٣/ ٤٨٨).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُواً ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ .

يأمر الله نبيه أن يدعو الناس ليلبغهم وصايا ربهم أمراً أو نهياً، وقد تضمنت هذه الآيات الثلاث عشر وصايا؛ أولها النهي عن الشرك، ثم الأمر بالإحسان إلى الوالدين، ثم نهى عن قتل الأولاد خوف الفقر، وأخبر تعالى بأنه الذي يرزق الجميع؛ الآباء والأولاد، ثم نهى عن قربان الفواحش ما ظهر وما بطن، ونهى عن قتل النفس بغير حق، ونهى عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، وأمر بإيفاء الكيل والميزان، وأمر بالعدل في القول، وأمر بالوفاء بالعهد، وأمر باتباع صراط الله، ونهى عن اتباع السُّبُل، فهذه عشر وصايا؛ في الآية الأولى خمس، وفي الثانية أربع، وفي الثالثة واحدة جامعة. وكل ما نهى الله عنه في هذه الوصايا فهو من الكبائر، وأكبرها الشرك، وكل ما أمر الله به فهو من أوجب الواجبات، وكل أمرٍ بشيء فهو نهى عن ضده، وكل نهى عن شيء فهو أمر بضده^(١)، والوصية العاشرة وهي الأمر باتباع صراط الله متضمنة لكل الوصايا في الآية الأولى والثانية، ولكل ما وصَّى الله به في كتابه، وما

(١) ينظر: روضة الناظر (١/٢١٧)، ومذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للشنقيطي (ص ٣٥-٤٠).

وَصَّى بِهِ الرَّسُولُ ﷺ^(١)، وَكُلَّ مَا وَصَّى اللَّهُ بِهِ وَصَّى بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقْرَأِ آيَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

﴿قُلْ: تَعَالَوْا، أَتْلُ﴾: أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ، أَنْ﴾ - مفسرة -
 ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾،
 بِالْوَادِ، ﴿مِنْ﴾ أجل ﴿إِمْلَاقٍ﴾: فقير تخافونه - ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ -
 وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: الكبائر كالزنى، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، أَي: عَلاَنِتْهَا وَسِرَّهَا، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، كَالْقَوْدِ وَحَدِّ الرَّدَّةِ وَرَجْمِ الْمُحْصَنِ - ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تتدبرون - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أَي: بِالْحَصَلَةِ الَّتِي
 ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾، وَهِيَ مَا فِيهِ صِلَاؤُهُ، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بِأَنْ يَحْتَلِمَ،
 ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بِالْعَدْلِ وَتَرْكِ الْبَخْسِ - ﴿لَا نُكَلِّفُ
 نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طَاقَتَهَا فِي ذَلِكَ. فَإِنْ أَخْطَأَ فِي الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 صِحَّةَ نَيْتِهِ، فَلَا مُؤَاخَذَةَ عَلَيْهِ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ - ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ فِي حُكْمِ
 أَوْ غَيْرِهِ ﴿فَاعْدِلُوا﴾ بِالصِّدْقِ، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ الْمَقُولُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ ﴿ذَا قُرْبَى﴾:
 قَرَابَةٍ، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا. ذَلِكَ وَصَّاكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، بِالتَّشْدِيدِ:
 تَتَعَطَّوْنَ، وَالسُّكُونِ. ﴿وَأَنَّ﴾ - بِالْفَتْحِ عَلَى تَقْدِيرِ اللامِ، وَالْكَسْرِ اسْتِثْنَاءً -
 ﴿هَذَا﴾ الَّذِي وَصَّيْتُمْ بِهِ ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾: حَالٌ. ﴿فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا

(١) ينظر: قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة (ص ٨١)، وبدائع الفوائد (٢/ ٤٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠)، والطبراني في الأوسط (١١٨٦) بنحوه، قال الدارقطني: «تفرد به داود بن يزيد الأودي عن الشعبي، وتفرد به محمد بن فضيل عنه.» أطراف الغرائب والأفراد (٤/ ١١٨، رقم ٣٧٦٦). وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي: «ضعيف الإسناد».

تَبِعُوا السَّبِيلَ: الطَّرْقُ الْمُخَالَفَةُ لَهُ ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ - فيه حذف إحدى التائين -
 تَمِيلَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ: دِينِهِ. ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقول المؤلف: (أقرأ): تفسير ﴿أَتْلُ﴾.

وقوله: (مفسرة): بيان لما تفيده «أن» التي قبل «لا»؛ فإنها مفسرة لفعل ﴿حَرَّمَ﴾^(١)؛ لأن ما بعدها وهو الشرك هو المقصود الأعظم بالتحريم في هذه الجملة.

وقوله: («و» أحسنوا): يبين أن الواو عاطفة لفعل أمرٍ مقدّرٍ مناسبٍ لما بعده معطوف على «لا تشركوا به شيئاً»^(٢).

وقوله: (بالوآد): بيان لطريقة أهل الجاهلية في قتل الأولاد سيّما البنات، وذلك أنهم يدسّونها في التراب حيّة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير]، وقوله عمّن بُشّر بأنثى: ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكَبُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٩].

وقوله: (أجل): يبين أن ﴿مِنْ﴾ سببية أو تعليلية^(٣).

وقوله: (فقر): تفسير ﴿إِمْلَقٍ﴾^(٤).

وقوله: (تخافونه): غير مناسب في هذه الآية؛ لأن الإملاق في هذه الآية هو الواقع لا المتوقع، فالإملاق المتوقع المخوف ذكر في آية «الإسراء» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]^(٥).

- (١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧١٨/٢)، والدر المصون (٢١٣/٥).
- (٢) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧١٩/٢)، والمححر الوجيز (٤٩٠/٣).
- (٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (٥٤٨/١)، والدر المصون (٢١٨/٥).
- (٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦٣)، وللسجستاني (ص ١٠٣).
- (٥) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (١٧٢/١)، والبحر المحيط (٦٨٧/٤).

وقوله: (الكبائر كالزنى): تفسير ﴿الْفَوَاحِش﴾.

وقوله: (علانيتها وسرّها): علانية تفسير ﴿مَا ظَهَرَ﴾، وسرّها: تفسير «ما بطن».

وقوله: (كالقود...) إلى آخره: بيان لأنواع القتل بحق، والمراد بالقود: القصاص^(١).

وقوله: (المذكور): بيان لمرجع اسم الإشارة، وهو ما تقدم في الآية من الأوامر والنواهي.

وقوله: (تندبرون) تفسير: ﴿تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله: (أي: بالخصلة التي): يبين أن الاسم الموصول «التي» صفة لموصوف مقدر^(٢).

وقوله: (وهي ما فيه صلاحه): يريد ما فيه مصلحة لليتيم.

وقوله: (بأن يحتلم): تفسير لبلوغ الأشد، وهو البلوغ بأي أمانة من أمارات البلوغ^(٣)؛ وأهمها الاحتلام؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦]؛ لأن الاحتلام يشعر بالاستعداد للنكاح.

وقوله: (بالعدل وترك البخس): تفسير قوله تعالى: ﴿بِالْقِسْطِ﴾^(٤).

وقوله: (طاقتها في ذلك...) إلى آخره: بيان لمعنى «الوسع» وهو الطاقة، وبيان لتعلق هذه الجملة بما قبلها كما أوضحه المؤلف. وقوله: (كما ورد في

(١) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص ٤٣٤).

(٢) ينظر: الدر المصون (٥/ ٢٢٠)، وإعراب القرآن وبيانه لدرويش (٣/ ٢٧٧).

(٣) قاله ربيعة والشعبي، ومالك، وغير واحد من السلف. ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٦٦٤)، وزاد المسير (٢/ ٩٢)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٤).

(٤) تنظر: (ص ٣٦).

حديث): يُشير إلى حديثٍ ورد بهذا المعنى^(١) رواه ابن مردويه^(٢) عن سعيد بن المسيب، وذكره ابن كثير، وقال: إنه مرسل غريب^(٣).

وقوله: (في حكم أو غيره): بيان لمتعلق القول الذي أمر الله بالعدل فيه.

وقوله: (بالصدق): بيان لما يكون به العدل.

وقوله: (المقول له أو عليه): تقدير لاسم «كان».

وقوله: (قراءة): تفسير ﴿قُرَيْئًا﴾، ولكن «قربى» أقوى من «قراءة».

وقوله: (تعظون): تفسير «تذكرون» بالتشديد أو التخفيف^(٤).

وقوله: (والسكون): صوابه «والتخفيف» والمعنى أن فيها قراءتين بتشديد الذال «تَدَكَّرُونَ»، وتخفيفها مفتوحة ﴿تَدَكَّرُونَ﴾^(٥).

وقوله: (بالفتح...): إلى آخره: يشير إلى القراءتين في همزة «أَنَّ»^(٦)؛ بالفتح، وتكون الجملة تعليلية، وبالكسر وتكون الجملة مستأنفة^(٧).

- (١) ولفظه: «من أوفى على يده في الكيل والميزان، والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما، لم يؤاخذ وذلك تأويل: ﴿وَسَعَهَا﴾».
- (٢) ابن مردويه: أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، الحافظ الكبير، الثبت العلامة، صاحب «التفسير» و«التاريخ» وغير ذلك، ولد سنة (٣٢٣)، ومات لست بقين من رمضان سنة (٤١٠). ينظر: طبقات المفسرين للدودي (١/ ٩٤ رقم ٨٧)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٨ رقم ١٨٨).
- وكتابه التفسير سماه الذهبي بـ «التفسير الكبير»، وأنه في «سبع مجلدات»، ولا نعلمه مطبوعاً. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٨)، (١٧/ ٣١٠).
- (٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٤). وعزه أيضاً لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٨٤)، وقال في الإتقان في علوم القرآن (٦/ ٢٣٦٦): «بسند ضعيف من مرسل سعيد بن المسيب».
- (٤) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٦).
- (٥) ينظر: حاشية الصاوي على الجلالين (٢/ ٥٣).
- (٦) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٦).
- (٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٤٩)، والبحر المحيط (٤/ ٦٩١).

وقوله: (الذي وصيتكم به): بيان لمرجع اسم الإشارة، وهو ما تقدم في الآيتين.

وقوله: (حال): بيان لوجه النصب في ﴿مُسْتَقِيمًا﴾^(١).

وقوله: (الطرق المخالفة له): تفسير ﴿السُّبُلَ﴾ المنهي عن اتباعها.

وقوله: (فيه حذف إحدى التاءين): يبين أن أصل الكلمة «تتفرق».

وقوله: (تميل): تفسير «تفرَّق»^(٢).

وقوله: (دينه): تفسير ﴿سَبِيلِهِ﴾، فَإِنَّ سَبِيلَ اللَّهِ هُوَ دِينَ الْإِسْلَامِ^(٣).



(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥٤٩)، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧٢٣/٢).

(٢) نسبة الواحدي لمجاهد. ينظر: التفسير البسيط (٨/٥٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٩/٦٧١).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْنا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَأَسْتَمُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ .

يُخبر تعالى أنه أتى موسى الكتاب، وهو التوراة، إتماماً لنعمته عليه على إحسانه في تبليغ رسالة الله، وجهاده لفرعون وملئه، و﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف يفيد التراخي؛ أي: تراخي ما بعدها عما قبلها، إمّا في الزمان أو الرتبة، وهو المناسب هنا، فإن الكتاب الذي آتاه الله موسى دون الكتاب الذي آتاه محمداً ﷺ، وتقدير الكلام على ما قال ابن جرير^(١): ثم قل يا محمد مُخبراً عن الله: آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن، وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة؛ فالمعطوف عليه ب﴿ثُمَّ﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّرَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وتقدير المعطوف: ثم قل: وآتينا موسى الكتاب؛ فهو عطف فعل أمر من القول على مثله «قل ثم قل»، وهذا العطف متضمن لعطف خبر على خبر؛ لأن قوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ خبرٌ عما أتى الله موسى من الكتاب.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/٦٧٣).

وقوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرًا عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إخبارٌ من الله بما حرم على الناس، لا ما حرم الناس بأهوائهم افتراءً على الله. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ بيانٌ للحكمة من إيتاء موسى الكتاب، فـ«لعل» للتعليل^(١) لا للترجي، خلافاً لمن توهم ذلك^(٢) لأنها مسبوقة بفعل الله، وهو إيتاء موسى الكتاب، ولقاء الله هو الحضور عنده يوم القيامة، فينبئ العباد بأعمالهم، ويحاسبهم ويجزيهم بها، ثم أخبر تعالى أنه أنزل هذا الكتاب - القرآن -، وأخبر أنه مبارك؛ أي: جعل فيه خيراً كثيراً ومنافع لمن آمن به وعمل بما فيه، ثم أمر باتباعه، وهو امتثال أوامره ونواهيه بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، وأمر بتقواه؛ فقال: ﴿وَاتَّقُوا﴾ أي: اتقوا الله أن تأتوا ما حرم عليكم. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ أي: راجين رحمته؛ فـ«لعل» للرجاء خلاف التي قبلها لأنها مسبوقة بفعل العباد، وهو الاتباع والتقوى. وقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ تعليل لإنزال الكتاب؛ أي: أنزلناه لئلا تقولوا معتذرين يوم القيامة أو إذا جاء العذاب: ما جاءنا من نذير، وما أنزل علينا من كتاب، إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وهم اليهود والنصارى، أنزل عليهم التوراة والإنجيل. وقوله عنهم: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ أي: إن كنا عن دراستهم؛ أي: دراسة كتابهم لأنه بلسان غير لساننا، و«إن» هي المخففة من الثقيلة فأصلها «إن»، ومن قال إنها نافية فقد أخطأ^(٣)؛ لاقتران اللام بالخبر في قوله: ﴿لَغَافِلِينَ﴾، فإنها الفارقة بين المخففة والنافية، فتأتي بعد المخففة دون النافية^(٤). وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ عطف على

(١) ينظر: شفاء العليل (١٢٧/٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤٩٦/٣)، والتحرير والتنوير (١٧٧/٨).

(٣) وهو مذهب الكوفيين، فالمعنى: «وما كنا إلا غافلين عن تلاوة كتبهم»، وهو قول الزجاج.

ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٠٧/٢)، والبحر المحييط (٦٩٦/٤).

(٤) ينظر: الكشاف (٤١٤/٢)، والدر المصون (٢٣٠/٥).

﴿أَوْتَقُولُوا﴾ الأولى، وهذا قول آخر يعتذرون به، فقد يقولون هذا أو هذا. وقولهم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ يريدون: لو أنزل علينا الكتاب كما أنزل على الطائفتين لكنا أهدى منهم؛ أي: أسبق إلى الإيمان بالكتاب، وأقوم به منهم وقد كذبوا، فقد أنزل الله عليهم الكتاب فما آمنوا، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ [فاطر]. وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ رد على المشركين في قولهم: ﴿لَوْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، والبينة هو القرآن الذي أنزله الله، فالبينة والرحمة التي جاءتهم هي الكتاب الذي أنزله الله على نبيه، فقد أنزل الله عليهم الكتاب ولكنهم كذبوا بآيات الله، وصدوا الناس عن الإيمان بها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بَيِّنَاتٍ لِّلَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي: صد عنها^(١)؛ فجمعوا بين التكذيب، وصد غيرهم عن الإيمان بها^(٢). وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم. وقوله تعالى: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ تهديد ووعيد شديد بما يسوؤهم من العذاب بسبب صددهم عن آيات الله تكذيباً بها، وصددهم غيرهم عن الإيمان بها، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء الكفار والمشركين لا ينتظرون إلا أحد ثلاثة أمور: أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو بعذاب من الله، أو يأتيهم الله للفصل بين العباد وجزائهم بأعمالهم، أو تأتي بعض آيات الله، وهي أشراط الساعة؛ كالدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها. وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ المراد بـ «البعض» طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت آمن كل من على الأرض؛ كما

(١) قاله السدي، وقواه واستظهره ابن كثير. ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ١١)، وابن كثير (٣/ ٣٧٠-٣٧١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٧).

ثبت في الحديث الصحيح^(١)، وفي ذلك اليوم لا ينفع نفس إيمانها إذا لم تكن آمنت من قبل، ولا ينفعها عملٌ صالحٌ تُحدِثه في ذلك اليوم، ولا تُقبل منها توبة من ذنوب سلفت، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾، ثم أمر الله نبيه أن يقول للكفار: ﴿أَنْتَظِرُوا﴾؛ أي: وعد الله، ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾، ونحن به مؤمنون، وأنتم به كافرون.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي: طوائف^(٢)، ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تُرِيبُنِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣) وعيد للمشركين الذين اتخذت كل طائفة منهم معبودًا من دون الله، وكان ذلك دينهم. وقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت بريء منهم، ولست مسؤولًا عنهم، وليس إليك من أمرهم شيء؛ بل أمرهم إلى الله يُحصي أعمالهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون، ويحاسبهم ويجزيهم بها، ويشهد لتفسير الآية بالمشركين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون^(٥) [الروم]، والآية تشمل طوائف المبتدعة من المسلمين، فإن كل طائفة تزعم أن ما هي عليه هو الحق الموافق لما جاء به الرسول فهو من الدين، وتنكر المذاهب المخالفة لها، ولهذا فسّر كثير من السلف الآية بالمبتدعة^(٦)، والآية شاملة للمشركين والمبتدعين^(٧)، ثم أخبر تعالى عن سنته في الجزاء على الأعمال، وأنه دائر بين الفضل والعدل فيجزي بالحسنة عشر أمثالها، ويجزي السيئة بمثلها؛ فقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا

(١) سيذكره شيخنا حَفِظَهُ اللهُ فِي التَّعْلِيقِ.

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦٤)، وللسجستاني (ص ٢٩٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣٣/١٠)، (٣٤-٣٥/١٠)، والدر المثور (٤٠٢/٣) وما بعدها.

(٤) وهو اختيار الطبري وابن كثير. ينظر: تفسير الطبري (٣٣-٣٤/١٠)، وابن كثير (٣٧٧/٣).

يُجْزَى إِلَّا امْتَلَاهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾. وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ بنقص الحسنات أو زيادة السيئات.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة - وثم: لترتيب الأخبار - ﴿تَمَامًا﴾
للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به، ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾
يحتاج إليه في الدين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً، لَعَلَّهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿وَهَذَا الْقُرْآنُ﴾ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾
- فَاتَّبِعُوهُ، يا أهل مكة، بالعمل بما فيه. ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكُفْرَ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ - أنزلناه لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾: إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ: ﴿الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى﴾ ﴿مِنْ قَبْلِنَا، وَإِنْ﴾: مُخَفَّفَةً وَاسْمَهَا مَحْذُوفٌ أَي: إِنَّا ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم ﴿لِعَافِلِينَ﴾، لعدم معرفتنا لها، إذ ليست بلغتنا.
﴿أَوْ تَقُولُوا﴾: لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ، لجودة أذهاننا.
﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾: بيان ﴿مِنْ رَبِّكُمْ، وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعه. ﴿فَمَنْ﴾
أَي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَصَدَفَ﴾: أعرض ﴿عَنْهَا؟﴾
سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ، أَي: أشدّه، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظر المكذبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ - بالتاء والياء - ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ أَي: أمره بمعنى: عذابه، ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أَي: علامات الدلالة على الساعة؟ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ - وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين - ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ - الجملة: صفة «نفس» - ﴿أَوْ﴾ ﴿نَفْسًا لَمْ تَكُنْ﴾ ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾: طاعة، أَي: لا تنفعها توبتها، كما في الحديث. ﴿قُلْ: انْتَظِرُوا﴾ أحد هذه الأشياء. ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه، فأخذوا بعضه

وتركوا بعضه، ﴿وَكَانُوا شَيْعًا﴾: فَرَقًا فِي ذَلِكَ - وفي قراءة «فَارَقُوا» أي: تركوا دينهم الذي أمروا به. وهم اليهود والنصارى - ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. فلا تتعرض لهم. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، فيجازيهم به. وهذا منسوخ بآية السيف. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي «لا إله إلا الله» ﴿فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنات، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه، ﴿وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ﴾: يُنْقِصُونَ مِنْ جَزَائِهِمْ شَيْئًا.

وقول المؤلف: (التوراة): تفسير ﴿الْكِتَابِ﴾.

وقوله: (لترتيب الإخبار): يريد أن الإخبار بإيتاء موسى الكتاب بعد الإخبار بتحريم المحرمات في القرآن؛ لأن إيتاء موسى الكتاب قبل إنزال القرآن^(١).

وقوله: (للنعمة): يبين أن إنزال الكتاب من تمام النعمة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله: (بالقيام به): يريد القيام بالكتاب، وهو العمل به، وهذا تفسير غير مناسب لدلالة هذا التركيب؛ فإن تركيب الكلام يدل على أن الإحسان قبل إنزال الكتاب، وهو ما قام به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الدعوة إلى الله، وصبره على تهديد فرعون، وهذا كله قبل إنزال التوراة، وهذا ما اختاره ابن جرير في تأويل قوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾^(٢).

(١) ينظر: التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي (٦/٢٥٩)، والبحر المحيط (٤/٦٩٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/٦٧٧-٦٧٨).

وقوله: (بيانا): تفسير «تفصيلاً»؛ فالتفصيل ضد الإجمال؛ فالكلام المفصّل هو المبين خلاف المجمل.

وقوله: (يحتاج إليه في الدين): بيان لمتعلق العموم المفهوم من «كل».

وقوله: (أي: بني إسرائيل): بيان للمراد بالضمير المنصوب اسم «لعل».

وقوله: (بالبعث) أي: يوم القيامة بيان لوقت لقاء الله.

وقوله: (القرآن): بيان للمراد من اسم الإشارة.

وقوله: (يا أهل مكة بالعمل بما فيه): بيان للمخاطبين بالأمر بالاتباع،

وهم المشركون بمكة، وبيان لما يكون به الاتباع، وهو العمل بالقرآن.

وقوله: (الكفر): بيان لأعظم ما يجب اتقاؤه من الأعمال.

وقوله: (أنزلناه لـ «أن» لا): يبين أن جملة ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ على تقدير لام

التعليل ولا النافية؛ فالمعنى: لأن لا تقولوا، وهو تعليل لإنزال الكتاب، ومعنى

الكلام: أن الله أنزل الكتاب - القرآن - لئلا يحتج المشركون فيقولوا ما جاءنا

من نذيرٍ ولا أنزل علينا كتاب.

وقوله: (اليهود والنصارى): تفسير الطائفتين؛ لأن اليهود أنزل الله عليهم

التوراة التي جاء بها موسى، والنصارى أنزل عليهم الإنجيل الذي جاء به عيسى.

وقوله: (مخففة...) إلى آخره: يبين نوع «إن» بأنها المخففة التي أصلها

«إِنَّ» مشددة، واسمها محذوف فيكون أصل الجملة «وإننا كنا عن

دراستهم لغافلين».

وقوله: (قراءتهم): تفسير «دراسة» أي: عن قراءة كتابهم.

وقوله: (لعدم معرفتنا لها، إذ ليست بلغتنا): بيان لسبب غفلتهم عن دراسة

كتابهم؛ لأنه بلسان غير لسانهم.

وقوله: (لجودة أذهاننا): بيان لسبب تفضيلهم أنفسهم في الهداية على

أهل الكتاب.

وقوله: (بيان): تفسير ﴿بَيِّنَةٌ﴾ وهو القرآن.
 وقوله: (لمن اتبعه): بيان لمن يستحق الهدى والرحمة التي في القرآن.
 وقوله: (أي: لا أحد): يبين أن الاستفهام إنكاريٌّ يفيد النفي، ولذا فسره
 بقوله: «لا أحد»^(١).

وقوله: (أعرض): تفسير «صَدَفَ».
 وقوله: (أشده) أي: أشد العذاب، وهو معنى ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾؛ أي: أسوأه.
 وقوله: (ما ينتظر المكذبون): تفسير ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ فلا استفهام بمعنى
 «ما» النافية، وينظرون بمعنى: ينتظرون.

وقوله: (بالتاء والياء): إشارة إلى القراءتين ﴿تَأْتِيَهُمْ﴾ و﴿يَأْتِيَهُمْ﴾^(٢).
 وقوله: (لقبض أرواحهم): بيان للمقصود من إتيان الملائكة.
 وقوله: (أي: أمره، بمعنى: عذابه): هذا تأويل؛ بل تحريف، فالإتيان في
 الآية خبر عن الله بأنه يأتي، وصرفه المؤلف بأنه خبر عن أمر الله وعذابه؛ لأنَّ
 الإتيان عند المؤلف يمتنع أن يكون من الله^(٣)؛ لأنَّ الله عند الأشاعرة يمتنع أن
 تقوم به الأفعال الاختيارية، وهذا خلاف مذهب أهل السنة^(٤)، فالله تعالى يفعل
 ما يشاء، ومن أفعاله مجيؤه يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]،
 والإتيان والمجيء معناهما واحد^(٥).

وقوله: (أي: علاماته الدالة على الساعة؟): بيان للمراد بالآيات التي
 ينتظر إتيانها، وهي أشراط الساعة.

- (١) ينظر: التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي (٦/٢٦٣)، والتحرير والتنوير (٨/١٨٢).
- (٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٢٠٥)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٦٦).
- (٣) تقدم نحو هذا التحريف. ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين (١/٤٤٠).
- (٤) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/٣) وما بعدها، ومجموع الفتاوى (٦/٢١٧).
- (٥) وقد أبطل ابن القيم حجج من حَرَّفَ صفة المجيء والإتيان، وفسرها بمجيء أمره من عشرة أوجه. ينظر: مختصر الصواعق المرسله (٣/٨٥٦).

وقوله: (وهي طلوع الشمس من مغربها): بيان للمراد ببعض الآيات، وأنه طلوع الشمس من مغربها.

وقوله: (كما في حديث الصحيحين): يشير إلى الحديث الثابت في الصحيحين؛ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا طلعت الشمس من مغربها آمن من عليها» أي: من على الأرض؛ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(١).

وقوله: (الجملة: صفة «نفس»): يريد قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل طلوع الشمس من مغربها؛ فلا ينفعها إيمانها يوم طلعت الشمس من مغربها^(٢).

وقوله: (نفساً لم تكن): المعنى كذلك لا ينفع نفساً ما تكسبه من الخير في ذلك اليوم إذا لم تكن كسبته قبل ذلك، ومن ذلك ما يحدثه العاصي من التوبة في ذلك اليوم فإنها لا تنفعه.

وقوله: (كما في الحديث): يشير إلى قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٣)، وقد أورد ابن كثير عند هذه الآية كثيراً من الأحاديث الواردة في شأن طلوع الشمس من مغربها^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٥) - والسياق له -، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

(٢) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٧٢٩/٢)، والدر المصون (٥/٢٣٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٧١-٣٧٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٦٩٠٦)، وأبو داود (٢٤٧٩) - واللفظ لهما -، والنسائي في الكبرى (٨٦٥٨) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٠٨).

وقوله: (أحد هذه الأشياء) أي: الثلاثة المذكورة في أول الآية، وفي قوله: ﴿أَنْتَظِرُوا﴾ تهديد، والمؤمنون كذلك ينتظرون هذه الثلاثة، لكن المؤمنين ينتظرونها مؤمنين بها، والكفار ينتظرونها بلسان حالهم لا بإيمانهم. وقوله: (باختلافهم فيه...) إلى آخره: بيان لسبب تفرقهم في دينهم، وصفة تفرقهم.

وقوله: (فرقا): تفسير ﴿شِيْعًا﴾^(١).

وقوله: (وفي قراءة «فارقوا»): بألف وتخفيف الراء؛ أي: تركوا دينهم، وقرأ بهذه القراءة من السبعة حمزة والكسائي، ورويت عن علي رضي الله عنه، والقراءة الأولى بتشديد الراء بلا ألف هي قراءة الجمهور، واختارها ابن جرير، ورواها عن ابن مسعود رضي الله عنه^(٢).

وقوله: (وهم اليهود والنصارى): الصواب أن الآية لا تختص بهم؛ بل تعم المشركين كما في نظيرتها من سورة الروم. وقوله: (فلا تتعرض لهم) أي: بأذى أو قتال. وقوله: (يتولاه) أي: الله يتولى أمرهم، يعاقبهم أو يمهلهم لأن أمرهم إليه وحده، وليس للرسول من أمرهم شيء.

وقوله: (في الآخرة): بيان لوقت إنبائهم لأعمالهم وحسابهم. وقوله: (فيجازيهم به): بيان لعاقبة الحساب، وهو الجزاء.

وقوله: (وهذا منسوخ بآية السيف): يريد قوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ فإنه يتضمن الأمر بالكف عنهم^(٣).

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦٤)، وللسجستاني (ص ٢٩٢).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات (ص ٢٧٤)، وتفسير الطبري (١٠/٢٩-٣١).

(٣) وهذا قول السدي، واختار الطبري أنها غير منسوخة. ينظر: نواسخ القرآن (ص ١٤٤)، وتفسير الطبري (١٠/٣٤-٣٦).

وقوله: (أي: «لا إله إلا الله»): بيان للمراد ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ أنها التوحيد، فإنَّ التوحيد أعظم الحسنات.

وقوله: (أي: جزاء عشر حسنات): يبين أنَّ المراد أنَّ الحسنة تضاعف عشرًا فيثاب ثواب عشر حسنات.

وقوله: (أي: جزاءه): الصواب إعادة الضمير إلى السيئة، فيقال: إلا جزاءها؛ أي: السيئة الواحدة، وكان اللائق أن يفسر السيئة بالشرك كما فسّر الحسنة بالتوحيد، وقيل بالعموم في الحسنة والسيئة، وهو أظهر^(١).

وقوله: (ينقصون من جزائهم شيئًا): تفسير للظلم، وما ذكره يختص بجزاء الحسنات، والصواب أنهم لا يظلمون بنقص ولا زيادة^(٢).



(١) واستظهره أيضًا: ابن عطية وأبو حيان، وقال الرازي: «يجب أن يكون محمولاً على العموم». ينظر: المحرر الوجيز (٣/٥٠٣)، وتفسير الرازي (١٣/٤٨٩)، والبحر المحيط (٧٠٢/٤).

(٢) ينظر: حاشية الصاوي على الجلالين (٥٦/٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيَبْتَلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام].

يأمر الله نبيه أن يقول للمشركين، ولغيرهم: ﴿إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بما أوحى إليّ، والصراط هو دين الإسلام، ولهذا فسره؛ بقوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ أي: قِيَمًا^(١) ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، ثم أمره أن يقول ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤) يعني: أمرني ربي بإخلاص عملي كله لله، ومن ذلك الصلاة والنسك، وهو الذبح^(٥). وقوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: أجعل حياتي كلها عامرة بطاعة الله، وأجعل موتي في سبيل الله، ولا أشرك به شيئاً. وقوله: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: أمرني ربي بكل ذلك. وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قيل معناه: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة^(٦)، وقيل: أول السابقين إلى الإسلام^(٧)، ثم أمر الله نبيه أن يقول للمشركين ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ أي: لا أبغي رباً غير الله؛ لأن الاستفهام إنكار يفيده النفي^(٨). وقوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فربوبيته

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. ينظر: السبعة في القراءات (ص ٢٧٤)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٧).

(٢) وبعضهم قيدها بالذباح في الحج والعمرة، كما سيأتي في التعليق. ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٦-٤٨)، والتفسير البسيط (٨/ ٥٦١).

(٣) ولم يذكر الطبري غير هذا القول. ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٨).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/ ٢٠٧)، والتحرير والتنوير (٨/ ٢٠٤).

(٥) ينظر: التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي (٦/ ٢٧٤)، والكشاف (٢/ ٤١٩).

تعالى خاصة وعامة؛ فالخاصة لأنبيائه وأوليائه، والعامة لسائر المخلوقات^(١). وقوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا تجني نفسُ جناية إلا عليها، فلا يجني أحد على غيره، ولا يعمل إلا لنفسه. وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ يعني: لا يحمل أحد وزر غيره. وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: بعد هذه الدنيا - دار العمل - ترجعون إلى الله يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يخبركم ربكم بما كنتم فيه تختلفون، ويحكم بينكم فيتميز المحق من المبطل، ويجزي المحسن بالثواب، والمسيء بالعقاب. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْفَ الْأَرْضِ﴾ أي: الله هو الذي خلقكم وجعلكم أمماً وأجيالاً، كلما ذهب أمة أنشأ الله بعدها أمة تخلفها، وكلما انقضى جيل أنشأ الله جيلاً يخلف الذي قبله^(٢)، وفضل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليبليهم فيما آتاهم من الأموال والأولاد والحظوظ، ليبين الشاكر من الكافر، والساخط من الصابر. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ أي: لمن استحق العقاب، ﴿وَأَنَّهُ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب إليه وأناب.

﴿قُلْ: إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، ويبدل من محله ﴿دِينًا قِيمًا﴾: مستقيماً، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. قُلْ: إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي: عبادتي من حجٍّ وغيره، ﴿وَمَحْيَايَ﴾: حياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾: موتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لا شريك له ﴿فِي ذَلِكَ﴾. ﴿وَبِذَلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُمِرْتُ﴾، وأنا أول المسلمين من هذه الأمة. ﴿قُلْ: أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا﴾: إلهاً؟ أي: لا أطلب غيره، ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾: مالك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾، ولا تكسب كل نفس ذنباً ﴿إِلَّا عَلَيْهَا، وَلَا تَزِرُ﴾: تحمل نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: آئمة

(١) ينظر: التوضيحات الجليلة في شرح الفتوى الحموية لشيخنا (ص ٦٠٣-٦٠٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥٠/١٠)، وابن أبي حاتم (٥/١٤٣٥).

﴿وَزَرَّ﴾ نفس ﴿أُخْرَى، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ، فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾: جمع خليفة، أي: يخلف بعضكم بعضاً فيها، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: بالمال والجاه وغير ذلك، ﴿لِيَلْبُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾: أعطاكم، ليظهر المطيع منكم والعاصي. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: لمن عصاه، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

وقول المؤلف: (ويبدل من محله) أي: محل ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾، فإنَّ محله النصب؛ لأنه المفعول الثاني لـ ﴿هَدَيْنِ﴾، و﴿دِينًا﴾: بدل منه، و﴿قِيَمًا﴾: صفة لدين^(١).

وقوله: (مستقيماً): تفسير ﴿قِيَمًا﴾^(٢).

وقوله: (عبادتي من حج وغيره) بيان لمقصود الآية إجمالاً، ومناسبة ذكره للحج ذكر النُّسك في الآية، فإنَّ أعمال الحج تُسمى مناسك وأنسك، والمعروف عند المفسرين أنَّ النُّسك في الآية هو ما يُذبح تقرباً به إلى الله في حج أو غيره^(٣).

وقوله: (حياتي): تفسير «المحيي»، ولكنه تفسير غير مطابق؛ فالحياة معروفة بأنها ضد الموت، والمحيي مدة الحياة.

وقوله: (موتي): تفسير «مماتي».

(١) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٧٣٣)، والدر المصون (٥/٢٣٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش (١/٣١٨)، وتفسير الطبري (١٠/٤٤).

(٣) نسبه الواحدي وأبو حيان لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ورواه الطبري عن ابن جبير وقتادة وغيرهم. ينظر: تفسير الطبري (١٠/٤٧-٤٨)، والتفسير البسيط (٨/٥٦١)، والبحر المحيط (٤/٧٠٣).

- وقوله: (في ذلك): يريد الأمور الأربعة المتقدمة في الآية.
- وقوله: (أي: التوحيد): بيان للمراد بالإشارة.
- وقوله: (من هذه الأمة): بيان لنسبة الأولية.
- وقوله: (إلهًا؟): تفسير ﴿رَبًّا﴾، ومن معاني الرب الإله؛ إلا أنه إذا اقترن بالإله فإنه يكون بمعنى المالك والمنعم^(١).
- وقوله: (أي: لا أطلب غيره): يتضمن أن الاستفهام إنكاري يفيد النفي، ومعنى: ﴿أَنْبِي﴾ أطلب^(٢)، ولذا فسّر الجملة بقوله: «لا أطلب».
- وقوله: (مالك): تفسير ﴿رَبُّ﴾.
- وقوله: (ذنبًا): تقدير مفعول ﴿تَكْسِبُ﴾.
- وقوله: (تحمل): تفسير ﴿تَزِرُ﴾.
- وقوله: (نفس): فاعل ﴿تَزِرُ﴾.
- وقوله: (آثمة): تفسير ﴿وَازِرَةٌ﴾، ولو قال: «حاملة ذنبًا» كان أولى ليناسب ما قبله.
- وقوله: (نفس): يبين أن ﴿أُخْرَى﴾ صفة لموصوف تقديره «نفس»، فمعنى الكلام: لا تحمل نفسٌ ذنبَ نفسٍ أُخرى^(٣).
- وقوله: (يخلف بعضكم بعضًا فيها): تفسير ﴿خَلِيفٌ﴾، و«فيها» أي: في الأرض.
- وقوله: (بالمال والجاه وغير ذلك): بيان لما تكون به الدرجات.
- وقوله: (ليختبركم): تفسير ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾.

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٩/٢)، والرسائل الشخصية للإمام محمد بن عبد الوهاب ضمن مؤلفاته (١٧/٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٤٨/١٠)، والمحرر الوجيز (٥٠٧/٣).

(٣) ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٣٥٠/٤)، والتحرير والتنوير (٢٠٧/أ٨).



وقوله: (أعطاكم): تفسير ﴿ءَاتَاكُمْ﴾.

وقوله: (ليظهر المطيع منكم والعاصي): بيان لحكمة الابتلاء.

وقوله: (لمن عصاه): بيان لمتعلق العقاب.

وقوله: (للمؤمنين): بيان لمتعلق المغفرة والرحمة.

آخر تفسير سورة الأنعام، وبهذا ينتهي المجلد الثالث، وذلك في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة من عام خمسة وأربعين وأربع مئة بعد الألف.



الفهرس التفصيلي

تفسير سورة المائة

٥.....	تفسير الآيتين (١-٢).....
١٥.....	تفسير الآيتين (٣-٤).....
٢٣.....	تفسير الآية (٥).....
٢٦.....	تفسير الآيتين (٦-٧).....
٣٥.....	تفسير الآيات (٨-١١).....
٣٨.....	تفسير الآيات (١٢-١٤).....
٤٥.....	تفسير الآيات (١٥-١٩).....
٥٣.....	تفسير الآيات (٢٠-٢٦).....
٦١.....	تفسير الآيات (٢٧-٣٢).....
٦٩.....	تفسير الآيتين (٣٣-٣٤).....
٧٤.....	تفسير الآيات (٣٥-٤٠).....
٧٩.....	تفسير الآيات (٤١-٤٤).....
٩٠.....	تفسير الآيات (٤٥-٥٠).....
١٠١.....	تفسير الآيات (٥١-٥٨).....
١١١.....	تفسير الآيات (٥٩-٦٣).....



١١٧.....	تفسير الآيات (٦٤-٦٦)
١٢٢.....	تفسير الآيات (٦٧-٧١)
١٢٩.....	تفسير الآيات (٧٢-٧٦)
١٣٤.....	تفسير الآيات (٧٧-٨١)
١٣٨.....	تفسير الآيات (٨٢-٨٦)
١٤٢.....	تفسير الآيات (٨٧-٩٣)
١٥٤.....	تفسير الآيات (٩٤-٩٦)
١٦٥.....	تفسير الآيات (٩٧-١٠٠)
١٧١.....	تفسير الآيات (١٠١-١٠٤)
١٧٦.....	تفسير الآيات (١٠٥-١٠٨)
١٨٥.....	تفسير الآيتين (١٠٩-١١٠)
١٨٩.....	تفسير الآيات (١١١-١١٥)
١٩٤.....	تفسير الآيات (١١٦-١٢٠)

تفسير سورة الأنعام

١٩٩.....	تفسير الآيات (١-٥)
٢٠٥.....	تفسير الآيات (٦-١٠)
٢١٠.....	تفسير الآيات (١١-١٣)
٢١٣.....	تفسير الآيات (١٤-١٨)

- ٢١٧..... تفسير الآيات (٢١-١٩)
- ٢٢٠..... تفسير الآيات (٢٦-٢٢)
- ٢٢٥..... تفسير الآيات (٣٢-٢٧)
- ٢٣٢..... تفسير الآيات (٣٧-٣٣)
- ٢٣٨..... تفسير الآيات (٤٥-٣٨)
- ٢٤٥..... تفسير الآيات (٤٩-٤٦)
- ٢٤٩..... تفسير الآيات (٥٣-٥٠)
- ٢٥٥..... تفسير الآيات (٥٩-٥٤)
- ٢٦٤..... تفسير الآيات (٦٧-٦٠)
- ٢٧٤..... تفسير الآيات (٧٣-٦٨)
- ٢٨٥..... تفسير الآيات (٧٩-٧٤)
- ٢٩١..... تفسير الآيات (٨٣-٨٠)
- ٢٩٧..... تفسير الآيات (٩٠-٨٤)
- ٣٠٤..... تفسير الآيات (٩٤-٩١)
- ٣١٢..... تفسير الآيات (٩٩-٩٥)
- ٣١٩..... تفسير الآيات (١٠٣-١٠٠)
- ٣٢٣..... تفسير الآيات (١٠٨-١٠٤)
- ٣٢٨..... تفسير الآيات (١١٥-١٠٩)



٣٣٨.....	تفسير الآيات (١١٦-١٢٠).....
٣٤٢.....	تفسير الآيات (١٢١-١٢٤).....
٣٤٩.....	تفسير الآيات (١٢٥-١٣٥).....
٣٦٠.....	تفسير الآيات (١٣٦-١٤٠).....
٣٦٧.....	تفسير الآيات (١٤١-١٤٦).....
٣٧٨.....	تفسير الآيات (١٤٧-١٥٠).....
٣٨٢.....	تفسير الآيات (١٥١-١٥٣).....
٣٨٨.....	تفسير الآيات (١٥٤-١٦٠).....
٣٩٩.....	تفسير الآيات (١٦١-١٦٥).....
٤٠٤.....	الفهرس التفصلي.....
٤٠٨.....	الفهرس الإجمالي.....



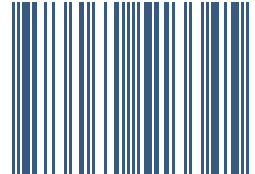
الفهرس الإجمالي

٥	تفسير سورة المائدة
١٩٩	تفسير سورة الأنعام
٤٠٤	الفهرس التفصيلي
٤٠٨	الفهرس الإجمالي



للاطلاع على قائمة حديثة
لمؤلفات الشيخ ومتجر الكتب:
امسح الرمز

ISBN 978-603-05-1334-5



9 786030 513345 >